بستان الواعظين ورياض السامعين

للإمام

أبي الفرج جمال الدين بن الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

تدقيق وفهرسة

أيمن البحيري

طبعة جديدة منقحة ومفهرسة مع إخراج جيد

مؤسسة الكتب الثقافية

بستان الواعظين

ورياض السامعين

للإمام

أبي الفرج جمال الدين بن الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

تدقيق وفهرسة

أيمن البحيري

طبعة جديدة منقحة ومفهرسة مع إخراج جيد

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع
مؤسسة الكتب الثقافية فقط

الطبعة الثانية

مؤسسة الكتب الثقافية

الصنائع. بناية الاتحاد الوطني. الطابق السّابع. شقة ٧٨
هاتف المكتب: ٧٣٩٢٥٠/٧٣٩٢٥٨/ ٠٠٩٦١١
خليوي - جوال: ٠٠٩٦١٣/٨١٠٥٦١
أونيسكو - بيروت: ١١٠٨٢٠١٠
رقم العلبة البريدية: ٥١١٥/ ١١٤
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾.

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾.

أما بعد، فقد أنعم الله على المسلمين أن جعل فيهم من يحفظ لهم دينهم، ونحن الآن أمام أحد هؤلاء الحفظة الذين منَّ الله بهم علينا، وهو الإمام العالم الجليل إمام عصره وقدوة زمانه وحافظ وقته، أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، ومع أحد مؤلفاته وهو كتاب [بستان الواعظين ورياض السامعين] وهو بحق بستان ورياض لكل من يعتلي منبر رسول الله ﷺ لكي ينهل منه الحكم والمواعظ التي اشتهر بها الحافظ ابن الجوزي، وتجد من النكت الظراف بين ثنايا الصفحات.

ونرجو الله عز وجل أن يتقبل منا هذا العمل، وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم.

*** عملنا في هذا الكتاب:**

١ ـ ضبط النص وعزو الآيات في متن الكتاب.

٢ ـ تخريج الأحاديث النبوية وبعض الآثار.

٣ ـ قمنا بتفقير الكتاب على أساس المواعظ [أي تفقير كل موعظة على حدة].

٤ ـ عمل الفهارس اللازمة للكتاب، وهي:

أ ـ فهرس الآيات.

ب ـ فهرس الأطراف، ويشتمل على الأحاديث النبوية والآثار وأقوال العلماء.

ج ـ فهرس الغريب مع شرح معنى الكلمة.

د ـ فهرس الأعلام مع بعض التراجم ملحقة بالفهرس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحقق

ترجمة الإمام ابن الجوزي

الإمام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق [جمال الدين أبو الفرج] عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله البغدادي الحنبلي الواعظ المفسر صاحب التصانيف السائرة في فنون العلم، وعرف جدهم بالجوزي بجوزة كانت في داره بواسط لم يكن بواسط جوزة سواها. ولد تقريباً سنة عشر وخمس مائة أو قبلها، وأول سماعه في سنة ست عشرة، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة ووعظ في حدود سنة عشرين وخمس مائة إلى أن مات.

ومن تصانيفه كتاب (المغنى) في علوم القرآن كبير جداً، وكتاب (زاد المسير) أربع مجلدات، و (تذكرة الأريب) في اللغة و (الوجوه والنظائر) مجلد، و (فنون الأفنان) مجلد، و (جامع المسانيد) سبع مجلدات، و (الحدائق) مجلدان، و (نقى النقل) مجلد كبير، و (عيون الحكايات) مجلدان، و (التحقيق في مسائل الخلاف) مجلدان، (مشكل الصحاح) أربع مجلدات و (الموضوعات) مجلدان و (الواهيات) ثلاث مجلدات و (الضعفاء) مجلد و (تلقيح فهوم أهل الأثر) مجلد و (المنتظم في التاريخ) عشر مجلدات كبار و (المذهب في المذهب) مجلد و (الانتصار في مسائل الخلاف) مجلدان و (الدلائل في مشهور المسائل) مجلدان و (المواقيت في الخطب الوعظية) مجلد و (نسيم السحر) مجلد و (المنتخب) مجلد و (المدهش في المحاضرة) مجلد و (صفوة الصفوة) أربع مجلدات و (أخبار الأخيار) (أخبار النساء) مجلد و (مثير الغرامه الساكن إلى أشرف الأماكن) مجلد و (المقعد المقيم) مجلد و (ذم الهوى) مجلد و (تلبيس ابليس) وغيرها من المؤلفات النافعة. ولما ترعرع حملته عمته إلى الحافظ ابن ناصر فاعتنى به واسمعه الكثير، حصل له من الحظوة في الوعظ ما لم يحصل لأحد قط

وحضر مجالسه ملوك ووزراء بل وخلفاء من وراء الستر ويقال في بعض المجالس حضره مائة ألف فيما قيل، والظاهر أنه كان يحضره نحو العشرة آلاف مع أنه قد قال غير مرة إن مجلسه حرز بمائة الف، فلا ريب إن كان هذا قد وقع فإن أكثرهم لا يسمعون مقالته. قال سبطه: سمعت جدي يقول على المنبر: كتبت بأصبعي ألف مجلد وتاب على يدي مائة ألف وأسلم على يدي عشرون ألفاً. وقال: وكان يختم في كل اسبوع ختمة ولا يخرج من بيته إلا إلى الجمعة أو المجلس. ومن بدائع كلامه: عقارب المنايا تلسع وخدران جسم الأمل يمنع الإحساس وماء الحياة في إناء العمر يرشح بالأنفاس. وقال لوليّ أمر: اذكر عند القدرة عدل الله فيك وعند العقوبة قدرة الله عليك، وإياك أن تشفي غيظك بسقم دينك. ومن كلامه كذلك: من قنع طاب عيشه ومن طمع طال طيشه. وقال في وعظه: يا أمير المؤمنين إن تكلمت خفت منك وإن سكت خفت عليك فأنا اقدّم خوفي عليك على خوفي منك، أقول قول الناصح إتق الله خير من قول القائل أنتم أهل بيت مغفور لكم. وقال: يفتخر فرعون ملك مصر بنهر ما أجراه. وإليه المنتهى في النثر والنظم الوعظي وقد نالته محنة في أواخر عمره وشوا إلى الخليفة عنه بأمر اختلف في حقيقته فجاءه من شتمه وأهانه وختم على داره وشتت عياله ثم أخذه في سفينة إلى واسط فجلس بها في بيت وبقي يغسل ثوبه ويطبخ ودام على ذلك خمس سنين وما دخل فيها حماماً.

قال الموفق عبداللطيف: كان ابن الجوزي لطيف الصورة حلو الشمائل رخيم النغمة موزون الحركات والنغمات لذيذ المفاكهة يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون لا يضيع من زمانه شيئاً يكتب في اليوم أربعة كراريس، وله في كل علم مشاركة، ولكنه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ وفي التاريخ من المتوسعين ولديه فقه كاف وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية وله في الطب «كتاب اللقط» مجلدان وكان يراعي حفظ صحته وتلطيف مزاجه وما يفيد عقله قوة وذهنه حدّة، جُل غذائه الفراريج والمزاوير ويعتاض عن الفاكهة بالأشربة والمعجونات، ولباسه أفضل لباس الأبيض الناعم الطيب وله ذهن وقاد وجواب حاضر ومجون ومداعبات حلوة ولا ينفك من جارية حسناء. قرأت بخط الموقاني أن ابن الجوزي شرب البلاذر فسقطت لحيته فكانت قصيرة جداً وكان يخضبها بالسواد إلى أن مات، وكان كثير الغلط فيما يصنفه فإنه كان يفرغ من الكتاب ولا

يعتبره. قلت: نعم له وهم كثير في تواليفه يدخل عليه الداخل من العجلة والتحويل إلى مصنف آخر ومن أن جُل علمه من كتب صحف ما مارس فيها أرباب العلم كما ينبغي. وكانت جنازته مشهورة شيّعه الخلائق يوم الجمعة ثالث عشر شهر رمضان إلى مقبرة باب حرب سنة سبع وتسعين وخمس مائة وقد قارب التسعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

١

مجلس في الاستعاذة

[١] تفسير الاستعاذة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وإما ينزغنَّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾[الأعراف: ٢٠٠] وقال تعالى: ﴿فإذا قرأت فاستعذ بالله﴾ [النحل: ٩٨] المعنى، فاستعذ بالله إذا أردت أن تقرأ القرآن، أعوذ بالله ملاذاً وعياذاً، ويقال هذا عوذ لي مما أخاف منه، أي مجيري والدافع عني وتسمى المرأة عائذاً لأنها تعوذ بولدها. والتعوذ بالقرآن هو الشفاء من آفات الشيطان. وكان النبي ﷺ يتعوذ من آفات كثيرة تواترت بها الأخبار.

وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من البخل، والجبن، والهرم، والكسل، وعذاب القبر، وفتنة الدجال فتعوذوا مما تعوذ منه نبيكم ﷺ واعتصموا بمولاكم العظيم من كيد الشيطان الرجيم. أعوذ بالله وأحتمي بالله وأستكفي بالله، يا قارىء يا تالي بمن تعوذ، بمن تلوذ، بمن تستغيث، بمن تستجير، بمن تستنصر، بمن تعتصم، بمن تحتمي، بمن تستكفي؟ إلاّ بالله!.

[٢] نصائح

اعلم أن المستعيذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم معتصم بحبل الله المتين.

---

[١] حديث «كان يتعوذ من البخل».

البخاري: كتاب الدعوات، باب التعوذ من غلبة الرجال (٦٣٦٣) من حديث أنس. مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من العجز والكسل (٢٧٠٦/ ٥٠).

[٢] حديث «من استعاذ بالله».

ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣٤٣٤) من حديث أنس. وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٤٢): فيه ليث بن أبي سليم، ويزيد الرقاشي وقد وثقا على ضعفهما وبقية رجاله رجال الصحيح.

أعوذ بالله من الذنوب والعصيان، أعوذ بالله من الضلال والخذلان، أعوذ بالله من سخط الرحمن.

اعلم يا أخي أن العبد إذا اعتصم بحبل السلطان المخلوق سلم من شر الظالمين ، فأحرى أن يسلم المستعيذ برب العالمين من الشيطان العدو اللعين.

روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «من استعاذ بالله في اليوم عشر مرات من الشيطان الرجيم وكَّل الله به ملكاً يذود عنه شر الشيطان كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض» فكيف لا يسلم المستعيذ بالله من الشيطان والملك يذود عنه بأمر الملك الديان؟!.

[٣] كيفية الاستعاذة

أعوذ بالله من أكل الحرام، أعوذ بالله من ظلم الضعفاء والأيتام، أعوذ بالله من ارتكاب الكبائر والآثام، أعوذ بالله من سخط الملك العلام. أعوذ بالله من عدم التوفيق لحسن العمل، أعوذ بالله من الركون إلى طول الأمل، أعوذ بالله من تمزيق الأعمار، في مخالفة هدى الأبرار، ونستعينه على تطهير القلوب من طوالع الارتياب، وجنايات الاغتياب، فإنه داء قد أعيا دواؤه، وتعذر شفاؤه، وعمَّ بلاؤه، وكما نستعين به على تطهير ضمائرنا من حب الدنيا فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأصل كل بلية، فلذلك نسأله علماً نافعاً، وعملاً متقابلاً، وإيماناً صريحاً، ويقيناً صحيحاً. أعوذ بالله من رأي يكون ضلالاً، أعوذ بالله من عمل يصير حسرة ووبالاً، أعوذ بالله من نية تعقب وزراً، أعوذ بالله من عزيمة تجلب شراً أعوذ بالله من عدم التوفيق، أعوذ بالله من ترك التحقيق، أعوذ بالله من ترك السعة والرجوع إلى الضيق.

[٤] تحذير من الشيطان

عباد الله تفكروا في إخراج أبيكم آدم من الجنة دار الأمان، وهبوطه إلى دار الذل والهوان، وكان سبب ذلك الملعون الشيطان. وقد نهاكم مولاكم عن طاعته، وأمركم بمعصيته، فإن في طاعته سخط الرحمن، ومعصيته توجب سكنى الجنان، ونزول محل الرضوان.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾

[البقرة: ٢٦٨] فمن أطاعه خذله وصده عن الهدى، وفتح في قلبه أبواب الضلالة والردى.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾ [الفرقان: ٢٩] أعوذ بالله من وسواس الصدر، أعوذ بالله من المكر والغدر، أعوذ بالله من شتات الأمر، أعوذ بالله من قلة الشكر، أعوذ بالله من عذاب القبر، أعوذ بالله من ترك المتاب، أعوذ بالله من شدة العذاب، أعوذ بالله من مناقشة الحساب، أعوذ بالله من غضب رب الأرباب.

[٥] التعوذ عبادة

واعلموا عباد الله أن التعوذ بالله من الشيطان الرجيم هو من أفضل العبادات لأن الله تعالى قد أمر عبده المؤمن أن يتعوذ به من الشيطان الرجيم في محكم القرآن الكريم. الله الله لا تقروا عين عدوٌكم الشيطان، فإنه يؤديكم إلى عذاب النيران، ويصدكم عن دار الخلد وسكنى الجنان. أعوذ بالله من مرديات الأعمال، أعوذ بالله من الغي والمحال، أعوذ بالله من سخط ذي الجلال.

واعلموا وفقنا الله وإياكم أن من دخل الحصن سلم من شر الأعداء، وصار في حرز ذي النعم والآلاء.. ومن استعاذ بالملك الرحمن، سلم من شرِّ العدوِّ الشيطان.

والاستعاذة أحصن حصن لدين المؤمن من كيد الشيطان الرجيم، وأحرز حرز لقلبه من وسواس العدو اللئيم.

أعوذ بالله من شهادة الزور، أعوذ بالله من ركوب الفجور، أعوذ بالله من الغي والنفور، أعوذ بالله من الشيطان المبعد المثبور، أعوذ بالله من الركون إلى دار الغرور، أعوذ بالله من سخط الملك الغفور.

[٦] تعوذ النبي ﷺ

روي عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من صاحب غفلة، وقرين سوء وروح أذى» أعوذ بالله من شماتة الأعداء، أعوذ بالله من خيبة الرجاء، أعوذ بالله من عضال الدَّاء، أعوذ بالله من مخالفة الهدى، أعوذ بالله من أفعال الردى، أعوذ بالله من سخط ذي النعيم والآلاء، أعوذ بالله من عثرات اللسان،

أعوذ بالله من النميمة والخذلان، أعوذ بالله من الغيبة والبهتان، أعوذ بالله من عقوبة الملك الديان.

[٧] أحاديث في عذاب القبر

روي عن النبي ﷺ أنه مرّ على البقيع فوقف على قبر ثم قال: «الآن أقعدوه، والآن سألوه، والذي بعثني بالحق لقد ضربوه بأرزبة من نار لقد تطاير قلبه ناراً» ثم وقف على قبر آخر فقال مثل مقالته على القبر الأول، ثم قال ﷺ لأصحابه: «ولولا أني أخشى على قلوبكم لسألت الله أن يسمعكم من عذاب القبر مثل الذي أسمع» فقالوا: يا رسول الله ما كان فعل هذين الرجلين؟ فقال عليه السلام: «أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة بين الناس وكان الآخر لا يستنزه من البول».

[٨] أسباب عذاب القبر

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يعذب أحدٌ في قبره إلاّ بإحدى ثلاث، في الغيبة والنميمة والبول» فالله الله عباد الله تعوذوا بالله من الغيبة والنميمة والبهتان، وأذى الجيران، فإن ذلك كله يبعد عن الرحمن، ويقرب من الشيطان، ويصد عن الجبان، ويؤدي إلى النيران. أعوذ بالله من علة الدين، أعوذ بالله من ضعف اليقين، أعوذ بالله من الشيطان اللعين، أعوذ بالله من سخط رب العالمين، أعوذ بالله من الشيطان المثبور، أعوذ بالله من عذاب القبور، أعوذ بالله من ترك النعيم والسرور، أعوذ بالله من الصد من دار الحبور، أعوذ بالله من عذاب الويل والثبور، أعوذ بالله من عقوبة من يعلم ما في الصدور.

[٩] القرآن يأمر بالاستعاذة

واعلموا عباد الله أن من استعاذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم فقد عمل بالقرآن الحكيم، وذلك أن الله تبارك وتعالى أمره بالاستعاذة من اللعين إبليس في آي كثيرة من القرآن.

---

[٧] حديث «مر على البقيع».

البخاري: كتاب الجنائز، باب الجريدة على القبر (١٣٦١) من حديث ابن عباس. مسلم: كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول (١١١/ ٢٩٢) من حديث ابن عباس.

فمن استعاذ بالملك الوهاب، من شر الشيطان الكذاب، فقد عمل بالسنة وأحكام الكتاب. والقرآن شافع لمن عمل به، وخصم على من لم يعمل به.

واعلموا عباد الله أن الشيطان يصدكم عن العمل بالتنزيل، ويبعدكم عن الملك الجليل، ويلقيكم في معصيته لتصيروا إلى العذاب الدائم الطويل، في اليوم الهائل العبوس الثقيل.

[١٠] لكل أحد الشيطان

روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: قلت: يا رسول الله ما من أحد إلاّ ومعه شيطان؟ قال: «نعم» قالت: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا إلاّ أن الله أعانني عليه فأسلم» أعوذ بالله من خشوع النفاق، أعوذ بالله من البعد والفراق، أعوذ بالله من مخالفة الملك الخلاق، أعوذ بالله من عذاب يوم التلاق، أعوذ بالله من الخلاف بعد الوفاق. وأنشدوا:

ويحــك عُـذْ بــالله ذي الجــلالِ والمجـــد والنعمـــاء والإفضـــالِ
ثـــم اتـــلُ آيـــاتٍ مـــن القـــرآن ووحِّـــــد الله ولا تبـــــالِ

أعوذ بالله من عبدٍ شارد، أعوذ بالله من شيطان مارد، أعوذ بالله من عدو حاسد، أعوذ بالله من قلب فاسد، أعوذ بالله من بدن عن الطاعة متقاعد.

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبده خيراً أبعد عنه شيطانه وأعانه عليه ونشَّطه للطاعة وأزال عن بدنه الكسل فأقبل العبد عند ذلك على مولاه، وأعرض عمن سواه، وآثر رضاء سيده على هواه، فعند ذلك يجعل الله الجنة العالية مأواه.

وإذا أراد بعبده شراً مكَّن منه شيطانه وسلَّطه عليه فأبعده عن طاعة الجبار، وكسَّله عن عمل الأبرار، وحبَّب إليه، أعمال أهل النار، وبغَّض إليه أعمال أهل دار القرار.

---

[١٠] حديث «ما من أحد....».

أخرجه ابن حبان في صحيحه (٨/ ١١٠) من حديث شريك بن طارق.

[١١] فرح الشيطان بالعاصي الجاهل

روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره قبله الشيطان بين عينيه وقال: فديت وجهاً لا يفلح أبداً» فإن منَّ الله وتاب عليه واستنقذه من الضلالة واستخرجه من غمرات الجهالة يقول الشيطان ـ لعنه الله ـ واويلاه قطع عمره في الضلالة فأقر بالمعصية عيني، ثم أخرجه الله بالتوبة من الجهالة فأكثر بالتوبة حزني.

فالله الله عباد الله لا تقبلوا وسواس العدو الشيطان، وارجعوا بالتوبة إلى مولاكم الرحمن، فعساه أن يستر ذنوبكم وعيوبكم بستر الغفران، إنه كريم متفضل منَّان.

أعوذ بالله من الشقاوة بعد السعادة، أعوذ بالله من الغرة بعد الإرادة، وأعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة. أعوذ بالله من الكفر بعد الإيمان. أعوذ بالله من القطيعة والحرمان، أعوذ بالله من طاعة الشيطان، أعوذ بالله من العقوبة والهوان، أعوذ بالله من نقض العهود، أعوذ بالله من مخالفة الملك المعبود، أعوذ بالله من العذاب الدائم والخلود، أعوذ بالله من سخط ذي الكرم والجود.

عباد الله احذروا مكائد الشيطان فإنه عارف بالعيوب، بصير بإلقاء العبد في الذنوب، له طرق كثيرة إلى الصدور فاستعيذوا من شره بمولاكم علام الغيوب.

أعوذ بالله من قلب لا يخشع، أعوذ بالله من عين لا تدمع، أعوذ بالله من دعاء لا يسمع، أعوذ بالله من عمل لا يرفع، أعوذ بالله من علم لا ينفع.

أعوذ بالله من المصير إلى عذاب الله، أعوذ بالله من الخيبة من رحمة الله ومن التزين بمعصيته.

أعوذ بالله من زيغ القلوب، أعوذ بالله من تتابع الذنوب، أعوذ بالله من ترادف العيوب، أعوذ بالله من سخط علام الغيوب. أعوذ بالله من مُضِلَّاتِ الفتن، أعوذ بالله من البلاء والمحن، أعوذ بالله من سخط ذي الجود والمنن.

أعوذ بالله من النقص بعد التمام، أعوذ بالله من التخلف بعد الإقدام أعوذ بالله من سخط أحكم الحكام.

[١٢] جنود إبليس

ذكر في بعض الأخبار أن إبليس ـ لعنه الله ـ يبعث في كل يوم ثلاثمائة وستين عسكراً لإضلال المؤمنين، والله تعالى ينظر في قلوبهم ثلاثمائة وستين نظرة ففي كل نظرة من نظراته تهلك عسكراً من عساكره فأنى تبقى عسكر للشيطان في جنب نظرة الرحمن؟.

فالله الله عباد الله لا تقبلوا وسواس الشيطان المخدوع، واستعملوا قلوبكم وصدوركم بالآيات والخشوع، وأسيلوا على ما فرطتم غزير الدموع. أعوذ بالله من عواقب الخلاف، أعوذ بالله من الجرأة والاستخفاف، أعوذ بالله من العصيان وقلة الاعتراف.

أعوذ بالله من الباطل وشره، أعوذ بالله من الشيطان ومكره، أعوذ بالله من العصيان وذكره.

أعوذ بالله من فساد القلب، أعوذ بالله من ترادف الذنب على الذنب، أعوذ بالله من سخط الملك الرب.

[١٣] محاورة إبليس لموسى

روي أن الشيطان لعنة الله عليه قال لموسى بن عمران صلوات الله على نبينا وعليه: لا تخلون بامرأة غير ذي محرم فأكون ثالثكما، ولا تقضين فأنال منك، وإذا هممت بصدقة فبادر إليها، فإنك إن لم تبادر إليها فتحت لك في ذلك سبعين باباً من الفقر أمنعك بها من الصدقة.

وقيل في قول الله عز وجل: **﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً﴾** [البقرة: ٢٦٨] الآية. أي: يردك الشيطان إلى نفسك ولينسيك اشتغالك بربك، وقيل يعدكم الفقر في طلب فوق الكفاف فيكون عندك ما يكفيك وأنت تحرص على جمع الزيادة وهو الفقر اللازم فيردك عن غنى الكفاية إلى طلب المزيد وهو الفقر الحاضر الذي يؤدي صاحبه إلى العذاب الدائم الشديد. وقيل يعدكم الفقر في البذل والعطاء في مرضاة الله عزّ وجل وهو الغني لأن الله تعالى يعدكم مغفرة وفضلاً فينبغي للعبد أن يذكر منن الله تعالى عليه، وإحسانه إليه، وإفضاله لديه.

[١٤] أصل البخل والكرم

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى قال في محكم التنزيل على لسان محمد رسوله عليه السلام: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر: ٩] ومن هو بخيل شحيح فليس بواق ولا مفلح. واعلم أن البخل شجرة في النار وأغصانها مدلاة على الدنيا وهي شجرة الشيطان فمن تعلق بغصن منها قادته إلى النار. وكذلك الكرم شجرة في الجنة وأغصانها مدلاة على الدنيا فمن تعلق بغصن منها جذبه إلى النعيم، والكرم من أخلاق الملك الكريم، فمن تعلق به فقد أسخط الشيطان الرجيم. ودليل هذا أن الله تبارك وتعالى لم يبعث نبياً قط إلاّ وهو كريم، ولا رأيتم عبداً صالحاً إلاّ وهو كريم. قال: فالكرم من أخلاق النبيين والصديقين، وهو من أخلاق رب العالمين، فاستعملوه بينكم يا معاشر المؤمنين، والمؤمنات يا أمة محمد خاتم النبيين. أعوذ بالله من عين لا تبكي عليه، أعوذ بالله من قلب لا يشتاق إليه، أعوذ بالله من دعاء لا يصل إليه، أعوذ بالله من الذل إلاّ إليه.

[١٥] نجاة المستعيذ من العذاب

واعلموا عباد الله أن المستعيذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ناج من العذاب الأليم، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾ ؛: ٢٦٨] وإنما يأمركم الشيطان بالفحشاء ليحرق غيره كما أحرق نفسه.

قال الله تعالى: ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ [النساء: ٨٩] أعوذ بالله من اللهو والغفلات أعوذ بالله من العذاب والحسرات، أعوذ بالله من غضب إله الأرض والسموات.

إخواني أطيعوا مولاكم الملك الجليل ودعوا كيد الشيطان المهين الذليل، واعملوا بالسنة والتنزيل.

[١٦] خصال الخير عن الإمام علي

روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً، ولا عن النار مهرباً، أوّلها من عرف الله فأطاعه، والثانية من

عرف الشيطان فعصاه، والثالثة من عرف الحق فاتبعه، والرابعة من عرف الباطل فاجتنبه، والخامسة من عرف الدنيا فأعرض عنها، والسادسة من عرف الجنة فطلبها. فالله الله عباد الله اجتهدوا في طاعة الرحمن الرحيم. واجتنبوا كيد الشيطان الرجيم.

[١٧] من رأى إبليس من الصحابة والصالحين

روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: رأيت إبليس اللعين في المنام منكوساً فهممت أن أقرعه بالعصا فقال لي: يا أبا سعيد أما علمت أني لا أخاف من العصا ولا من الأسلحة، قال: فقلت له: يا ملعون فما الذي تخافه؟ قال أخاف من شيئين: أحدهما استعاذة المستعيذين، والثاني شعاع معرفة الصادقين. أعوذ بالله ممن لا يشفق على نفسه، أعوذ بالله ممن لا يبكي على رمسه، أعوذ بالله ممن لا يقدم ليومه من أمسه.

حكي عن الجنيد رحمة الله عليه أنه قال: رأيت إبليس في المنام عرياناً يتلاعب بالناس فقلت: أما تستحي من الناس؟. فقال الملعون: بالله عليك هؤلاء عندك ناس؟. لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة، فقلت له: يا ملعون ومن الناس؟ قال: ثلاثة نفر بمسجد الشيرازي ـ كذا سمى المسجد ـ أمرضوا كبدي، وأنحلوا جسمي، كلما هممتُ بهم أشاروا إلى الله تعالى فأكاد أن أحترق، قال الجنيد: فانتبهت وقد بقي من الليل بقيةٌ فخرجت إلى المسجد الذي ذكر الملعون فدخلته فإذا بثلاثة نفر قعود رؤوسهم في مرقعاتهم فقال لي أحدهم: يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيئاً تقبله! يا أخي اعلم أن من تعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم فقد ثبت على الدين القويم، وذلك أن الله سبحانه أخبر عن إبليس اللعين: ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ [الأعراف: ١٦] وذلك أنه بعثه الله تعالى قاطعاً طريق الدين كما أن اللصوص قُطَّاعُ لطريق الدنيا على المسلمين، فإبليس لعنه الله قاطع طريق العقبى ليصدَّكم عن الحق والهدى، فإذا استعذت منه هرب منك ولم يقدر على قطع طريق الدين.

[١٨] وقاية الله من إبليس

قال الله سبحانه: ﴿وإما ينزغنَّك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله﴾

[الأعراف: ٢٠٠] وقال تعالى: ﴿إنه ليس له سلطانٌ على الذين آمنوا﴾ [النحل: ٩٩] الآية وقد أمر الله تعالى عباده أن يقولوا في الصلاة سبع عشرة مرة في سبع عشرة ركعة وهي عدد ركعات الفرض: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦] فأنّى يضرك كيد الشيطان الرجيم؟!.

إعلم يا أخي أن البيت المعمور كان في الأرض إلى وقت طوفان نوح عليه الصلاة والسلام فحفظ من الغرق وسلم من الطوفان ورفع إلى السماء. وقلب المؤمن أفضل من البيت المعمور أكثر من ألف ألف مرة فهو بالحفظ أولى، لأن البيت المعمور معمور بعبادة الملائكة وقلب المؤمن معمور بنظر الخالق إليه، فشتان ما بينهما!.

ذكر عن أبي سعيد أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر: ٤٢] كأنه يقول إن كان لك عليهم أن تلقيهم في معصية الله، فليس لك عليهم أن تمنعهم من مغفرة الله.

وقول آخر، إن كان للشيطان سلطان في إلقاء العبد في المعصية، فأولى أن يكون لمغفرة الله سلطان في تطهير العبد من الخطية، وليست قوة الشيطان بأكثر قوة من مغفرة الرحمن في قلوب أهل الإيمان. أعوذ بالله من كثرة الفساد، أعوذ بالله من ظلم العباد، أعوذ بالله من غضب رب جواد، أعوذ بالله من عذاب يوم التناد، أعوذ بالله من القطع والبعاد. وأنشدوا:

أعوذ بالرحمن من موقف	يشهده المؤمنُ والكافرُ
إن كنت بئس العبد يا سيدي	فأنت ربٌ سيدٌ غافرُ

[١٩] ضعف الإنسان والشيطان

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى سمى الإنسان ضعيفاً، وقال في آية أخرى: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ [النساء: ٧٦] والضعيفان إذا اقتتلا ولم يكن لواحدٍ منهما معين لم يظفر بصاحبه، فأمر الله الإنسان الضعيف أن يستعين بالرب اللطيف من كيد الشيطان الضعيف ليعصمه منه ويعينه عليه. من كان في معونته الإله العظيم، لم يضره كيد الشيطان الرجيم، من كان في معونته الملك الوهاب، لم يضره كيد الشيطان الكذاب، من كان في معونته الملك القهار، لم

يضره كيد الشيطان الفرَّار، من كان في معونته الملك الرحمن، لم يضره كيد الشيطان، وأنشدوا:

العبد في كنف الإله وحفظه من كل شيطان غوى ساهِ
إن عاذ بالرحمنِ عند صباحِهِ وكذاك إنّ أمسى بذكرِ اللهِ

[٢٠] دعاء يعصم من الشيطان

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال حين يصبح وحين يمسي أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم، قال قرينه: عوفي هذا العبد مني اليوم» شعر:

يا رجائي في بلائي لا تُزل عنيِّ خيرَكْ
أنت ربي أنت حسبي أنا لا أعبدُ غيرُكْ

أعوذ بالله من عدم الإخلاص، أعوذ بالله من هول يوم القصاص، أعوذ بالله من ترك الاستقامة، أعوذ بالله من العذاب والملامة، أعوذ بالله من هول يوم القيامة، أعوذ بالله من الحسرة والندامة، أعوذ بالله من حرمان الكرامة.

[٢١] لماذا حجب الله إبليس

يا أخي إن الله تعالى لما قبَّح صورة إبليس ولعنه وشوه خلقته، وأوحش هيأته وقامته، لطف بعباده حيث ستره عنهم، حتى لا تستوحش قلوبهم إذا أبصرته أعينهم، ولذلك جعل المولى جل جلاله السماء موضع نظرهم، وزينها بعلامات الرسوم، وحفظها من الشيطان الرجيم برواصد النجوم، فكأنه قال سبحانه: يا عبادي لا يصلح لأبصاركم ما كان مشوهاً قبيحاً، بل يصلح لها ما كان مزيناً مليحاً، هذه معاملته سبحانه وتعالى مع جميع الناس في الدنيا فأولى أن يلطف بالمؤمنين في العقبى، يصون أبصارهم عن النظر إلى النار الكبرى وهي الجحيم، ويكرمها بالنظر إلى الدار المزينة وهي جنة النعيم، أعوذ بالله من مخالفة الأحكام

---

[٢٠] حديث «من قال حين يصبح».

أبو داود: كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد (٤٦٦) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

أعوذ بالله من التمادي في الآثام، أعوذ بالله من معصية السلام، أعوذ بالله من عذاب الغرام.

[٢٢] زينة السماء

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لما خلق الله تبارك وتعالى الجنةَ قال لها: تزيَّني فازَّينت، ثم قال لها: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون، فجعل الله تعالى السماء في الدنيا موضع نظرك، وجعل الجنة المزينة في العقبى موضع ترغبك، فإذا ستر الله تعالى إبليس الملعون في الدنيا وغيَّبه عن بصرك لئلا يستوحش قلبك بقبح صورته، فأولى أن يستر أعمالك القبيحة من الفساد والآثام من الفضيحة يوم التناد على رؤوس الأشهاد. لطف الله بعباده فستر إبليس عنهم فقال: ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ [الأعراف: ٢٧] فكأنه سبحانه وتعالى قال لعبده المؤمن: أنا حبيبك الأعظم، وإنَّ إبليس عدوك الأعظم، فلو رأيته وهو أعظم أعدائك عليك لشق ذلك عليك فسترته عنك ليكون حزن الدنيا ونصبها، وترادف همومها وغمومها، أهون عليك. وكان أيضاً يجتمع عليك مغيب حبيبك الأعظم، ورؤيتك عدوك الأعظم، فغيب إبليس عنك حتى لا تراه كما لا ترى حبيبك الأعظم فيكون الأمر أهون عليك.

أعوذ بالله من التضليل والتسويف، أعوذ بالله من الزيغ والتحريف، أعوذ بالله من سخط الرب اللطيف.

حكي عن سهل بن عبدالله التستري رحمة الله عليه قال: رأيت إبليس اللعين في المنام فقلت له: أي شيء أشد عليك؟ فقال: استعاذة المستعيذ برب العالمين الذي هو أرحم الراحمين.

[٢٣] طهارة العاصي ونجاسة المعصية

واعلم يا أخي أن العبد المؤمن وإن أطاع الشيطان بنفسه فهو غير راضٍ بقلبه، وإنما مثله كمثل الواقع في نجاسة وبين يديه غدير ماء طاهر فيكون قلبه مع

---

[٢٢] حديث «لما خلق الله الجنة».

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٨٤) من حديث ابن عباس.

[٢٣] حديث «إن الله لا ينظر إلى صوركم».

مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم (٢٥٦٤/ ٣٢) من حديث أبي هريرة.

الماء وإن كانت نفسه في النجاسة، فيكون سبباً لطهارته. كذلك نفس المؤمن وإن كانت في نجاسة المعصية فإن قلبه مع الله ومع محبته فيكون ذلك سبباً لطهارته من المعصية. والأصل في هذا أن الله تعالى يعامل العباد على عقائد قلوبهم كما قال النبي ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم» وفي هذا الحديث نكتة حسنة وهو أن المنافق يذكر كلمة التوحيد باللسان، وهو لا يرضاها بالقلب فهو لا يثاب يوم القيامة على إقراره باللسان، هكذا المؤمن يعمل المعاصي بالإدمان لكنه لا يرضاها فنرجو أن لا يعاقب. شعر:

إني تعوَّذتُ بالعظيم | الأول الآخر القديم
ذي الطَّول والفضل والمعالي | الماجدِ الواحِد الكريم
من شرٍّ نفسي ومن هواها | وشر شيطانِهَا الرجيم

أعوذ بالله من شرٍ لا يزول، أعوذ بالله من عذابٍ لا يحول، أعوذ بالله من مخالفة الرسول.

[٢٤] التمسك بالسنة وعدم مخالفتها

عباد الله عليكم بطاعة سيد المرسلين، والتمسك بسنة خاتم النبيين، وبمخالفة الشيطان اللعين، ينجيكم مولاكم من العذاب المهين. ويدخلكم الجنة مع أوليائه المتقين، وتنظروا إلى وجه رب العالمين. وأنشدوا:

أعوذ بالله الذي لم يتخذ ولداً | وقدَّر الرزق قبل الخلق تقديرا
أعوذ بالله العلي مكانه | ذي العرش لم نعلم سواه مجيرا
من حر نار لا تفترُّ من لهبٍ | من حرها للظالمين سعيرا
وكذا السلاسل والعذاب لمن طغى | يدعون فيها حسرة وثبورا

أعوذ بالله من الملوك العاتية، أعوذ بالله من القلوب القاسية، أعوذ بالله من الهوام العادية، أعوذ بالله من اللصوص الضارية، أعوذ بالله من جور السلاطين، أعوذ بالله من كيد الشياطين، أعوذ بالله من أذى المساكين.

إخواننا إياكم ومخالفة السنة فإن ذلك يبعدكم من الجنة.

روي عن مجاهد رضي الله عنه أنه قال: من ذرية إبليس اللعين ولد يسمى زكبتور وهو صاحب الأسواق يضع فيها رايته كل يوم. فالله الله عباد الله لا تبذلوا

مهجتكم للنيران. ولا ترضوا بالزيادة والنقصان، في المكيال والميزان، فإن ذلك يؤدي إلى عذاب النيران.

[٢٥] كيف أهلك النبي عفريتا

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام معه، فجعل النبي ﷺ يقرأ، فإذا بعفريت قد أقبل من مَرَدة الجن وفي يده شعلة نار وهو يقرب من النبي ﷺ، فقال جبريل عليه السلام: يا محمد ألا أعلمك كلمات تقولها فينكب العفريت لوجهه وتطفأ شعلته؟ قال له: قل أعوذ بنور وجه الله الكريم وكلماته التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر من شرِّ ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق النهار إلاّ طارقاً يطرق بخير يا رحمن. فقالها النبي ﷺ فكب العفريت على وجهه وطفئت شعلتُهُ.

[٢٦] سليمان وإبليس

وذكر أن إبليس لعنه الله لقي سليمان ﷺ فقال له سليمان: يا ملعون ما أنت صانع بأمة محمد ﷺ؟ فقال له الملعون: يا سليمان لأدعونهم حتى تكون الدنيا والدرهم أشهى عندهم من شهادة أن لا إله إلاّ الله. فتحفظوا رحمكم الله من هذا كله فإنها حبائل الشيطان.

[٢٧] نصائح من خطبة الوداع

روي عن النبي ﷺ أنه قال في خطبة الوداع: «أيها الناس إني لكم ناصح أمين، ألا وإن إبليس قد يئس منكم لا تعبدون صنماً أبداً، ولكن والذي بعثني بالحق ليجعلنكم إبليس لعنه الله أن تعبدوا ألف إلَه، يعبد الرجل إبله، والآخر امرأته، والآخر غنمه، والآخر حرثه،والآخر تجارته، والآخر صنعته، والآخر مركبه، والآخر صديقه يقول الرجل للرجل: كيف حالك؟؟ فيقول له: لولا تجارتي ما كان لي حال، والآخر يقول لولا حرثي والآخر يقول لولا امرأتي والآخر يقول

---

[٢٥] حديث ابن مسعود «كنت مع رسول الله....».

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤١٩) من حديث عبدالرحمن بن خنيس التميمي.

لولا مركبي، والآخر يقول لولا صديقي، فينسيه ذكر مولاه ويتبعه في دنياه، ويقطعه عن أخراه».

يا ابن آدم ما اغترارك بمن إليه اضطرارك، وما احتقارك بمن إليه افتقارك، يا ابن آدم إن كنت بالنهار هائماً، وبالليل نائماً، متى ترضي من كان بأمرك قائماً؟ يا ابن آدم توكل على الملك الخلاق، الذي يتكفل بقسمة الأرزاق، توكل يا أخي عليه، وأسند أمورك إليه، فإنه لا يملكها غيره.

[٢٨] أعوان الشيطان من بني آدم

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن للشيطان أعواناً من بني آدم يبعثهم الملعون إلى المؤمنين يشغلونهم عن الصلاة وعن الصدقة وعن ذكر الله ويحبب إليهم كسب السحت والحرام والذي بعثني بالحق ليعبدون الدنيا والدرهم أشد من عبادة الأوثان» أعوذ بالله من الركون إلى الهوى، أعوذ بالله من الضلالة والردى. أعوذ بالله من معصية إله السما.

[٢٩] آدم وخروجه من الجنة

ذكر أن عبدالله بن سهل التستري رحمه الله قال: لما أخرج آدم من الجنة دار الكرامة والأمان وأنزله إلى دار الذل والهوان والبلاء والامتحان، قال الله تعالى: يا ابن آدم أسكنتك في جواري فعصيتني، وأطعت الشيطان وتركتني، وعزتي وجلالي لأسكننك في جواره لتطيعني وتعصيه، وتحبني وتبغضه، فإذا كان يوم القيامة أقول لك طاعة بطاعة ومعصية بمحبة ثم أدخلك الجنة.

جاء في بعض الأخبار أن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم وولده أودع قلبه أربعة أشياء وهي المعرفة، والعقل، والإيمان، واليقين. فصار خزانة لهذه الأشياء وسلط على قلبه أربعة أعداء وهم إبليس، والهوى والنفس، والدنيا وضمن إبليس لأصحابه الوصول إليها كما قال تعالى في كتابه: **﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾** [الأعراف: ١٧] فلما علم المولى جل جلاله من ضعف ابن آدم وقلة مقدرته على مدافعته علمه أربعة أسماء من أسمائه يتحصن بها من إبليس وجنوده وهي: يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن، فكأنه قال تعالى: يا ابن آدم أنا الأول احفظ معرفتك لي من بين يديك، وأنا الآخر احفظ

عقلك وأنا الظاهر احفظ إيمانك عن يمينك، وأنا الباطن احفظ يقينك عن شمالك.

[٣٠] اختصاص إبليس ببعض الجهات

سئل بعض الحكماء، ما الحكمة في أن لم يعط إبليس اثنان من ابن آدم وأعطي أربعة؟ أعطي مِن بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله من الجهات الأربع، لم يعط إبليس أن يأتيه من فوق ولا من تحت؟ قال: لأن الأربع جهات تدخلها المشاركة في الأعمال، وفوق موضع نظر الرب جل جلاله إلى قلوب عباده المؤمنين، وتحت موضع سجود الساجدين بين يدي رب العالمين، عصمنا الله وإياكم من فتنته عصمة يدخلنا بها في رحمته وتاب علينا وعلى جميع المذنبين إنه تواب رحيمٌ ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

٢

مجلس في ذكر القيامة وأهوالها أجارنا الله منها

[٣١] سورة الزلزلة وما تشير إليه

قال الله عز وجل: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ [الزلزلة: ١] هذه السورة مكية محكمة بالوعد والوعيد يخوِّف الله تبارك وتعالى بها عباده ويذكرهم فيها تزلزل الأرض وقيام الساعة لينتهوا عما نهاهم عنه من العصيان، ويمتثلوا ما أمرهم به من الطاعة والإيمان، وخوفهم الله تبارك وتعالى من يوم القيامة ليستعدوا لها ولعظيم أهوالها. قال الله سبحانه وبحمده: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ يقول إذا تحركت الأرض بأهلها فزلزلت من نواحيها وارتجت من مشرقها ومغربها، فلا تزال كذلك حتى يكسر ما على ظهرها من جبل وبناء فلا تسكن حتى يدخل في بطنها جميع ما خرج منها. وزلزلتها من شدة صوت إسرافيل عليه السلام وذلك إذا فرغت أحيان الدنيا وساعاتها وشهورها وأوقاتها وأعوامها وأيامها وحلالها وحرامها. وذلك إذا خمد الحق وظهر الباطل وترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وركبوا المآثم واستحلوا المحارم وكثر بينهم التظالم، وترك الجهاد، وظهر الفساد، وفشا الربا، وكثر اللواط والزنا، وركبوا الفواحش والفجور، واستعانوا على ذلك كله بشرب الخمور، وأمر قوم بالمعروف وتركوه ونهوا عن المنكر وفعلوه، وكرهوا الحق واتبعوا أهواءهم، وقرىء القرآن فلم يعمل به، واسودت القلوب وكثرت الفواحش والعيوب، وتزيَّن الفساق بالمعاصي والذنوب، فإذا كانوا كذلك اشتد غضب الجبار جل جلاله عليهم فعند ذلك يقول الله: يا إسرافيل انفخ الصعق فينفخ إسرافيل عند ذلك كما أمره الجبار جل جلاله فتزلزل الأرض من مشرقها إلى مغربها، وذلك من غضبة يغضبها الجبار على المنافقين والفجار.

[٣٢] صفة إسرافيل

وإسرافيل عليه السلام ملك عظيم جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب ورجلاه تحت تخوم الأرض السابعة السفلى بخمسمائة عام والسموات السبع إلى ركبتيه، وعنقه ملوي تحت العرش والعرش على كاهله. وقد مدَّ الرجل اليمنى وأخَّر اليسرى، واللوح المحفوظ بين عينيه وقد التقم الصور وشخص ببصره نحو العرش وأنصت بأذنيه ينتظر متى يؤمر بالنفخ في الصور والصور قرن من نور.

قال النبي ﷺ: «الصور قرن من نور، والذي نفسي بيده إن أعظم ثارة فيه كما بين السماء والأرض».

وروي عنه ﷺ أنه قال: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور وحنى جبهته وشخص ببصره نحو العرش وأنصت بأذنيه ينتظر متى يؤمر أن ينفخ في الصور فإذا نفخ فيه مات أهل السموات والأرض إلاّ أربعة أملاك فإنهم لا يموتون إلاّ بعد موت الخلائق وهم، جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فمن شدة صوت إسرافيل تتحرك الأرض من مشرقها إلى مغربها فلا يبقى بناء إلاّ انهدم إلاّ المساجد فإن أساسها يبقى لا ينهدم لفضلها عند الله تبارك وتعالى، لما عُبِدَ فيها ووحِّد وقرىء كلامه فيها وذلك قوله تعالى: ﴿كلُّ شيء هالكٌ إلاَّ وجهه﴾ [القصص: ٨٨] جاء في التفسير أن الأشياء كلها تهلك إلاّ عملاً يراد به وجه الله تعالى، والمساجد لا تهلك لأنها إنما بنيت لوجه الله تعالى.

[٣٣] خشية النبي من هبوب الريح

روي عن النبي ﷺ أنه كان إذا هبت الريح تغير لونه، وكان يخرج ويدخل مرة بعد أخرى من شدة خوف قيام الساعة وزلـزلة الأرض، فإذا كان رسول الله ﷺ يخاف هذا الخوف كله وهو أكرم الخلق على الله فكيف بمن أفنى عمره في السهو

---

[٣٢] حديث «كيف أنعم وصاحب الصور».

الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق باب ما جاء في شأن الصور (٢٤٣١) من حديث أبي سعيد. والإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٢٦) من حديث ابن عباس.

[٣٣] حديث «كان إذا هبت الريح».

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٥٩) من حديث أنس.

والغفلات، وقطع أيامه باللهو والبطلات، وضيع أوقاته في العصيان حتى مات؟؟ وأنشدوا:

نهـارك يـا مغـرور سهـوٌ وغفلـةٌ — وليلـك نـومٌ والـردى لـك لازمُ
وشغلـك فيمـا سـوف تكـره غبـه — كـذلـك فـي الـدنيـا تعيش البهـائـمُ
وفعلـك فعـل الجـاهليـن بـربهـم — وعمرك في النقصـان بل أنـت ظالـمُ
فـلا أنـت فـي الأيقـاظ يقظان حـازم — ولا أنـت فـي النُّـوام نـاجٍ وسـالـمُ
تسـر بمـا يفنـى وتفـرح بـالمنـى — كمـا سر باللـذات في النـوم حـالـمُ
فـلا تحمـد الـدنيـا لكـن قـذمهـا — ولا تكثـر العصيـان إنـك ظـالـمُ

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «انتهيت ليلة أُسري بي إلى السماء السابعة فرأيت إسرافيل قد حنى جبهته وقدم رجلاً وأخَّر أخرى والعرش على منكبه والصور في فيه بين شدقيه وقد تهيأ للنفخ في الصور فما ظننت أن أبلغ الأرض حتى تبلغني النفخة كما رأيت من تهيئته للنفخ».

سئل رسول الله ﷺ عن إسرافيل فقال: «له جناح بالمشرق وجناح له بالمغرب، ورجلاه تحت الأرض السابعة السفلى والعرش على كاهله وإنه ليفكِّر في كل يوم ثلاث ساعات في عظمة الله تعالى فيبكي من خوف الجبار حتى تجري دموعه كالبحار فلو أن بحراً من دموعه أذن له أن يسكب لطبق بين السموات والأرض وإنه ليتواضع ويصغر حتى يصير كالوضع» والوضع طير صغير يشبه العندليب، والعندليب أصغر ما يكون من الطير، فالله الله يا معشر من آمن بالله واليوم الآخر استعدوا لقيام الساعة وزلزالها.

قال الله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرضُ زلزالها﴾ [الزلزلة: ١] تتحرك الأرض وتتمخض وتتطاير الجبال وتنقلع الشجر وتنهدم المباني فلا يبقى على ظهرها من جبالها وشجرها ونباتها شيء إلاّ دخل في جوفها.

قال عكرمة: إنما تقوم الساعةُ على شر الخلق.

[٣٤] متى ينفخ في الصور

قال حذيفة: كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير وكنت أنا أسأله عن الشر مخافة أن يصيبني، فكان النبي ﷺ يقول: «في آخر الزمان فتنٌ كقطع الليل المظلم

فإذا غضب الله تعالى على أهل الأرض أمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة الصعق فينفخ على غفلة من الناس فمن الناس من هو في وطنه ومنهم من هو في سوقه ومنهم من هو في حرثه ومنهم من هو في سفره ومنهم من يأكل فلا يرفع اللقمة إلى فيه حتى يخمد ويصعق. ومنهم من يحدث صاحبه فلا يتم الكلمة حتى يموت فتموت الخلائق كلهم عن آخرهم».

وإسرافيل لا يقطع الصيحة حتى تغور عيون الأرض وأنهارها ونباتها وأشجارها وجبالها وبحارها، ويدخل الكلُّ بعضه في بعض في بطن الأرض والناس خمود صرعى فمنهم من هو صريع على وجهه ومنهم من هو صريع على ظهره وعلى جنبه وعلى خده ومنهم من يكون اللقمة في فيه فيموت وما أدرك أن يبتلعها وتنقطع السلاسل التي فيها قناديل النجوم فتستوي بالأرض من شدة الزلزلة وتموت ملائكة السبع سموات، والحجب والسرادقات، والصادقون والمسبحون وحملة العرش والكرسي وأهل سرادقات المجد والكروبيون ويبقى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليه السلام.

[٣٥] كيف يموت جبريل

يقول الجبار جل جلاله: يا ملك الموت من بقي؟ ـ وهو أعلم ـ فيقول ملك الموت: سيدي ومولاي أنت أعلم بقي إسرافيل وبقي جبريل وبقي ميكائيل وبقي عبدك الضعيف ملك الموت خاضع ذليل قد ذهلت نفسه لعظيم ما عاين من الأهوال. فيقول له الجبار تبارك وتعالى: انطلق إلى جبريل فاقبض روحه، فينطلق ملك الموت إلى جبريل عليه السلام فيجده ساجداً راكعاً فيقول له: ما أغفلك عما يراد بك يا مسكين، قد مات بنو آدم وأهل الدنيا والأرض والطير والسباع والهوام وسكان السموات وحملة العرش والكرسي والسرادقات وسكان سدرة المنتهى وقد أمرني المولى بقبض روحك! فعند ذلك يبكي جبريل عليه السلام ويقول متضرعاً إلى الله تعالى: يا الله هوِّن عليَّ سكرات الموت. فيضمه ملك الموت ضمة يقبض فيها روحه فيخر جبريل منها صريعاً فيقول الجبار جل جلاله: من بقي يا ملك الموت؟ ـ وهو أعلم ـ فيقول: مولاي وسيدي بقي ميكائيل وإسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت.

[٣٦] كيف يموت ميكائيل

فيقول الجبار جل جلاله: انطلق إلى ميكائيل فاقبض روحه فينطلق ملك الموت إلى ميكائيل كما أمره الله تعالى فيجده ينتظر الماء ليكيله على السحاب فيقول له: ما أغفلك يا مسكين عما يراد بك! ما بقي لبني آدم رزق ولا للأنعام ولا للوحوش ولا للهوام، قد مات أهل السموات وأهل الأرضين وأهل الحجب والسرادقات وحملة العرش والكرسي وسرادقات المجد والكروبيون والصادقون والمسبحون وقد أمرني ربي بقبض روحك، فعند ذلك يبكي ميكائيل ويتضرع إلى الله ويسأله أن يهوّن عليه سكرات الموت، فيحضنه ملك الموت ويضمه ضمةً يقبض فيها روحه فيخر صريعاً ميتاً لا روح فيه، فيقول الجبار جل جلاله: من بقي؟ ـ وهو أعلم ـ يا ملك الموت. فيقول: مولاي وسيدي أنت أعلم بقي إسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت.

[٣٧] كيف يموت إسرافيل

فيقول الجبار تبارك وتعالى: انطلق إلى إسرافيل فاقبض روحه، فينطلق كما أمره الجبار إلى إسرافيل فيقول له: ما أغفلك يا مسكين عما يراد بك! قد ماتت الخلائق كلها وما بقي أحد وقد أمرني ربي ومولاي أن أقبض روحك، فيقول إسرافيل: سبحان من قهر العباد بالموت، سبحان من تفرد بالبقاء، ثم يقول: مولاي هوّن علي مرارةَ الموت فيضمه ملك الموت ضمةً يقبض فيها روحه فيخر ميتاً صريعاً، فلو كان أهل السموات في السموات وأهل الأرض في الأرض لماتوا كلهم من شدة رجة وقعته.

[٣٨] كيف يموت ملك الموت

فيقول الجبار تبارك وتعالى: من بقي يا ملك الموت؟ ـ وهو تعالى أعلم ـ فيقول: مولاي وسيدي أنت أعلم بمن بقي، بقي عبدك الضعيف ملك الموت فيقول الجبار تعالى: وعزتي وجلالي لأذيقنك ما أذقت عبادي انطلق بين الجنة والنار ومت، فينطلق بين الجنة والنار فيصيح صيحة لولا أن الله تبارك وتعالى أمات الخلائق لماتوا من عند آخ هم من شدة صيحته فيموت، فتبقى السموات خالية من أملاكها، ساكنة أفلاكها، وتبقى الأرض خاوية من إنسها وجنها وطيرها وهوامها

وسباعها وأنعامها ويبقى الملك لله الواحد القهّار الذي خلق الليل والنهار فلا ترى أنيساً، ولا تحس حسيساً، قد سكنت الحركات، وخمدت الأصوات، وخلت من سكانها الأرضون والسموات.

[٣٩] لمن الملك اليوم؟

ثم يطلع الله تبارك وتعالى إلى الدنيا فيقول: يا دنيا أين أنهارك؟ وأين أشجارك، وأين سكانك، وأيت عُمَّارك، أين الملوك وأبناء الملوك، وأين الجبابرة وأبناء الجبابرة، أين الذين أكلوا رزقي؛ وتقلبوا في نعمتي وعبدوا غيري لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيقول تعالى: الملك لله الواحد القهّار، فينظر الجبار جل جلاله إلى عباده موتى من بين صريع على خده ومن بين بال في قبره ثم يقول: يا دنيا أين أنهارك وأين أشجارك وأين سكانك وأين عمارك وأين الملوك وأين الجبابرة لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيقول تعالى: لله الواحد القهّار فتبقى الأرضون والسموات ليس فيهن من ينطق ولا من يتنفس ما شاء الله من ذلك، وقد قيل تبقى أربعين يوماً وهو مقدار ما بين النفختين، ثم بعد ذلك ينزل الله تبارك وتعالى من السماء السابعة من بحر يقال له بحر الحيوان ماؤه يشبه مني الرجال ينزله ربنا أربعين عاماً فيشق ذلك الماء الأرض شقاً فيدخل تحت الأرض إلى العظام البالية فتنبت بذلك الماء كما ينبت الزرع بالمطر.

[٤٠] كيفية بعث الموتى

قال الله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ [الأعراف: ٥٧] إلى قوله: ﴿كذلك يخرج الموتى﴾ [الأعراف: ٥٧] الآية كما أخرج النبات بالمطر كذلك يخرج الموتى بماء الحياة، فتجتمع العظام والعروق واللحوم والأشعار فيرجع كل عضو إلى مكانه الذي كان فيه في دار الدنيا فتلتئم الأجساد بقدرة الجبار جلَّ جلالُهُ وتبقى بلا أرواح، ثم يقول الجبار جل جلاله: ليبعثن إسرافيل، فيقوم إسرافيل عليه السلام حياً بقدرة الله تعالى فيقول له الجبار: يا إسرافيل التقم الصور وازجر عبادي لفصل القضاء، فأول ما يحيي الله تبارك وتعالى إسرافيل ويأمره أن يلتقم الصور.

[٤١] صفة الصور

والصور قرن من نور فيه أثقاب على عدد أرواح العباد فتجتمع الأرواح كلها فتجعل في الصور.

[٤٢] أين يقف إسرافيل

ويأمر الجبار إسرافيل أن يقوم على صخرة بيت المقدس وينادي في الصور وهو في فيه قد التقمه والصخرة أقرب ما في الأرض إلى السماء وهو قوله تعالى: ﴿**واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب**﴾ [ق: ٤١] ويقول إسرافيل في ندائه: أيتها العظام البالية واللحوم المتقطعة والأشعار المتبددة والعروق المتمزقة، لتقمن إلى العرض على الملك الديَّان ليجازيكن بأعمالكن فإذا نادى إسرافيل عليه السلام في الصور خرجت الأرواح من أثقاب الصور فتنتشر بين السماء والأرض كأنها النحل يخرج من كل ثقب روح ولا يخرج من ذلك الثقب غيره، فأرواح المؤمنين تخرج من أثقابها نائرة بنور الإيمان وبنور أعمالها الصالحة، وأرواح الكفار تخرج مظلمة بظلمات الكفر، وإسرافيل يديم الصوت والأرواح قد انتشرت بين السماء والأرض ثم تدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فيدخل كل روح إلى جسده الذي فارقه في دار الدنيا، فتدب الأرواح في الأجساد كما يدب السم في الملسوع حتى ترجع إلى أجسادها كما كانت في دار الدنيا، ثم تنشق الأرض من قبل رؤوسهم فإذا هم قيام على أقدامهم ينظرون إلى أهوال يوم القيامة، وإسرافيل عليه السلام ينادي بهذا النداء لا يقطع الصوت ويمده مداً والخلائق يتبعون صوته والنيران تسوق الخلائق إلى أرض القيامة.

[٤٣] ملازمة الأعمال للأجساد

فإذا خرجوا من قبورهم خرج مع كل إنسان عمله الذي عمله في الدنيا لأن عمل كل إنسان يصحبه في قبره، فإن كان العبد مطيعاً لربه وعمل عملاً صالحاً كان أنيسه في الدنيا، ويكوّن أنيسه إذا خرج من قبره يوم حشره يؤنسه من الأهوال ومن هموم القيامة وكروبها، كلما نظر العبد المؤمن إلى نار أو إلى هول من أهوال القيامة جزع فيقول له عمله: يا حبيبي ما عليك من هذا شيء، ليس يراد به من أطاع الله وإنما يراد به من عصى الله تعالى مولاه ثم كذَّب بآياته واتبع هواه، وأنت كنت عبداً

مطيعاً لمولاك، متبعاً لنبيك تاركاً لهواك فما عليك اليوم من همٍ ولا حزن حتى تدخل الجنة.

[٤٤] العمل السوء وهيأته

وإذا كان العبد خاطئاً وعاصياً لذي الجلال ومات على غير توبة وانتقال، فإذا خرج المغرور المسكين من قبره خرج معه عمله السوء الذي عمل في دار الدنيا وكان قد صحبه في قبره، فإذا نظر إليه العبد المغتر بربه رآه أسوداً فظيعاً فلا يمر على هول ولا نار ولا شيء من هموم القيامة إلاّ قال له عمله: يا عدو الله هذا كله لك وأنت المراد به، وأنشدوا:

أي يـــوم يكـــون يـــوم النشـــور ... يـــوم فيـــه يفـــوز أهـــلُ القبـــور
يـــوم فيـــه الجـــزاءُ جنـــةُ عـــدن ... لمطيـــع ومـــن عصـــى فـــي سعيـــر
خـــاب مـــن قـــد عصـــى وفـــاز مطيـــعٌ ... راقـــب الله فـــي جميـــع الأمـــور
قـــام فـــي الليـــل لـــلإلـــه ذليـــلاً ... ليـــس يخلـــو مـــن خـــوفـــه للقـــديـــرِ
خـــاف مـــن عِظَـــمِ يـــوم هـــول شـــديـــدِ ... شـــدةَ الهَـــوْلِ مـــن عـــذاب الـــزفيـــرِ

فالله الله عباد الله، معشر المريدين انتبهوا من هذا المنام، واهجروا الفواحش والآثام، وارجعوا إلى طاعة الملك العلّام، من قبل أن يأتي يوم تشّقَقُ السماءُ فيه بالغمام.

[٤٥] إخراج الأرض ما فيها

قال الله تعالى: ﴿**وأخرجت الأرض أثقالها**﴾ [الزلزلة: ٢] يعني ما فيها من الموتى والكنوز، وما أودعها من أعمال العباد ومن مخبآت أسرارهم من أعمال الطاعة وأعمال العصيان. فيأمر الله تعالى أن تخرج أعمال العباد وذلك أن العبد إذا خرج من قبره يجد عمله على شفير قبره، فإن كان عمله صالحاً وجده نوراً يستره ويحجبه، يستر عورته من أعين الناس ويحجبه عن النيران التي تسوق الناس إلى أرض القيامة، وإن كان عملاً سيئاً وجده ظلمة سوداء تكون عليه أشد من كل هول يلقاه من أهوال يوم القيامة.

هذا كله في النفخة الثانية، وبين النفخة الأولى والثانية أربعون سنة، فهو قوله: ﴿**أخرجت الأرض أثقالها**﴾.

فمثل لنفسك يا مغرور وقد ترادفت عليك الهموم والكروب، وأحاطت بك الأهوال والخطوب، وأظهرت لك القبائح والعيوب، وأثقلت ظهرك الأوزار والذنوب وأنشدوا:

قد سوَّدت وجهي المعاصي ... وأثقلت ظهري الذنوبْ
أورثني ذكرها سقاماً ... فليس لي في الورى طبيبْ
يا شؤم نفسي غداةَ حشري ... إذا أحاطت بي الكروبْ
وصوتُ داع دعا باسمي ... أين مفري وما أجيبْ؟
هذا كتاب الذنوب فأقرأ ... فعندها تظهر العيوبْ

ذكر أن العبد إذا خرج من قبره وجد عمله السوء حزمة وملك من ملائكة العذاب واقفٌ عليها، فإذا نظر إلى ما قدم في أيامه قال له الملك: يا عدو الله خذ عملك فاحمله على ظهرك كما كنت تلتذ به في الدنيا ولم تراقب مولاك، وقد علمت أنه مطلع عليك ويراك، فيأخذ العبد المسكين تلك الحزمة فيجدها على ظهره أثقل من جبال الدنيا والنار تسوقه إلى الموقف وملك يسوقه سوقاً حثيثاً بالعنف والانتهار والإغلاظ عليه، وآخر يشهد عليه مع علم الله تعالى فيه. وأنشدوا:

كيف احتيالي إذا جاء الحساب غداً ... وقد حشرت بأثقالي وأوزاري
وقد نظرت إلى صحفي مسودةً ... من شؤم ذنب قديم العهد أوطاري
وقد تجلى لهتكِ السترِ خالقُنَا ... يوم المعاد ويوم الذّلِّ والعارِ
يفوز كلُّ مطيع للعزيز غداً ... بدارِ عدن وأشجارٍ وأنهارِ
لهم نعيمٌ خلودٌ لا نفاذَ له ... يخلَّدون بدارِ الواحدِ الباري
ومن عصى في قرار النار مسكنه ... لا يستريح من التعذيب في النارِ
فابكوا كثيراً فقد حق البكاء لكم ... لايستريح من التعذيب بدمعٍ واكفٍ جاري

فالله الله يا أولي الألباب، تفكروا في هول يوم الحساب، ولا تنسوا المطالبة برد الجواب وأشفقوا على أنفسكم من أليم العذاب، وأرجعوا إلى طاعة رب الأرباب، وابكوا على ما سلف من ذنوبكم بانتحاب.

[٤٦] مدة النفخ في الصور

ذكر أن إسرافيل عليه السلام لا يقطع النداء في الصور حتى تُخرج الأرض

جميع ما فيهما من الموتى جمعا أوجدهما الله تعالى من شيء، فإذا كمل العباد في الموقف وكل إنس الأرض وجنها ووحوشها ودوابها وطيرها وأنعامها وهوامها حتى للمحاسبة قطع إسرافيل النداء بأمر الله تعالى وذلك بعد تبديل الأرض غير الأرض والسموات، ففي تبديلها قولان.

[٤٧] هيأة أرض الحساب

أحدهما أن الأرض التي يحاسب العباد عليها هي أرض من فضة بيضاء لا جبل فيها ولا بناء ولا بحار ولا أنهار ولا أشجار، ما سفك عليها دمٌ ولا عصي الله تعالى عليها يأتي بها من غامض علمه ويقول لها كوني فتكون، وقد أضرم تحتها النيران وتكون هذه الأرض في عظم تلك الأرض مثل الشعرة البيضاء في الثور الأسود.

وقد قيل: إن تبديل الأرض هدم مبانيها، وغور مياهها، وانقطاع أشجارها، وتسجير بحارها، وتسيير جبالها، وتبديل السماء، وتكوير شمسها وقمرها، وانكدار نجومها، وتعطيل أفلاكها، وتشققها. فهذه تبديل الأرض والسموات والله أعلم بحقيقة ذلك.

[٤٨] كيف يقف الناس في المحشر

فإذا قطع إسرافيل عليه السلام النداء وقف الخلائق كل واحد منهم ينظر إلى السماء ولا يرتد إليه طرفه ولا يدري أحد من يقف بجواره لا رجل ولا امرأة ولا يدري الأخ بأخيه ولا الوالد بولده ولا الأم بإبنها. كل إنسان منهم مشغول بما هو فيه من عظيم الأهوال، وكل واحد منهم يفكر فيما قد جاء به من العصيان، وفرّط فيه من الطاعة والنسيان، فالكل ينظر إلى ما ينزل به الأمر من السماء من شقاوة أو سعادة.

[٤٩] مقدار زمن الحشر

ويقال والله أعلم: إن الوقوف يكون مقدار ثلاثمائة سنة من سنين الدنيا لا خبر يتنزّل ولا خبر يصعد. قد كثر الزحام فلا تسمع إلاّ همس الأقدام حيارى نادمون فيما فرطوا فيه من استزلال القدم، يومئذٍ لا ينفع البكاء ولا الندم. وأنشدوا:

ليس في الدنيا لمن آ   من بالبعث سرور
إنما يفرح بالدنـ   ـيا جهول أو كفور
إنما الدنيا متاعٌ   كلُّ ما فيها غرور
فتذكر هولَ يومِ   السما فيه تمور

[٥٠] بكاء النبي من أهوال القيامة

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خوَّفني جبريل عليه السلام من أهوال يوم القيامة حتى أبكاني فقلت له: حبيبي جبريل أليس قد غفر الله لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر؟ فقال: يا محمد لتشاهدن من الأهوال يوم القيامة ما ينسيك المغفرة، فبكى رسول الله ﷺ حتى بلَّت دموعُه لحيَتَهُ» فإذا كان رسول الله ﷺ يبكي من هول يوم الحساب وقد أمَّنه الجبار من أليم العذاب، ووعده بالجنة وحسن المآب، فكيف بأمثالنا المساكين؟ وكيف بمن ترك الحق والصواب، وخالف السنة والكتاب، وأطاع الشيطان وأفنى عمره في معصية الملك الوهَّاب؟ وقد قيل في قوله تعالى: ﴿كلاَّ إذا دُكَّت الأرضُ دكاً دكاً﴾ [الفجر: ٢١] هو تحريكها، وقيل دكّاً دكاً إذهاباً.

[٥١] معنى دك الأرض وانشقاقها

سئل بعض العلماء عن معنى تكرار هاتين الكلمتين، دكاً دكاً وصفاً صفاً؟ فقال: تدكدك الأرض دكاً بعد دك، أي تحرك مرة بعد أخرى حتى لا يبقى عليها أثر من بناء أو جبل أو شجر. وقوله صفاً صفاً، تأتي الملائكة صفاً بعد صف كلُّ ملك قد شغل بنفسه لعظم ما يرى من ظهور الأهوال. فإذا كثر زلزال الأرض: ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ [الحاقة: ١٤] حتى تنقطع الجبال من أصولها وتنشق الأرض وتغور فيها أنهارها وعيونها ويدخل فيها كل قصر شديد من بين قديم وجديد، فيا له من يوم ما أهوله ومن بلاءٍ ما أطوله، ومن جبار ما أعدله. قد أفنى العباد بالحمام فلا يرى أحد من الأنام. فإذا استوى الأولون والآخرون في أرض القيامة أمر الله تبارك وتعالى السموات أن تنشق فتنشق كلُّ سماء وتتقطع مثل قطع السحاب، وقيل كما يتطاير القطن بين يدي القطّانين إذا ندفوه.

فمثل لنفسك صوت انشقاقها في سمعك، وكيف يثبت له فؤادك، ويستقر لفظاعة هوله قدمك، فقدم في أيام حياتك ما يقيك تلك الأهوال لأن الخلق في أهوال يوم القيامة على قدر أعمالهم في الدنيا من خير وشر، فمن عمل صالحاً وخاف من ربه وخاف من هول ذلك اليوم آمنه مولاه من جميع أهواله وكروبه، ومن لم يقدم في دنياه عملاً صالحاً لأخراه لقيته صعاب الخطوب، وترادفت عليه الهموم والكروب، فيندم حين لا تنفعه الندامة إذا حل في أهوال القيامة.

[٥٢] الأمن والخوف

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله تبارك وتعالى إذا خافني عبدي في الدنيا آمنته يوم القيامة وإذا آمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة» فإذا انشقت السمواتُ بلغت القلوب الحناجر، وأيقن كل عبد وأمة أنه قادم على ما عمل في الظواهر والسرائر، إذا انشقت السماوات عظمت المصائب، وكثرت النوائب، وندم العبد على ما فرط في الدنيا وضيع من الثواب والرغائب.

فإذا انشقت السماوات عظمت الرزيَّات، وكثرت الآفات، وظهر العذاب وحلت العقوبات، وأظهر الله مخبآت السريرات، وندم العبد المغرور على ما أذنب في الأيام والأوقات، وما جنى في الشهور والساعات.

فإذا انشقت السماوات كثرت الأحزان، وبرزت النيران، وأزلفت الجنان، وندم العاصي على ما عمل من العصيان، وعلى ما فرَّط فيه من طاعة الرحمن فانتبهوا لهذه الأهوال يا معشر الأخوان، يا أهل الإسلام والإيمان، فإن الهول والله عظيم، والخطب كبير جسيم.

[٥٣] ملائكة سماء الدنيا

فإذا انشقت السماوات وتقطعت ونزلت الملائكة بأجمعها، فإذا نزلت ملائكة سماء الدنيا فزع منهم أهل الأرض وظنوا أنهم قد أمر فيهم بأمر، فتقول لهم ملائكة سماء الدنيا: لا تجزعوا منا فإنا نخاف من الذي تخافون، وتكون ملائكة سماء الدنيا أكثر من أهل الأرض إنسها وجنها وأنعامها وطيرها ووحشها وجميع خلق برها وبحرها سبعين ضعفاً، فتبقي العباد يموج بعضهم في بعض.

[٥٤] ملائكة السماء الثانية

ثم تنزل ملائكة السماء الثانية وهم أكثر عدداً وأعظم خلقاً ممن اجتمع في الأرض سبعين ضعفاً، فتجزع منهم ملائكة سماء الدنيا وجميع من في الأرض فيقولون لهم: لا تجزعوا نحن مشغولون بأنفسنا ونخاف مما تخافون منه. فلا تزال ملائكة كل سماء تنزل ويجزع منهم جميع من سبقهم، ويكون أهل كل سماء أكثر وأعظم ممن سبقهم سبعين ضعفاً. وكأنَّ أهل كل سماء في صف واحد على حدة كلٍ واحد منهم قد شغل بنفسه من عظيم ما يرى وما يبدو له. وأنشدوا:

يا غافلين أفيقوا قبل بعثكم ... وقبل يؤخذ بالأقدام واللممِ
والناس أجمع طرّاً شاخصونَ غداً ... لا ينطقون بلا بكم ولا صممِ
والخلق قد شغلوا والحشرُ جامعهم ... واللهُ طالبهم بالحلِّ والحرمِ
وقد تبدَّى لأهلِ الجمعِ كلِّهم ... وعدُ الآلهِ من التعذيبِ والنقمِ
وكلُّ نفسٍ لدي الجبارِ شاخصةٌ ... لا ينطقون بلا روحٍ من الزحمِ

[٥٥] الجبابرة في الحشر كالذر

روي أن الجبابرة يحشرون يوم القيامة على صورة الذر أصغر الناس خلقة لتجبرهم على العباد في الدنيا قد صارت العزة للغني الحميد، ولزمت الذلة كل جبار عنيد، وشيطان مريد قد ترادفت عليهم الهموم والأهوال، وظهرت لهم العقوباتُ والأنكال، وندم كلُّ مذنبٍ بطَّال، فحينئذٍ لا حيلةَ لمحتال (في يوم لا بيعٌ فيه ولا خلال) شعر:

مقامُ المذنبينِ غداً عسير ... إذا ما النار قربها القديرُ
وقد نصب الصراطِ لكي تجوزُوا ... فلا ينجو الكبيرُ ولا الصغيرُ
وقد نُسِفتْ جبالُ الأرض نسفاً ... ويبِّست البحور فلا بحورُ
وبرزت الجحيم لكل عبد ... على أهل المعاد لها زفيرُ

عباد الله تفكروا واعتبروا، وابكوا وتباكوا. واستعدوا لليوم الثقيل، والهول الكبير، والخطب الجليل، والعذاب الشديد الطويل.

[٥٦] حديث في أهوال يوم القيامة

ذكر في بعض الأخبار عن النبي المصطفى المختار ﷺ وعلى آلِه الأخيار

دوام اختلاف الليل والنهار أنه قال: «لِيَوم القيامة مائةُ ألف هولٍ كلّ هولٍ أعظم من الموت مائة ألف مرة» فاندم يا مسكين على ما صنعت وفات، وأصلح بالتوبة النصوح ما هو آت، من قبل أن تأتي يومٌ لا مردَّ له من الله ليس للظالمين من نصيرٍ، ولا للعاصين من مجير، ولا لأحد من ملجأ ولا نكير.

[٥٧] شدة الحر والظل

فإذا تكامل أهلُ السموات، وأهل الحجب والسرادقات، وحملة العرش والكرسي وجميع أهل الأرض في عرصة القيامة وازدحمت الخلائق واختلفت الأقدام، وشخصت الأحداق وتطاولت الأعناق، وانثنت من شدة العطش، واجتمع زحام الخلائق وأنفاسهم وشدة حر الشمس وضيق البأس، ارتفع العرق على وجه الأرض حتى يعلو على الأبدان ويعم العباد على قدر منازلهم ورتبتهم التي أنزلتهم عليها أعمالهم التي عملوها في دار الدنيا، وقد زيد في حر الشمس ما يتضاعف ـ قيل حر عشر سنين ـ ولا ظل يومئذٍ إلاّ ظل العرش فلا يصيب منه عبد ولا أمة إلاّ على قدر عمله، فكم بين مستظل ناعم بظل العرش وبين صاح باد بحر الشمس؟.

[٥٨] مطر الرحمة

وقد قيل: إن الله تبارك وتعالى يمطر يوم القيامة الغيث على طائفة من عباده وترمي جهنم شَرَرها على طائفة أخرى، فكم من مستريح ببرد ماءِ الأمطار وبين ملتهب بحر شرر النار؟ فمن قطع عمره في الدنيا بطاعة الرحمن وعمل بالسنة والقرآن، خلّصه مولاه من جميع الهموم والأحزان.

[٥٩] ترهيب من أهوال الحشر

فمثل لنفسك وقد نظرت للجبال قد تقلعت من أصولها وصارت مثل السراب، وتقطّعت السماوات وتطايرت مثل قطع السحاب، وقد أيقن كل فاجر وكافر بالحلول في أليم العذاب، وقد صارت العزة لذي البطش الشديد، ولزمت الذلة كل جبار عنيد، ثم رجعت السماء كالمهل وهو دردي الزيت الذي يجلس في قعر الإناء قيل ترجع السماء كالدهن الرقيق وترجع الجبال كالعهن المنفوش وهو أضعف ما يكون من الصوف وتصير الخلائق كالفراش وهو البعوض وقيل كالجراد

المنتشر إذا خرجت عليه الشمس لا يأخذ بجهة واحدة. كذلك الخلق يموج بعضهم في بعض لكل أمرىء منهم يومئذٍ شأن يغنيه. قد اجتمعت القيامة بأهوالها ووضعت الحوامل أحمالها، وزلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها، وشهد على الأمم بأعمالها. وشاب الوليد، وحضر الوعد وحق الوعيد، وعظم الهول الشديد، وذلَّ كلُّ متكبر وجبار عنيد. قد خضعت الرقاب لرب الأرباب، وخاب كلُّ كفَّار كذَّاب، واشتد الهول وعظم العذاب، فتفكروا فيما تسمعون يا معشر الأحباب، وانظروا لأنفسكم يا جماعة الأخوان والأصحاب، واستعدوا لأهوال القيامة يا أولي العقول والألباب. وأنشدوا:

مثِّل لقلبك أيها المغرور ... يومَ القيامةِ والسماء تمورُ
قد كُوِّرت شمسُ النهارِ وأضعفت ... حراً على روس العبادِ تفورُ
وإذا الجبالُ تعلقت بأصولها ... فرأيتها مثل السحاب تسيرُ
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبدلت بعد الضياء كدورُ
وإذا العشار تعطلت عن أهلها ... خَلَت الديارُ فما بها معمورُ
وإذا الوحوش لدى القيامة أحضرت ... وتقول للأملاك أين نسيرُ
فيقال سيروا تشهدون فضائحاً ... وعجائباً قد أُحضِرَت وأمورُ
وإذا الجنين بأمه متعلِّقٌ ... خوفَ الحساب وقلبُهُ مذعورُ
هذا بلا ذنبٍ يخافُ لهوله ... كيف المقيمُ على الذنوبِ دهورُ؟؟

[٦٠] جهنم في المحشر

فإذا اشتد الفرق، وسال العرقُ، أمر الجبار جل جلاله أن يؤتى بجهنم أعاذنا الله وإياكم منها وزحزحنا وإياكم عنها برحمته، فيؤتى بها وأهوالها وأنكالها وسلاسلها وأغلالها، وقد اشتد جحيمُها وغلا حميمُها وكثر زقومها وغضب زبانيتها وعظم سم حيَّاتها وعقاربها واسودت جبالها وهاجت بحارها ونتن غسلينها وغلى سمومها وقد اجتمعت مما خلق الله فيما من عظيم بلائها، فأبرزت للخلائق وهم ينظرون إليها من مسيرة خمسمائة عام.

[٦١] وصف جهنم

قال الله تعالى: ﴿**وبرزت الجحيم لمن يرى**﴾ [النازعات: ٣٦] فيراها

الخلائقَ كلها وهي تغتاظ على العباد، وتغضب لغضب الجبار جل جلاله وتتغيظ وتتسعر، عليها سبعون ألف زمام من حديد قد تعلق بكل زمام سبعون ألف ملك من ملائكة النار يحبسونها عن الخلائق وهي تريد أن تنفلت من أيديهم وتأتي على أهل الموقف والملائكة التي يحبسونها وجوههم مثل الجمر وأعينهم مثل البرق الخاطف، فإذا تكلم أحدهم تناثرت النار من فيه، بيد كل واحدٍ منهم أرزبةٌ من حديد من نار فيها إثنان وسبعون ألف رأس من نار كأمثال الجبال الراسيات العظام ورؤوسها كرؤوس الأفاعي وهي أخف في يدي الملك من الريشة وأعينهم زرق ووجوههم كَلِحةٌ قد خلقوا من نار السموم فتريد جهنم أن تنفلت من أيدي الملائكة من غضب الجبار جل جلاله.

هذا كلّه قاله الضحاك عن الأئمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم.

[٦٢] بطش جهنم

فإذا جاءت جهنم بأمر الله تبارك وتعالى جاءت بالهول الأكبر والفزع الأعظم فيخرج من نفسها وهجٌ شديدٌ ويسمع من جوفها دوي سلاسل الحديد. فإذا قربت من الخلائق سمعوا لها شهيقاً ورأوا لها حريقاً، فإذا نظرت في أهل المعاصي ثارت وفارت وأرادت أن تثب عليهم فاغتاظت وتمحمحت إليهم وأرادت أن تأتي على جميع الخلائق وتريد أن تنفلت من أيدي الخزان فتهرب الخلائق فلا يجدون منفذاً ولا مكاناً يستغيثون إليه، ومنادى ينادي **﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان﴾** [الرحمن: ٣٣] أي بحجة، ثم ترجع جهنم بسلطانها على خزانها لشدة غضب الجبار على من عصى الله وخالف رسوله، فإذا انفلتت من أيـدي الزبانية أرادت أن تقبض على كل من في الموقف فيعرض لها صلوات الله وسلامه عليه محمد الرسول وكل نبي يومئذٍ بنفسه مشغول.

[٦٣] رد الرسول جهنم عن الخلائق

فيأخذ محمد ﷺ بزمامها، ويقبض علي خطامها، فيردها على عقبها وهو ﷺ يقول لها: كفّي عن أمتي، فتخمد من نوره ﷺ وتناديه: أيها النبي المكرم والرسول المشرف المعظم، خلِّ سبيلي من يديك، فما جعل الله لي ولا لغيري من سلطان

عليك فيناديها الملك الجليل الجبار، هذا محمد حبيبي سيد الأبرار، ووزير الأخيار، فالطاعة لمن له الوسيلةُ والشفاعةُ فعند ذلك تضع جهنم رأسها خاضعة كالحة كليلة تحت سكون وخمود بإذن الملك المعبود، لمحمد ﷺ صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، واللواء المعقود، والكرم والجود، وإقامة الحقائق والحدود. ولو تركها خاتم النبيين، وسيد المرسلين، لأهلكت الخلائق أجمعين، غضباً لغضب رب العالمين. أعاذنا الله وإياكم برحمته منها إنه أرحم الراحمين.

[٦٤] جهنم وزفيرها

وقيل إن جهنم أعاذنا الله منها، وزحزحنا وإياكم برحمته عنها، إذا نظرت إلى الكفار والمنافقين والفجار، وأصحاب الخطايا والأوزار، زفرت زفرة فترمي شرراً على رؤوس الخلائق مثل عدد نجوم السماء وزبد البحر ورمل البر، فتقع على رؤوس الكافرين والعاصين لرب الأولين والآخرين. فلو كانت الدنيا باقية لأنهارت جبالُها، وجفت أزهارُها ويبست عيونها وأنهارها، من شدة حر جهنم، ولو كان ثَمَّ موتٌ لمات الخلق كلهم.

[٦٥] الزفرة الثانية

ثم تزفر أخرى أعظم من الأولى فلا تبقى دمعة في عين إلّا قطرت ويغلب بياض العين على سوادها، وتبلغ القلوب الحناجر، ولا يسأل أحد إلّا نفسه البر والفاجر.

[٦٦] الزفرة الثالثة

ثم تزفر الثالثة وهي أعظم من الأولى والثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي ولا صديق إلّا جثا على ركبتيه حتى إبراهيم وجميع المرسلين إلّا ما خلا من حبيب رب العالمين محمد ﷺ خاتم النبين فإنه لا يسأل عن هول النار قد خلصه الله من أهوالها.

[٦٧] الزفرة الرابعة

ثم تزفر الرابعة وهي أعظم من الأولى والثانية والثالثة فتلقي الزبانية على

وجوههم أجمعين وتفر الخلائق كلهم هاربين، ويتعلق جبريل وميكائيل عليهما السلام بساق العرش وكل ملك ينادي: نفسي نفسي لا أسألك اليوم غيرها. ويقول أيضاً كل واحد منهم: بحرمة محمد وبقدر محمد ﷺ نجني من عذابك لما يرون من حرمته وجلالة قدره وعظيم منزلته عند ربه فإذا هرب الخلائق وجهنم تريد أن تأتي عليهم وقد غلا بعضها في بعض ويقلب بعضها على بعض ولا يبقى غل ولا سربال ولا سلسلة ولا قيد ولا حية ولا عقرب إلاّ ألقت الكل على متنها.

[٦٨] بماذا تخمد النار

فعند ذلك يقبل إليها محمد ﷺ ويلقي يده في زمامها ويلوح إليها بحلة خضراء فتخمد من نور وجهه المبارك وهو ﷺ يضرع إلى العلي المجيد وهو يقول: يا سلام سلّم أمتي من العذاب الشديد. وأنشدوا:

حسب الفتى من عصى حسن ... الدمع في خد من دموعه الحزن
لما خلا والعباد ما فطن ... يا من شكى حافظاه خلوته
وأنت لاهي الفؤاد مفتتن ... قد كان ربي عليك مطلعاً
ولا انقضت من عطائه المنن ... لم تهتك السرّ إذ خلوتَ به
لم يعلم المذنبون ما وسن ... النار تسعى إلى العصاة غداً

يا قوم العجب من القلوب التي بليت بالعباد، وغفلت عن أهوال يوم المعاد، وتمادت على معصية الرب الكريم الجواد.

يا أخي كأن المراد بهذا كله غيرنا. ليبعثن الجبار الذليل والحقير، ويسألهم عن الفتيل والنقير، وعن الذرة والقطمير، وعن القليل والكثير، في اليوم المهول العبوس العسير، الذي يشيب من فظاعة هوله الطفل الصغير، رفق الله بنا وبكم في ذلك اليوم إنه على ما يشاء قدير.

ثم يبعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى جهنم فيقول لها: الله تعالى يقول لك الطاعة فتقول: وعزة الله وعظيم جلاله لأنتقمن اليوم ممن لم يعمل بطاعة الله واستعان بنعمته على معصيته. ثم تقول: يا جبريل هل خلق الله خلقاً يعذبني به؟ فيقول جبريل: لا ما خلقك الله إلي إلاّ نقمة لمن عصاه. فتقول جهنم عند ذلك: الحمد لله الذي جعلني نقمة لمن عصاه ولم يجعل من خلقه من ينتقم مني. عند

ذاك والله تعظم الخطوب، وتظهر القبائح والعيوب، ويندم أهلُ المعاصي والذنوب. وأنشدوا:

ليس في الدنيا لمن آمن بالبعث سرور

فإنا لله وإنا إليه راجعون على من باع نفسه في سوق الخسران، وترك العز ورضي بالهوان وبذل مهجته لعذاب النيران، وبارز بالخطايا الملك الديَّان.

[٦٩] من أسباب غفران الذنوب

حكي عن بعض العارفين رحمه الله أنه قال: حضرت سنة من السنين الوقوف بعرفات فإذا بضجة الناس، فتذكرت يوم القيامة وذكرت رحمة الله فأردت أن أحلف أن الله قد غفر لكل من في الجمع فذكرت أني فيهم فأمسكت. وأنشدوا:

يا كثير الذنوب أقصر قليلاً قد بلغت المدى من الإسراف

فإذا اشتد بالخلائق الهلع، وكثر منهم الخوف والجزع، وبلغت القلوب الحناجر، من خوف من يعلم الظواهر والسرائر، نادى الملك الرحمن: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون. فإذا سمعت الخلائق هذا النداء طمع كل منهم فيه. فيقول سبحانه: ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ [الزخرف: ٦٩] فعند ذلك ييأس من الرحمن جميع الكفار والمنافقين والفجار، ويطمع فيها من آمن بالواحد القهار، واتبع سنة محمد المختار. عند ذلك تنشر الدواوين، وتوضع الموازين وتتطاير الصحف في الألف فكل امرىء بما اكتسب معترف، فندم الظالم، وخسر الآثم، وظهرت في الصحائف الفضائح، وكثر الخجل واشتد الوجل وبدت الفضائح، وشهدت على كل أمرىء حفظته والجوارح. وأنشدوا:

طال والله بالذنوب اشتغالي وتماديت في قبيح فعالِي
ليت شعري إذا أتيت فريداً والموازين قد نُصبن حيالِي
والدواوين قد نشرن وجئنا والنبيون يشهدون سؤالِي
ما اعتذاري وما أقول لربي في سؤالي وما يكون مقالِي
أورثتني الذنوب دار هموم لست أبقى لها ولا تبقى لي
يا عظيم الجلالِ مالي عذرٌ بل حقيق أنا بنار السفالِي
غير أن الرجاءَ فيك مكينٌ فارحم العبدَ يا جميلَ الفعالِ

وتفضَّــل علــى عبــد مســيء ليس يرجو سواك يا ذا الجلالِ

[٧٠] هذا يوم الدين

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين نادى منادٍ هذا يومُ الدين، هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون» فانظر لنفسك يا مسكين، يا ضعيف الإيمان واليقين، يا من يقول إنه من المؤمنين المصدقين. وهو يعمل أعمال المكذبين المخالفين، التاركين لسنن سيد المرسلين وخاتم النبيين. ما أجراك أن تكون عند الله من الكاذبين، لو خفت من عذاب يوم الدين، لعملت بالقرآن المبين، ولو كنت من المؤمنين المصدقين، لأطعت رب الأولين والآخرين. فسل مولاك أن يفرج عنك ما قد نزل بك من داء الذنوب، وهتك سترك من القبائح والعيوب. وأنشدوا:

يــا طبيــب الــذنــوب والآثــام هــل دواء أبــرأ بــه مــن سقــامــي؟
إنَّ داءَ الــذنــوب أضعــف جسمــي ومشيبــي مــوكــلٌ بحمــامِــي
وشفــائــي أعيــا الأطبــاءَ إنِّــي قــد تغــذيــتُ مــدتــي بــالحــرامِ
وركبــتُ الــذنــوبَ ســراً وجهــراً وتبــاعــدتُ مــن محــلِّ الكــرامِ
كيــف بــالطــبِّ أن يعــالــجَ سقمــي وكــلامِــي يــزيــدُ قــرحَ كــلامِــي
أيهــا النــاسُ قــد علمتــم ذنــوبــي واغتــراري وشقــوتــي واجتــرامــي
وأنــا أرغــب الــدعــاءَ فجــدوا فــي فكــاكِــي مــن الــذنــوبِ العظــامِ
واشتيــاقــي إلــى الطــواف شــديــدٌ وإلــى الــركــنِ والصفــا والمقــامِ
وإلــى يثــرب يحــنُّ فــؤادي كــي أزورَ النبــيَّ خيــرَ الأنــامِ
فسلــوا الله فــي الــوصــولِ فــإنــي ذو اشتيــاقٍ لحــج بيــتِ حــرامِ
فلعــل الإلــه يغفــر جــرمــي وينجــى مــن هــولِ يــوم القيــامِ
ويفــك المنَّــانُ عبــداً ضعيفــاً مــات خــوفــاً مــن العــذاب الغــرامِ

[٧١] موعظة كعب الأحبار

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب: يا كعب خوفنا. فأطرق برأسه ثم رفع رأسه وعيناه تذرفان دموعاً فقال: يا أمير المؤمنين والذي نفس كعب بيده أن جهنم لتزفر زفرة فتقطع السلاسل التي بأيدي الزبانية الذين يمسكونها بها

حتى تفيض على أهل الجمع وتلقي الزبانية على وجوههم وينهزم مالك خازنها من بين يديها، فلو كان لكل آدمي عمل مائة ألف نبي ومائة ألف صديق ومائة ألف شهيد، لحقر عمله ولظن أنه لا ينجو منها. فعند ذلك يعرض لها النبي ﷺ وقد أشرقت القيامة من نور وجهه فيأخذ بزمامها ويقول لها: كفّي عن أمتي، كفّي عن أمتي، ثلاثاً. فتقول له: يا أيها النبي الكريم والرسول الرؤوف الرحيم، ما جعل الله لي عليك ولا على أمتك من سبيل. فعند ذلك يتعلق العبد المذنب إذا رأى الأهوال العظام بالنبي عليه الصلاة والسلام فيقول: يا رسول الله أنقذني من عذاب الله. فيقول له: ألم أبلغك رسالة ربي فلم عصيت؟ فيقول له العبد المذنب: يا رسول الله غلبت علي شقوتي. فيقول ﷺ: لا شقوة على أحد من أمتي، ولا على من قال في الدنيا مخلصاً لا إله إلاّ الله محمد رسول الله. فيشفع له إلى الله تعالى فيشفع فيه.

وأنشدوا:

ألا أكرم بأحمد ذي الأيادي ... شفيع الناس في يوم التنادِي
إذا نشر الخلائق من قبورٍ ... عراة يبتغون ندا المنادِي
وقُرِّبتُ الجحيمُ لمن يراها ... فيا لله من خوف العبادِ
وقد زفرت جهنم فاستكانوا ... سقوطاً كالفراش وكالجرادِ
وقد بلغت حناجرهم قلوبٌ ... وقد شخصوا بأبصارٍ حدادِ
فيا جبار عفواً منك فالطف ... ويا رحمن رفقاً بالعبادِ
ونودوا للصراط ألا هلموا ... فهذا ويحكم يومُ المعادِ
تسوقُكُم إليه سوق عنف ... مقامعُ من زبانيةٍ شدادِ
ألا يا معشَر الإسلام هبوا ... من الإغفال في غمر الرقادِ

[٧٢] حديث في الترهيب

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كل عين باكية يوم القيامة إلاّ عين بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله».

---

[٧٢] حديث: «كل عين باكية يوم القيامة».

أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار (٤٧٩٦) من حديث أبي هريرة. وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٦٣) من حديث أبي هريرة.

فقدموا عباد الله في اليسير من الأيام، ما يقيكم الأهوال العظام، والخطوب الجسام، والزلازل والطوام، والعذاب الغرام، فإن العمر يسير، والأجل قصير، والزاد قليل، والهول جليل، والعذابُ طويلٌ، واليوم مهولٌ ثقيلٌ. فإنا لله وإنا إليه راجعون على من قطع أيامه في العصيان، واستبدل الجنة بالنيران، والربح بالخسران، وترك العز ورضي بالهوان، وعوّض عن الزيادة النقصان، ففكر فيما تسمع أيها الإنسان، وأنا وأنت وكلنا ذلك الإنسان وأنشدوا:

مقام المذنبين غداً ذليلُ وقدرُ الطائعين غداً جليلُ
إذا مُدَّ الصِراطُ على جحيم تصولُ على العصاة وتستطيلُ
ونادى مالكاً خذ من عصاني فإني اليوم لست لهم أقيلُ

[٧٣] سجود جهنم

ذكر في بعض الأخبار أن جهنم أعاذنا الله منها، وزحزحنا برحمته عنها، تستأذن يوم القيامة في السجود فيأذن لها فتسجد ما شاء الله من ذلك ثم يقال لها: ارفعي فترفع رأسها وهي تقول: الحمد لله الذي خلقني لينتقم بي ممن عصاه، ولم يجعل شيئاً من خلقه ينتقم به مني.

آلهي قد اشتد بلائي وأخمدت ناري، وغلا حميمي وزقومي، وكثر نتني وغسليني - وأكل بعضي بعضاً. إلهي عجل علي بأهلي فوعزتك لأنتقمن لك ممن عصاك واتبع هواه وجحد آياتك وكذب رسلك وجعل معك إلّهاً غيرك لا إله إلاّ أنت. فتنادى نداء يسمعه أهل الموقف جميعاً ثم تغتاظ على أهل المعاصي فترمي بشرر كعد النجوم في السماء وزبد البحر ورمل البر ونبات الأرض على رؤوس الخلائق فيقع على رؤوس العصاة فمن كان له عمل صالح صار حجاباً بينه وبين شرر جهنم، ومن لم يكن له عمر صالح صار رأسه غرضاً لشرر جهنم أعاذنا الله منها وزحزحنا عنها برحمته يا رب العالمين آمين.

٣

مجلس في ذكر الميزان والصراط

[٧٤]

قــال الله سبحــانه وتعــالى: ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً**﴾ [الأنبياء: ٤٧] الآية عباد الله ما لقلوبكم لا تخشع، وما لآذانكم لا تسمع، وما لدعائكم لا يسمع، وما لعيونكم لا تدمع، وما لبطونكم من السحت، والحرام لا تشبع، وما لعملكم المحمود لا يرفع إخواني من شغل نفسه بخدمة المعبود المحمود؟ من خاف من ورود الناس وبئس الورد والمورود؟.

[٧٥] افتخار الوحوش على بني آدم

ذكر في بعض الأخبار أن الوحوش تجتمع يوم القيامة فتخر ساجدة فيقال لها: ما هذا يوم السجود، فتقول: إنما سجدنا شكراً لله الذي لم يجعلنا من ولد آدم وجعلنا ممن يشهد فضائح بني آدم.

فالله الله يا إخواني اقبلوا النصيحة، قبل يوم الخجل والفضيحة.

فإذا كان يوم القيامة وجاءت جهنم بأهوالها يضرب الصراط على متنها طوله خمسمائة عام، وقد قيل طوله ستة وثلاثون ألف سنة من سنين الدنيا، أرق من الشعر، وأحد من الموسى، وقيل أحد من السيف وأحر من الجمر وقد قيل إنه شعرة من جفن مالك خازن جهنم يمدها على متن جهنم عليه حسكٌ وكلاليبُ قد تعلق بكل كلوب منها عدد نجوم السماء من الزبانية لو أن واحداً منهم أَذِنَ الله له أن يتنفس في الدنيا لأحرقها بإنسها وجنِّها وجميع ما ذرأ الله فيها ولأذابَ جبالها وجفف بحارها.

[٧٦] صفة الصراط

والصراط أسود مظلم من شدة سواد جهنم فلا يجوز يومئذ إلاّ من كان له

نور، ولا يكون النور يومئذ إلاّ من الأعمال الصالحة، فمن عمل عملاً صالحاً نجّاه من النار، وجاز إلى دار الراحة والقرار. ومن لم يقدم في الدنيا عملاً صالحاً حجب عن النظر إلى وجه الجبار، وهوى في دار الندامة والبوار. في دار عذابها سموم وشرابها حميم وظلها لا بارد ولا كريم، وطعامها الزقوم يتردى والله في دار عذابها أليم، ومسكنها جحيم، وساكنها أبداً في العذاب مقيم يتردى والله في نار قعرها بعيد وعذابها شديد، وشرابها صديد، ومقامعها حديد، وما هي من الظالمين ببعيد. وأنشدوا:

أما آن يا أخ أن تستفيقا ... وأن تتناسى الحمى والعقيقا
وقد ضحك الشيب في عارضيك ... وبانت مساويك فيه بروقا
وركب أتاهم وقد عرضوا ... على أتباع المنايا طروقا
أدارت عليهم كؤوس الحمام ... صُبوحاً (تلازمهم) أو غبوقا
وما زال فيهم غراب الحمام ... فيسمعهم للمنايا نعيقَا
ويحجل في عرصات القصور ... وحتى أعاد الفسيحاتِ ضيقَا
ألا فازجر النفسَ عن غِيِّها ... عساك تجوز الصراط الدقيقَا
مقامُ به تذهل المرضعاتُ ... وتلقى الحواملَ وعداً صدوقَا
وتبرز للناس نارُ الجحيم ... لها عنقٌ تترامى حريقَا
شرابهم المهلُ في قعرها ... تُقَطِّع أمعاءهم والعروقَا
إذا طبقت فوقهم لم يكن ... لتسمع إلاّ البكا والشهيقَا
أذلك خير أم القاصرات ... تخال مباسمهن البروقَا
قصرن على حب أزواجهن ... فمشتاقة تتلقى مشوقَا
لقد فاز من كان للمصطفى ... بدار المقامة يوماً رفيقَا

[٧٧] حسن العمل والصراط

فمثل لنفسك يا مسكين وقد جئت إلى الصراط وقد رأيت العاملين، وقد جازوا وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم، ورأيت الباطلين في ظلمات البطالات وغمرات الجهالات. فالله الله يا جماعة الضعفاء، يا من قطع عمره في الخلاف والجفاء خذوا لأنفسكم بالاحتياط، واحذروا الأهوال الصعبة عند جواز الصراط. لأن الصراط لا يجوزه آثم، ولا ينجو منه ظالم. والصراط حق رقيق، لا

ينجو منه من خالف التحقيق، وترك السنة ومنهاج الطريق الصراط طويل بعيد، لا يجوز إلاّ من أخذ نفسه بالحزم الشديد، واستقام على طاعة الولي الحميد. الصراط مهول مخوف، لا يجوزه إلاّ من أغاث الملهوف، وأطاع الرحيم الرؤوف الصراط صعبٌ مهولٌ، لا يجوزه إلاَّ من اتبع سنة محمد الرسول، وأطاع رباً لا يحولُ ولا يزول، الصراط كثير الزبانية لا يجوزه إلاَّ من أطاع مولاه في الفانية، وراقب الله في السرِّ والعلانية.

وذكر في بعض الأخبار أنه لا يجوز الصراطَ العبدُ والأمةُ إلاّ من بعد نشر الدواوين، ووضع الموازين.

[٧٨] الموازين يوم القيامة

ذكر أن لكل إنسان ميزاناً يوزن به عملُهُ فمن عمل عملاً سيئاً خفَّت موازينه وهوى في النار وقد قيل: إن الميزان هو منصوب بين يدي عرش الرحمن يوزن به أعمال العباد.

وكان الحسن رضي الله عنه يقول: لكل إنسان ميزان يوزن به عمله من خير وشر، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ونضع الموازينَ القسطَ ليوم القيامة﴾ [الأنبياء: ٤٧] الآية. وأما قوله تعالى: ﴿وأما من ثقلت موازينه، وأما من خفت موازينه﴾ [القارعة: ٨] فهو ميزان الحسنات وميزان السيئات وقوله: ﴿ثقلت وخفت﴾ فقوله: ﴿ثقلت﴾ بقول لا إله إلاّ الله بالإخلاص، و ﴿خفت﴾ من الحسنات بالشرك والنفاق والرياء والسمعة. لأن العبد قد يقول: لا إله إلاّ الله على معصية ويقول لا إله إلا الله والله أكبر على أخذ مال مسلم، فإنما ذلك نفاق لأن النبي ﷺ قال: «من قال لا إله إلاّ الله مخلصاً رجح ميزانه ونجا من النار ودخل الجنة» فقيل: يا رسول الله وما إخلاصها؟ فقال: «أن تزحزحكم عما حرَّم الله عليكم».

[٧٩] وزن الأعمال

ذكر في بعض الأخبار أنه يقدم عبد يوم القيامة للحساب فيخرج له تسعة

---

[٧٩] «حديث البطاقة».

الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إلّه إلاّ الله (٢٦٣٩) من=

وتسعون سجلاً مملوءة بالسيئات فتوضع في كفة الميزان فيشتد همّ العبد وكربه فيقول الجبار جل جلاله: لعبدي عندي ذخيرة ادخرتها له، فيأمر الله تبارك وتعالى أن يخرج له رقعة صغيرة فيها مكتوب، مات فلان وهو يشهد ويقول لا إله إلاّ الله مخلصاً.

[٨٠] كلمة التوحيد

فيقول الله تعالى: ضعوها في ميزان عبدي فتوضع في ميزانه فتميل الميزان بها وترجح على جميع سيئاته فعند ذلك يفرح العبد فيأمر الله تبارك وتعالى به إلى الجنة وأنشدوا:

أعـــددت لله حيـــن ألقـــاه   أشهـــد أن لا إلـــه إلاّ الله
أقـــولهـــا لـــلإلـــه خـــالصـــة   يـــرحمنـــي فـــي القيـــامـــة الله
لعـــل يـــومَ الحســـاب أنـــجُ بهـــا   يـــومُ العقـــوبـــة يـــوم زاد بلـــواه
يـــوم يفـــوز علـــى الأشهـــاد قـــائلهـــا   ويخســـر الجـــاحـــدون نعمـــاه
فهـــي لـــدار الخلـــود قـــائـــدة   ومـــن عصـــى فـــالجحيـــم مـــأواه
مـــن قـــالهـــا لـــلإلـــه مخلصـــةً   فهـــو الـــذي قـــد أتـــاه تقـــواه
وهـــو الـــذي فـــي الخلـــد مسكنـــه   الله قـــد خصَّـــه فيهـــا وأرضـــاه
قـــد فـــاز عبـــد يكـــون ذاكـــرهـــا   بـــدار عـــدن جـــوار مـــولاه
يحظـــى بـــدار الخلـــود قـــائلهـــا   طـــوبـــى لمـــن قـــالهـــا وطـــوبـــاه
مـــن كـــان عنـــد الممـــات قـــائلهـــا   فـــاز بـــدنيـــاه وأخـــراه

فالله لله عباد الله ارغبوا إلى مولاكم أن يثبتكم على الكلمة المباركة الخفيفة في اللسان الثقيلة في الميزان، المزينة للديوان، بها يرضى الملك الرحمن، وبها يسخط اللعين الشيطان، وبها ينجو العبد المذنب من النيران، وبها يصل العبد إلى نعيم الخلد والآمان.

[٨١] فضل الصدقة

ذكر أن العبد إذا قدم إلى ميزانه وأخرجت سجلات سيئاته أعظم من جبال

= حديث عبدالله بن عمرو بن المعاص. وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٣٠٠).

الدنيا فإذا وجدت له صدقة طيبة تصدق بها لم يرد بها إلاّ وجه الله تعالى، ولم يطلب بها جزاء من مخلوق ولا رياء ولا سمعة ولا محمدة ولا شكر، فإن تلك الصدقة توضع في الميزان بأمر الملك الخلاق فترجح على جميع سيئاته ولو كانت سيئاته مثل وزن الجبال وأنشدوا:

يا جامع المال يرجو أن يدوم له ... كُلْ ما استطعت وقدم للموازين
ولا تكن كالذي قد قال إذ حضرت ... وفاته ثُلُثُ مالي للمساكينِ

واعملوا عباد الله أن الميزان إذا نصب للعبد فهو من أعظم الأهوال يوم القيامة، لأن العبد إذا نظر إلى الميزان انخلع فؤاده وكثرت خطوبه، وعظمت كروبه فلا تهدأ روعة العبد حتى يرى أيثقل ميزانه أم يخف، فإن ثقل ميزانه فقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه فقد خسر خسراناً مبيناً، ولقى من العذاب أمراً عظيماً.

[٨٢] شفاعة الرسول

ذكر في الأخبار أن أمة محمد ﷺ إذا قدموا إلى الميزان عظمت كروبهم، حين أظهرت لهم قبائحهم وعيوبهم، ووزنت أوزارهم وذنوبهم، وضاقت حيلهم، وتغيرت أحوالهم، فعند ذلك يأتيهم النبي الشفيع محمد ﷺ، فإذا نظر إلى أمته قد تحيروا عند الميزان دعا الله أن يثقل موازينهم، فيأمره الله تعالى أن ينظر إلى موازين أمته فينظر ﷺ إليها فترجح موازينهم من نظره ونور وجهه ﷺ.

ذكر أن الميزان بيد جبريل عليه السلام وله كفتان احدهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، وأن الذرة والخردلة والحبة من أعمال العباد من الخير والشر لتوضع في الكفة فتميل بها بقدرة الله تعالى، فالله أعلم بحقيقة ذلك. فلا يحقرن أحدكم حسنة يعملها وإن صغرت في عينه فربما ثقلت الميزان، ولا يحقرن أحدكم سيئة يعملها وإن صغرت فربما خففت الميزان. لأن الذنب الصغير في عين محتقره يأتي يوم القيامة وهو في الميزان أعظم من الجبال الرواسي.

[٨٣] ما يثقل الميزان

قال الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً﴾ =

---

[٨٣] حديث «كلمتان خفيفتان على اللسان».

[الأنبياء: ٤٧] الآية. روى أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» وقيل جاء رجل إلى رسول الله تعالى فقال: يا رسول الله جئتك تعلمني علماً يدخلني الجنة وينجيني من النار. فقال له النبي ﷺ: «ألا أدلك على كلمتين ثقيلتين في الميزان، خفيفتين على اللسان، ترضيان الرحمن؟ وتسخطان الشيطان، تقول سبحان الله والحمد لله فإنهما المقربتان يقربان من الجنة، ويبعدان من النار» فكل من زعم أن الميزان ليس هو حق، فقد رد على الله في كتابه، وعلى رسوله ﷺ في سنته.

[٨٤] الرأس في الخير والرأس في الشر

روي عن الحسن رضي الله عنه أنه قال: يؤتى يوم القيامة بالميزان فتوضع بين يدي الله تبارك وتعالى ثم يدعى العباد للحساب فإذا كان العبد أو الأمة رأساً في الخير يدعو إليه ويأمر به دعي باسمه، ثم يقرب من الميزان فتوزن حسناته وسيئاته ولو كانت حسنة واحدة ولو كانت سيئاته أكثر من حسناته وأثقل من جبال الدنيا، لأن الله تبارك وتعالى إذا تقبل من العبد أو الأمة حسنة واحدة غفر له جميع ذنوبه وإن كثرت ذنوبه.

وقد قال رسول الله ﷺ لعائشة: «يا عائشة لو قبل الله تعالى من العبد سجدة واحدة لأدخله بها الجنة» فقالت: يا رسول الله فماذا يصنع بأعمال العباد؟ فقال رسول الله ﷺ: «يأكلها الرياء والسمعة كما تأكل النار الحطب» وإذا كان العبد أو الأمة رأساً في الشر يأمر به ويدعو إليه دعي باسمه فقدم إلى الميزان فتوضع حسناته وسيئاته فترجح سيئاته على حسناته ولو كانتِ سيئاته واحدة ولو كانت حسناته أكثر وأثقل من جبال الدنيا لأن الله تعالى أحبطها ولم يتقبل منها حسنة واحدة، ويأمر بهم ذات الشمال إلى النار. فقال أصحابه رضي الله عنهم: يا رسول الله أما كانوا مسلمين؟ فقال ﷺ: «كانوا يصلون كما تصلون، ويصومون كما تصومون، ويزكون كما تزكون ، ويقومون من الليل برهة، ولكن كانوا إذا عرض لهم درهم حرام وثبوا

= ١ ـ البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح (٦٤٠٦) من حديث أبي هريرة. مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح (٢٦٩٤/ ٣١).

عليه كالذئاب فأحبط الله أعمالهم بذلك ولم يتقبل منهم حسنة واحدة، وإذا لم يتقبل الله من العبد حسنة واحدة فأحرى أن لا يؤثر في الميزان، لأن الحسنات لا تنفع ولا تثقل الميزان إذا لم يتقبلها الله تعالى لأنه تعالى لا يقبل إلاّ ما كان لوجهه خالصاً». فالله الله عباد الله إذا عملتم عملاً فأخلصوا لله فإن الله لا ينفعكم ولا يتقبل منكم إلاّ ما كان لوجهه خالصاً. وأنشدوا:

من كان يعلم أن الله باعثه — يوم الحساب لدى نشر الدواوينِ
فلا يزد بفعال البر أجمعها — إلاّ الحساب وتثقيل الموازينِ

فقدموا عباد الله للميزان بلزوم طاعة الرحمن. قدموا للموازين بطاعتكم لسلطان السلاطين.

إخواني وأعظم مصيبة وحسرة من خفَّت موازينه من الحسنات، وأمر به إلى العذاب والعقوبات. والويل ثم الويل لمن خفت موازينه من صالح الأعمال، وغضب عليه ذو الجود والإفضال، وأمر به إلى العذاب والنكال، وإلى السلاسل والأغلال.

[٨٥] وزن أعمال العباد

يا إخواني فإذا وزنت أعمال العباد، وخفَّ من خفَّ وثقل من ثقل؛ أمروا أن يمضوا إلى الصراط فيجيء كل إنسان إلى الصراط فيقحم الصراط فمن الناس من يضع عليه قدمه، فيزل من أول قدم يضعه فيهوي في النار، ومن الناس من يمشي القليل منه ويزل في النار، ومنهم من يجوزه كالبرق الخاطف، ومنهم من يجوزه كالريح الهبوب، ومنهم من يجوزه كالطير السريع في طيرانه، ومنهم من يهرول، ومنهم من يكون كالضعيف إذا مشى، ومنهم من يكون كالمبطون الذي يمشي على يديه ورجليه، ومن الناس من يأتي إلى الصراط فتخرج النار فتأخذه فتهوي به، كل هذا على قدر أعمال العباد وأنوارهم ورتبتهم، على قدر القبول من الله تبارك وتعالى بها، وعلى قدر تثقيل الموازين وتخفيفها. فإذا أتى العبد من أمة محمد ﷺ إلى الصراط فمن كان من أهل الذنوب ولم يكن له عمل يجوز به على الصراط بقي متحيراً لا يقدر على الجواز. فبينما هم في شدة الفزع من هول الصراط إذ أقبل محمد ﷺ.

[٨٦] نور الرسول على الصراط

فإذا نظر صلوات الله وسلامه عليه إليهم كساهم نور وجهه ﷺ ما يجوزهم الصراط، فيأخذ كل واحد من نور وجه المصطفى ﷺ على قدر صلاته عليه في الدنيا، فيستبق العباد في الجواز على قدر ما أخذوا من النور الذي أخذوه من نور وجه المصطفى وكلما أخذ الخلق من نور وجهه ﷺ زاد الله تبارك وتعالى في النور في وجه الحبيب محمد ﷺ فأكثروا من الصلاة على نبيكم ﷺ فإن صلاتكم عليه مبلغة إليه.

[٨٧] فضل الصلاة على النبي

قال النبي ﷺ: «أنجاكم من أهوال يوم القيامة ومواطنها أكثركم عليَّ صلاة وأولاكم بشفاعتي أكثركم عليَّ صلاة» فأكثروا من الصلاة عليه يا معشر المذنبين، فهو شفيعكم يوم الجزاء والدين، ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وجعلنا بالصلاة عليه من الآمنين من عقابه، والفائزين برحمته من عذابه، إنه منعم كريم. وأنشدوا:

ألا أكرم بأحمد ذي المعالي ... شفيع الناس في يوم السؤالِ
إذا مُدَّ الصراط على جحيم ... تصول على العباد باستطالِ
إذا كان النبي لنا شفيعاً ... سننجوا من سلاسلها الطوالِ
ولو كانت خطايانا جساماً ... تَشَبَّه بالثقال من الجبالِ
لجزنا في الصراط بغير حزن ... إلى دار الخلود مع الجلالِ

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يمر الناس على الصراط فالزَّالون والزَّالات كثير وأكثر ما تزل النساءُ» ذكر أن الصراط عليه زبانية ينظرون إلى وجوه العباد فمن رأوا في وجهه نوراً تركوه أن يتحول ويجوز، ومن لم يروا في وجهه نوراً كبكبوه في النار، ولا يكون النور يومئذ إلا من العمل الصالح.

[٨٨] جسور جهنم

روى بعض العلماء عن التابعين وعن بعض الصحابة أنهم قالوا: إن جهنم أعاذنا الله منها عليها سبعة جسور وهي القناطر، ثلاثة دون الرب سبحانه وتعالى، الرابعة الوسطى عليها الرب جل جلاله لأحد ولا كيف تسليماً وإيماناً وتصديقاً.

[٨٩] القنطرة الأولى

والصراط أحدُّ من السَّيف فيقول الله تبارك وتعالى حين يبلغون القنطرة الأولى: وقفوهم إنهم مسؤولون، ما لكم لا تَنَاصَرُون، فيحبسون فيحاسبون على الصلاة فمن وجدت صلاته تامة نجا من تلك القنطرة ومن لم توجد له صلاةٌ تامة هوى في النار فينجو من نجا ويهلك من هلك.

[٩٠] القنطرة الثانية

ثم يحبسون على القنطرة الثانية فيحاسبون على الأمانة وهي أمانة الخالق وأمانة الخلق وإذا أراد الله بعبده خيراً جعل الغنى في قلبه وجعله أميناً لله وأعانه على أداء الأمانات التي افترض عليه جل جلاله من الوضوء والاغتسال والصلاة والصيام والزكاة وإعطاء كل ذي حق حقه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفظ لحدود الله فذلك العبد الذي ألهمه الله تعالى رشده، وبصَّره عيوبَ نفسه وجعل غناه في قلبه.

تأدية الأمانة وتضييعها: وإذا أراد بعبده شراً جعل فقره بين عينيه وفي قلبه وكسَّله عن إداء الأمانات من المفترض الذي افترض عليه وعلى جميع عباده، وغيَّب عنه رُشده، وسلَّط عليه الشيطان فزين له سوءَ عمله وحبَّب إليه عيوبه. فإذا كان العبد كذلك فلا يبالي عما قال ولا عما قيل فيه، ولا يكون همه إلاّ في دنياه وإصلاحها ولا يبالي بتلاف دينه فذلك العبد الذي قد سخط عليه مولاه وأبعده عن أبواب الخير كلها، وقرَّبه من أبواب الشرِّ كلها. قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون**﴾ [الأنفال: ٢٧].

[٩١] تضييع الأمانة

ذكر في بعض الأخبار أنه يؤتى بمضيع الأمانة فيقال له: أدِ ما ضيعت فيقول: يا رب ذهبت عني الدنيا فمن أين أؤديها؟ فيخلق له مثلها في قعر جهنم أعاذنا الله منها فيقال: إنزل إليها وأخرجها إلى صاحبها، فينزل العبد المسكين إليها فيرفعها على كتفه فهي أثقل من جبال الدنيا كلها، فإذا صار الشقي المسكين إلى أعلا جهنم وقعت من كتفه إلى قعر جهنم، فيقال له انزل إليها فينزل مرة أخرى ويرفعها، فإذا صار إلى أعلاجهنم وقعت منه فلا يزال هذا عذابه إلى ما شاء الله تعالى من ذلك. هذا كله عند جواز الصراط والله أعلم. وهذا العبد والله أعلم الذي ضيع أمانات الناس. وأنشدوا:

خرجت من الدنيا وقد خُنتَ أهلَهَا — وصرت إلى النيران بالوِزْرِ والإثم
وطالبني الجبَّارُ بالصِّدق والوَفَا — وبان لأهل الجمع ما كان من جرمِي
وقيل لكل الخلق هذا مضيعٌ — أمانة ربِّ العرشِ والذِّكر والحكمِ

[٩٢] القنطرة الثالثة

ثم يحاسبون على القنطرة الثالثة وهي أدنى من الرب جل جلاله ـ بلا تكييف ولا تحديد ـ فيحاسبون على صلة الرحم كيف وصلوها.

[٩٣] صلة الرحم

ولِمَ قطعوها والرحم يومئذ تنادي: اللهم من وصلني فصله، ومن قطعني فاقطعه. فينجو من نجا ويهلك من هلك.

[٩٤] القنطرة الرابعة

ثم يمرون على القنطرة الرابعة فيحاسبون على بر الوالدين فينجو من نجا ويهلك من هلك وهو السؤال العظيم لأن الله تعالى قد قرن شكره بشكر الوالدين فقال جل اسمه وعز وجهه: ﴿أن أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير﴾ [لقمان: ١٤] فالله تعالى يقول في بعض كتبه المنزلة.

[٩٥] شكر الوالدين

أَرْضِ والدَيْكَ فإن رضائي في رضا الوالدين وسخطي في سخط الوالدين، فلو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل ألف صديق وكان عاقاً لوالديه ما نظر الله تبارك وتعالى في شيء من عمله وكان مصيره إلى النار وما من عبد مسلم أو أمة مسلمة ضحك في وجه والديه أو أحدهما إلاّ غفر الله له ما كان منه من الذنوب والخطايا وكان مصيره إلى الجنة. وأنشدوا:

الوالدان إلى شكر الإله وصول — والوالدان إلى دار السلام سبيلُ
صِلْ والديك ولا تقطع حبالَهُما — ليجزينك في دارِ البقاءِ جليلُ

[٩٦] القنطرة الخامسة

ثم يحبسون على القنطوة الخامسة فيحاسبون على حفظ اللسان من الغيبة والنميمة وشهادة الزور فينجو من حفظ لسانه ويهلك من سرح لسانه بما لا يعنيه

لأنه ليس من جوارح العبد أشد ذنباً من اللسان، لأن كلمة يتكلم بها العبد أو الأمة تكون سبباً لدخول النار.

[٩٧] ترك الغيبة والنميمة

وقد كان بعض الخائفين إذا أصبح أخذ لوحاً ودواةً، وجعلهما بجواره فإذا تكلَّم كلمةً كتبها في اللوح ويقول لنفسه: هكذا أثبتها عليك الملك بأمر الملك، فإذا غربت الشمس وصلَّى صلاةَ المغرب وضع اللَّوحَ بين يديه وجعل يقرأ ويبكي ويقول في بكائه ونحيبه وتقريره لنفسه: يا نفس كأني بك وقد سئلت عن هذا عند جواز الصراط، يا نفس تراك بأي كلمة من هذه تدخليني النار؟ فلا يزال يبكي حتى لا يجد بكاء وتفرغ دموعه فيغشى عليه، فإذا أفاق مما هو فيه أخرج اللوح وكتب ما فيه بقرطاس وهو يقول متضرعاً: يا الله عفواً ورفقاً ولطفاً بعبدك. فلم يزل هذا دأبه حتى مات، فرآه بعض الصالحين في المنام في حالة حسنة فسأله عما لقي من الله تعالى فقال: ما يلقى من الكريم إلا الكرم، جعل محاسبتي لنفسي في الدنيا بدلاً عن الحساب في الآخرة، وجعل دموعي التي بكيت في الدنيا أنهاراً ترويني يوم العطش الأكبر، وتفضَّل الكريم عليَّ بدخول الجنة وبجواز الصراط، ومَنَّ علي بالفضيلة العظيمة والزيارة الكبرى إلى وجهه الكريم.

[٩٨] كلمة الشر وعذابها

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة فينزل بها في النار بعد ما بين المشرق والمغرب، فإذا أراد الله تبارك وتعالى بعبده خيراً أعانه على حفظ لسانه وشغله بعيوب نفسه عن عيوب غيره».

قيل مر رجل على رجل فسلم عليه، فقال له الرجل الذي سلم عليه: يا أخي لو كشفت لك عن حالي ما سلَّمتَ عليَّ! فقال له الرجل الذي سلم عليه: يا أخي لو كشفت لي عيوبك لكان في عيوبي ما يشغلني عن جميع عيوبك. فجلس كل منهما يبكي في ناحية حتى بلَّ كل واحد منهما الأرض بدموعه ثم تفرقا.

---

[٩٨] حديث «إن الرجل ليتكلم بالكلمة....».

أخرجه ابن حبان في صحيحه: باب مـا يكره من الكلام ومـا لا يكره (٥٦٧٧) من حديث أبي هريرة.

[٩٩] شهادة الزور

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من شهد شهادة زور على ذمي أو مسلم أو من كان من الناس، علق بلسانه في الدرك الأسفل من جهنم».

وفي بعض الأخبار أن شهادة الزور من أعظم الكبائر عند الله تعالى وشاهد الزور يعلق بلسانه بكل كلمة في شهادة الزور، وبكل حرف كتب فيها شهادته ألف عام على الصراط عند القنطرة الخامسة. ولو أن شاهد الزور جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً ما نظر الله إليه. وكذلك صاحب الغيبة والنميمة لا يجوز من هذا الصنف الصراط إلا أن يعفو الله أو تدركه الشفاعة. وأنشدوا:

إذا ازدحم العباد لكي يجوزوا ... تساقط كلُّ جبَّار أثيمِ
بقعر النار ليس لهم مغيثٌ ... ولا للعاصي يوماً من جميمِ
ومن يطع الآله فسوف ينجو ... من التعذيب في قعر الجحيم
إذا نُصبَ الصِّراطُ على جحيم ... فيالله من هولٍ عظيمِ
ألا يا معشر الإسلام توبوا ... من العصيان للربِّ الرحيمِ

إخواني أطيعوا الله في السر والإعلان، واعملوا بالسنة والقرآن، واتركوا الأوزار والعصيان، واحذروا من هول الصراط المنصوب على سموم النيران.

[١٠٠] القنطرة السادسة

ثم يحبسون على القنطرة السادسة فيحاسبون على حفظ الجار، فينجو من حفظ جاره وأكرم ضيفه، ويهلك من خان جاره ولم يكرم ضيفه.

[١٠١] إكرام الضيف

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»

---

[٩٩] حديث «شهادة زور....».

البخاري: كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور (٢٦٥٤) من حديث أبي بكرة. مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر (٨٧/ ١٤٣)

[١٠١] حديث «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر».

البخاري: كتاب الأدب، باب إكرام الضيف (٦١٣٨) من حديث أبي هريرة.

مسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار (٤٧/ ٧٥).

وكرامته أن يكرمه لوجه الله وتكون ضيافته من حلال، وأما من أنفق على ضيفه من حرام فإنه لا ثواب له. فما أنفق على الضيف في الخمر أو مما لا يرضي الله تعالى به فإن ذلك الضيف يأتي يوم القيامة يتعلق هذا بهذا ويلعن هذا بهذا، ثم يأتيان إلى الصراط وكل واحد منهما يلوم صاحبه ويقول له: لعنك الله الذي ساعدتني على الإنفاق في غير الله، ثم يقال لهما: جوزوا الصراط ففي أول قدم يضعان على الصراط يهويان في النار.

[١٠٢] البركة مع الضيف

وقال رسول الله ﷺ: «الضيف إذا دخل بيت المؤمن دخلت معه ألف بركة وألف رحمة، ويكتب الله تعالى لصاحب المنزل بكل لقمة يأكلها الضيف حجة وعمرة».

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «درهم ينفقه الرجل على ضيفه أفضل من ألف دينار ينفقها في سبيل الله، ومن أكرم الضيف لوجه الله أكرمه الله تعالى يوم القيامة بألف كرامة وخلّصه من النار وأدخله الجنة».

وقد جاء في حديث عائشة ـ رضي الله تعالى ـ عنها أن النبي ﷺ كان يقول لها: «يا عائشة لا تتكلفي للضيف فتمليه» وإنما أراد ﷺ مداومتها على إكرام الضيف.

وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا علي إذا جاءك الضيف فاعلم أن الله تعالى قد منَّ عليك إذ بعثه إليك ليغفر لك ذنبك بذلك».

[١٠٣] ينزل الضيفُ برزقه

وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس لا تكرهوا الضيف فإنه إذا نزل نزل برزقه، وإذا رحل رحل بذنوب أهل المنزل».

---

[١٠٢] حديث «يا عائشة لا تتكلفي للضيف».

عزاه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ٢٣٨) إلى أبي عبدالله محمد بن باكويه الشيرازي والرافعي من طريق عياص بن أبي قرصافة عن أبيه.

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: ما من منزل ينزل فيه ضيف إلا بعث الله تبارك وتعالى إلى ذلك المنزل قبل نزول الضيف به بأربعين يوماً ملكاً على صورة طائر ينادي: يا أهل المنزل فلان بن فلان ضيفكم في يوم كذا وكذا، والخلف من الله من باب كذا وكذا، فتقول الملائكة الذين وُكِّلوا بأهل الدار: وبعد الخلف ما يكون؟ فيخرج لهم ذلك الملك كتاباً فيه مكتوب: قد غفر الله لأهل المنزل ولو كانوا في ألف.

وفي حديث آخر أنه قال: ما من عبد من عباد الله المؤمنين أكرم ضيفاً لوجه الله الكريم إلاّ نظر الله إليهم إن كانوا جماعة، فإن كان الضيف من أهل الجنة وكان ربُّ المنزل من أهل النار، جعله الله تعالى من أهل الجنة بإكرامه ضيفه.

وفي حديث آخر، أن الضيف ورب المنزل ـ وأرباب المنزل إن كانوا جماعة ـ يأتون الصراط فيأخذ كل واحد منهم بيد صاحبه فيجوز الصراط أسرع من البرق اللامع، فإن لم يكن فيهم من له عمل يجوز الصراط أمر الله الملك الموكل بنفقة الضيف أن يأخذ بيدهم ويجوز الصراط ولو كانوا مئة ألف.

[١٠٤] إطعام الطعام

وإطعام الطعام ينقسم على ثلاثة أوجه، مخلوف، ومسلوف، ومتلوف، فالمخلوف الذي يطعم لوجه الله لا يريد به غير الله تعالى ولا يطلب به جزاء من مخلوف، والمسلوف الذي تضيفه مرة ويضيفك أخرى. والمتلوف كل ما كان إطعامه على المعاصي. والمخلوف والمسلوف فيهما الأجر إلاّ أن المخلوف أعظم أجراً، والمتلوف هو حسرة وندامةٌ يوم القيامة. وأنشدوا:

يـا مُكـرمَ الضيـفِ للـرحمـنِ خـالِقنَـا ... عنـد الصِّـراط ستلقـى الخيـرَ مـوفـوراً
أكرِم ضيوفَكَ كي ترجو الجواز غداً ... على الصِّراط وترجو الخلدَ مجبوراً

[١٠٥] حفظ الجار

وأما حفظ الجار فإن العبد أو الأمة يُسألُ عن حفظه، فمن حفظ جاره جاز

---

[١٠٥] حديث «ما آمن بالله واليوم الآخر...».

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٥٩). من حديث أنس. وحسنه الحافظ المنذري في الترغيب (٣/ ٣٥٨).

الصراط ونجا من العذاب الأليم، وصار إلى جنة الخلد ودار النعيم.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره جوعان، لو بات ريّان وجاره عطشان» ومن كرامة حفظ الجار أن توقظه عن الغفلات تلهمه إلى الطاعات، وتأمره بإقامة الصلوات.

[١٠٦] تعلق الجار بالجار

ذكر في بعض الأخبار أن الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يا رب جاري هذا خانني في الدنيا. فيقول الله تبارك وتعالى: لمَ خنت جارك؟ فيقول: وعزتك وجلالك ما خنته لا في مال ولا في أهل وأنت أعلم بذلك. فيقول له جاره: ما فعلت ذلك ولكن رأيتني على المعاصي فلم تزجرني عنها فيؤمر به وبصاحبه إلى النار ولا يغفر الله لهما. وما من عبد مسلم أو أمة مسلمة حفظ جاره وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر إلاّ جوزه الله تبارك وتعالى على الصراط قبل العباد بخمسمائة عام.

[١٠٧] الوصية بحفظ الجار

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لقد أوصاني ربي لية أسرى بي بحفظ الجار حتى ظننت أنه سيورثه» وبعض العلماء يرى شفاعة الجار. فكل من حفظ الجيران، فقد أطاع الرحمن، وأسخط الشيطان، وعمل بالسنة والقرآن. روي أن الرجل الصالح والمرأة الصالحة يشفعان يوم القيامة في سبعين من جيرانهما ويجوِّزانهم على الصراط. عباد الله من حفظ الجار نجا من النار، وجاز الصراط إلى دار القرار، ومن حفظ الجار فقد عمل بالسنة والكتاب، وأطاع الملك الوهّاب، وأسخط الشيطان اللعين الكذّاب، وما من جار يلقى جاره المسلم فيسلم عليه إلاّ غفر الله لجاره ولو كان له ألف جار. حفظ الجار قربة ووسيلة، ودرجة عند الله وفضيلة. وأنشدوا:

---

[١٠٧] حديث «لقد أوصاني ربي».

الحديث بهذا اللفظ لم نعثر عليه والرواية المشهورة «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الوصية بالجار (٦٠١٤) من حديث عائشة.
ومسلم: كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار (٢٦٢٤/ ١٤٠).

يا حافظَ الجارِ ترجو أن تنال به عفوَ الإله وعفوُ الله مذخورُ
الجار يشفع للجيرانِ كلِّهم يوم الحسابِ وذنب الجارِ مغفورُ

[١٠٨] القنطرة السابعة

ثم يحبسون على القنطرة السابعة فيُسألون عن الصِّدق، فمن حفظ لسانه عن الكذب نجا من الصراط ونجا من النار وصار إلى الجنة مع الأبرار.

[١٠٩] الصدق والكذب

ومن كذب فقد خالف الكتاب والسنة، وقد حُرِمَ نعيم الجنة.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كذب المؤمن كذبة من غير عذر تباعد منه الملكان مسيرة سنة من نتن ما جاء به، وكتب الله تبارك وتعالى عليه بكذبة ثمانين خطيئة أقلها كمن يزني بأمه».

[١١٠] كذبة المؤمن بثمانين خطيئة

وإذا كذب المؤمن من غير عذر يخرج من فيه شيء منتن حتى يبلغ العرش فتلعنه حملة العرش ويلعنه ثمانون ألف ملك، ويكتب عليه ثمانون خطيئة أقلها مثل جبل أحد. الكذب نفاق، والكذب من الكبائر، وإذا استحل العبد الكذب فقد استحل المحارم كلها وإذا لم يستحل العبد الكذب لم يقدر أن يباشر شيئاً من محارم الله، وأن الصادق إذا جاء الصراط سبقه نور وجهه مسيرة مئة عام ـ يعني على الصراط ـ ومن صدق عمل بكتاب الله، واتبع سنة رسول الله والصادق أسرع جوازاً على الصِّراط وأسرع الناس دخولاً الجنة. والكاذب في أول قدم يضعها على الصراط يهوي في النار، فلا ينجو من الجسر السابع ـ وهو أصعبها ـ إلاّ من صدق ويهلك من كذب، جعلنا الله وإياكم برحمته ممن صدق فنجا. وأنشدوا:

أصدق يريك إله العرش جنّته يوم المعاد ولا تولع بتكذيبِ
إن الصَّدوق لدى الرحمن منزِلُهُ دارُ الخلود بلا مَوْتٍ وتعذيبِ

---

[١٠٩] حديث «إذا كذب المؤمن».

الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الصدق والكذب (١٩٧٢) من حديث ابن عمر وقال: حسن جيد غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه.

يـومُ الجزاءِ على متـن الصِّـراط إلـى دار النعيـم بـلا حـزن وتكئيـبِ

ذكر في بعض الأخبار أن الصادق يجوز على الصراط وهو لا يشعر به ولا يهوله فالله الله عباد الله كونوا من الصادقين، ولا تكونوا من الكاذبين، وتأسُّوا بخاتم النبيين وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

[١١١] نجاة الصادقين

ذكر في بعض الأخبار أن الناس الذين ينجون من الصراط وهوله يحبسون بقنطرة بين الجنة والنار، يتقاصُّون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذبوا أُذِنَ لهم بدخول الجنة. قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن أحدهم مسكنه في الجنة أدل منه لمسكنه الذي كان في الدنيا» يا لها من كرامة، ويا لها من نعمة، ويا لها من منَّة، ويا لها من فرحة. فقدموا عباد الله في اليسير من الأوقات، والقليل من الساعات، ما يُجوِّزكم الصراط، ويقيكم الآفات. الصراط على متن جهنم ممدودٌ، لا يجوزه إلاّ من خاف من أهوال اليوم الموعود، وأطاع الملك المعبود، الغفور الودود.

[١١٢] الصلاة تجوز على الصراط

ذكر في بعض الأخبار أن من صام ثلاثة أيام من كل شهر وقام في ليلة من لياليها يصلي عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثلاث مرات، فإذا فرغ من صلاته صلى على محمد ﷺ عشر مرات ثم يقول: «سبحان من كان ولا مكان، سبحان الموجود بكل حين وأوان، سبحان المعبود في كل أوان، سبحان المُسبَّح بكل لسان، سبحان المنجي من الهلكات، سبحان خالق الأرضين والسموات، جوَّزه الله تبارك وتعالى على الصراط أسرع من البرق الخاطف، ولا يؤذيه حر النار ويمضي إلى الجنة مع أول زمرة من الصحابة والتابعين، ويشفِّعه الله تعالى في سبعين من أهله وجيرانه. وهي أفضل ما يصام من الشهر وهي يوم ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «يمر الناس على الصراط فالزَّالُّون والزَّالات كثيرٌ وأكثر مايَزَلُّ النساء، وجبريل عليه السلام آخذ بحجزتي إذا عصفت الريح بأمتي فصاحوا يا محمداه فلولا أنَّ جبريل عليه السلام آخذ بحجزتـي لاغثـت أمتي،

فيبادرون جوازاً فلا يجوزه ظالم، فيبقون متحيرين ثم يتداركهم الله برحمته وبفضل دعائي لهم فيقول: جوزوا على الصراط بعفوي فيجوزوا» اللهم اغفر لنا جميعاً برحمتك. وأنشدوا:

لـو علـم الخلـق مـا يـراد بهـم ... وأيّمـا مـوردٍ غـداً يـردوا
مـا استعـذبـوا لـذةَ الحيـاةِ ولا ... طـاب لهـم عيـشٌ إذا رقـدوا
خـوفـاً مـن العـرض والصـراط على ... نـارِ تَلَظَّـى وحـرُّهـا يقـدُ
والنـاسُ فـي هـول مـوقـف عَسِـرٍ ... قـد عـاينـوا هَـوْلَـه الـذي وُعِـدُوا
يـا لـك مـن مـوقـفٍ يفـوز بـه ... قـومٌ هـم للجنـانِ قـد وفُـدوا
مـع النبـي قـد اصطفـاه خـالقنـا ... صلـى عليـه المهيمـن الصمـدُ

عباد الله اشتروا أنفسكم من مولاكم باليسير من الأعمال، وبالقليل من الأفعال، وبالطِّيب من الأقوال، من قبل حبسكم على الصراط لشدة الأهوال، يوم لا بيعٌ فيه ولا خلال، بين يدي الكبير المتعال.

[١١٣] كيفية الجواز على الصراط

ذكر في بعض الأخبار أن الناس ينقسمون في جواز الصراط سبعة أقسام، فيجوز أول قسم من الرجال والنساء كطرفة عين، والقسم الثاني كالبرق الخاطف، والقسم الثالث كالريح العاصف، والقسم الرابع كالطير المجدّ، والقسم الخامس كالخيل في جريها، والقسم السادس كالماشي، والقسم السابع كالمهرول.

[١١٤] أقسام الناجين على الصراط

فأما القسم الأول فهم أصحاب الصدقات وقوام الليل والعلماء يقدمونهم.

والقسم الثاني هم الذين استقاموا على أداء الفرائض ولم يفرطوا فيها وأدوها في أوقاتها.

والقسم الثالث هم الذين أدوا الزكاة ولزموا صحبة العلماء وأحبوهم.

والقسم الرابع هم الذين وصلوا أرحامهم وطلبوا بصلتها رضاء مولاهم.

روي عن النبي ﷺ أنه أوصى عند موته بصلة الرحم، وما من عبد وصل رحمه بنفسه أو ماله إلاّ جعله الله تعالى يوم القيامة على الصراط كالذي يمشي في

رياض الجنة، ولا يرى من أهوال الصراط شيئاً، ويدخل الجنة مع أول زمرة تجوز الصراط وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم.

والقسم الخامس هم الذين غضوا أبصارهم عن محارم الله، وصانوا فروجهم عن الفواحش، وحفظوا أزواجهم عما لا يحل لهن، وحجبوهن ولاطفوهن ورفقوا بهن كما قال ﷺ.

[١١٥] حديث في العناية بالنساء

«النساء ودائع الأحرار، ولا يعزهن إلاّ عزيز، ولا يذلهن إلاّ ذليل، والذليل عند الله في النار» وكذلك المرأة إذا عزَّت زوجها وأطاعته فيما يرضي الله تعالى.

والقسم السادس هم الذين تجنبوا الربا والحرام، وتجنبوا الخيانة في المكيال والميزان. وقد قال رسول الله ﷺ: «كل مال خالطه الربا فهو زاد صاحبه إلى النار».

[١١٦] آكل الربا

وقد ذكر أن آكل الربا يأتي الصراط فيجعل الله تبارك وتعالى كل درهم وكل حبة وكل ثوب وكل لقمة وكل شيء أكل أو اكتسبت يداه من الربا ثعباناً من نار يخطفه من على الصراط ويهوي به في قعر جهنم مع اليهود، ومن تاب تاب الله عليه وغفر له ما جنى.

والقسم السابع هم الذين بروا الوالدين وبروا الأزواج وبروا الجيران وبروا الإخوان ولزموا المساجد وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وحفظوا حدود الله ولم تأخذهم في الله لومة لائم وعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وأنشدوا:

أتطمع بالنجاة وكيف تنجو ... ولست على نجاتك بالحريصِ
ولو في نيلها أعملت حرصاً ... لنلت الفوزَ بالثمن الرخيص
ولكني أراك تريد عزاً ... وحالك حالُ ممتهنٍ نقيصِ
وليس لمن تعرَّض للمعاصي ... - هديت - عن الضلالة من محيضِ

[١١٧] المتصدقين سراً وعلانية

يا أحبابي إذا جاز الناس الصراط وجدوا خلقاً كثيراً نساء ورجالاً قد سبقوهم إلى الجنة فيقولون: من هؤلاء الذين سبقونا؟ فتقول لهم الملائكة: هؤلاء الرجال

الذين تصدقوا في السر ابتغاء وجه الله، وتصدقوا في العلانية ليحببوا الصدقة إلى عباد الله، هؤلاء الذين فرجوا عن المكروبين. وهؤلاء النسوة اللواتي أطعن أزواجهن، وحفظن فروجهن، وحفظن ألسنتهن عن أذى الزوج وعن أذى الجيران، وتصدقن في السر والإعلان، تسبق هذه الزمرة جميع الناس إلى الصراط وجوازه بخمسمائة عام. ومن كان من إخوانهم من أهل الذنوب جازوا في شفاعتهم، فإذا جازت أول زمرة من الأولين السابقين، وزمرة المتأخرين يبقى رجل واحد فيضع قدمه الواحدة فتزل فيبقى بالقدم الأخرى، فيركب الصراط على بطنه والنار تصيبه على قدر ذنوبه.

[١١٨] آخر من يبقى على الصراط

فلا يزال يحبو ويتدرج ويبكي ويتضرع إلى الله تعالى حتى يجوز، فإذا جاز ونجا رد رأسه ونظر إلى الصراط وأهواله وأهوال أهل النار وعواء أهل النار في النار فيقول: سبحان الذي خلصني منك ونجاني من أهوال النار. فبينما هو ينظر إلى الصراط ويقول هذا القول يبعث الله تعالى إليه بلطفه ملكاً من ملائكته فيأتيه فيأخذ بيده ويقول له: قم يا عبد الله فينطلق إلى غدير من ماء على باب الجنة فيقول له الملك: اغتسل من هذه الماء واشرب منه، فيغتسل العبد ويشرب كما أمره الملك فيعود كالقمر الطالع ليلةالتمام، وتعود رائحته كرائحة أهل الجنة ولونه كألوان أهل الجنة،ثم ينطلق به إلى قرب جهنم فيقول له: قف هاهنا حتى يأتيك إذن من ربك، فينظر إلى أهل النار ويسمع عواءهم كعواء الكلب يستغيثون من شدة العذاب، فإذا سمع العبد أهل النار وما هم فيه بكى وقال: يا رب اصرف وجهي عن أهل النار حتى لا أنظر إليهم ولا أسمع صوتهم ولا أسألك غير هذا، فيأتيه ذلك الملك من عند رب العالمين فيحول وجهه عن أهل النار إلى أهل الجنة، فينظر إلى ناحية أهل الجنة فيرى بينه وبين باب الجنة روضة خضراء ما رأى أحد قط مثلها، ثم ينظر إلى باب الجنة وجماله وعرضه مسيرة أربعين يوماً للطير المسرع و اللهأعلم من أي الأعوام، يقول: يا رب قد أحسنت إليَّ الإحسان كله جوزتني الصراط وأنجيتني من النار وأدنيتني من باب الجنة هذه الروضة أسألك أن تبلغني إليها ولا أسألك غير ذلك فيأتيه ذلك الملك فيقول له: يا ابن آدم ما أكذبك ألست قد عزمت أنك لا تسأل غير هذا المقام؟ فيأخذ بيده وينطلق به للروضة فيدخله فيها.

[١١٩] باب الجنة

فينظر إلى باب الجنة وإلى بهجة تلك القصور وأطرافها من الجندل الأخضر، وحصباؤها من الياقوت الأحمر فيستنشق نسيم طيب الكافور والمسك ويسمع حسن تغريد الأطيار وخرير تلك الأنهار وما لا تصفه ألسنة الواصفين ولا يخطر ببال المتفكرين، فإذا سمع العبد ذلك كله استخفه الطرب فيقول: يا مولاي لقد أنعمت عليَّ نعماً أكمل النعم جوَّزتني الصراط وأنجيتني من النار وصرفت وجهي عن أهل النار حتى لا أراهم، ولكن أسألك يا سيدي ومولاي أن تدخلني الجنة فاجعل هذا الباب بيني وبين أهل النار حتى لا أسمع حسيسهم ولا أرى عذابهم: فيأتيه ذلك الملك فيقول له: ابن آدم ما أكذبك ألست قد زعمت أنك لا تسأل غير ما قد سألت، فيقول: وعزتك يا رب لا سألتك غيره. فيأخذ الملك بيده فيدخله الباب فينظر العبد عن يمينه وعن شماله مسيرة سنة، فلا يرى إلا الشجر المثمر ما رأى قط مثلها ولا خطر على قلب آدمي ولا جني، فينظر إلى أدنى شجرة فيرى عندها روضةً فيها شجرةٌ أصلها ذهب وأغصانها فضة وورقها حلو ما رأى مثلها قط آدمي ولا جني ولا خطر على قلب بشر، وثمرها ألين من الزبد وأحلا من العسل، فيقول العبد: يا رب لقد أنعمت على عبدك وتفضلت نجيتني من النار وأدخلتني الجنة وأعطيتني وأرضيتني، وإنما بيني وبين هذه الروضة قليل فبلغني إليها فوعزتك لا سألتك غيرها. فيأتيه ذلك الملك فيقول له: يا ابن أدم ماأكذبك ألست قد زعمت أنك لا تسأل غير ما سألت؟ يا ابن آدم أين أقسمت به أما تستحي من الله؟.

[١٢٠] منازل الجنة

فيأخذ بيده فينطلق به إلى أدنى منزل من منازلها فإذا هو بقصر من لؤلؤة بيضاء بين يديه فلا يملك نفسه حين ينظر إليه، فيقول: يا رب أسألك هذا المنزل ولا أسألك غيره. فيأتيه الملك من عند الله سبحانه فيقول له: يا ابن آدم ما أكذبك ألست أنك قد زعمت أنك لا تسأل غير ما أنت فيه؟ فينظر بين يديه فإذا بمنزل كأنما المنزل الأول والثاني وجميع ما خلق ورآه حلماً فيسأله فيعطى فلا يزال كذلك حتى يعطى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فلو نزل في أدنى قصر من قصور الجن والإنس لكان عنده من الكراسي ما يجلسون ويتكئون عليها، ولكان عنده من الموائد ما يفضل عنهم، ولكان عندهم من الطعام والشراب

ما يأكلون، وإذا أكلوا وشربوا لم ينقص من الطعام والشراب إلاّ بقدر ما أصاب رجل واحد ﴿وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [الشورى: ٣٦] وأنشدوا:

مقام المتقين غداً جليلُ | يطيب لهم مع الحور المقيلُ
وأنوارٌ عليهم مشرقاتٌ | إذا ناداهم الملك الجليلُ

[١٢١] فائدة للجواز على الصراط

ذكر في بعض الأخبار أن العبد أو الأمة إذا ذكر الصراط وهوله وصعوبته ورقته وطوله وبعد مسافته، ثم بكى ثم قام فصلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، وقل هو الله أحد ثلاث مرات، ويسلم عن كل ركعتين، فإذا فرغ من العشر ركعات صلى على النبي ﷺ وشرف وكرم مائة مرة ثم قال: سبحان الله من خلق ما شاء وقضى بما شاء والحمد لله على كل شيء ثلاث مرات، ثم يقول: اللهم جوِّزني الصراط ونجني من هوله الله لا آله إلاّ أنت لا شريك لك وصلى الله على سيدنا محمد وآله. فمن صلَّى هذه الصلاة وقال هذا القول جوَّزه الله تبارك وتعالى الصراط وهو لا يشعر به ولا يهوله مع أول زمرة تمر إلى الجنة. فاغتنموا رحمكم الله هذا الثواب، وتحصنوا به من أليم العذاب، يا أولي العقول والألباب لأن الصراط حاد رقيق، وطريقه أبعد الطريق يا له من طريق، ما يعين على جوازه أخ ولا صديق، إلاّ عمل صالح ورب رفيق.

واعلموا وفقنا الله وإياكم أن العمر يذهب، والدنيا تفنى وتخرب، والنفس تموت والمرد إلى الحي الذي لا يموت. فاستعدوا بكثرة الأنوار، وبالصلاة وفعل الخير في الليل والنهار، وبالطاعة للنبي السيف المختار، وبالعمل بكتاب الملك الواحد القهار، وابكوا على هول الصراط المنصوب على متن النار، يسَّره الله لنا وهوَّنه علينا آمين رب العالمين إنه قريب مجيب.

[١٢٢] شفاعة الناس بعضهم لبعض

ذكر أن العبد إذا جاوز الصراط وخلص ذكر في ذلك الموقف أباه وأبناءه وإخوانه وجيرانه فعند ذلك يسأل الصديق في صديقه، والوالد في ولده، والجار في جاره، والرجل في زوجته، والمرأة في زوجها، والإمام في جماعته التي كان

يصلي بها، فيشفع كل واحد منهم على قدر عمله ومنزلته عند ربه.

روى قتادة عن الحسن البصري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له بعض أهله: يا رسول الله هل يفكر الرجل يوم القيامة في حميمه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحدٌ أحداً، عند الميزان حتى ينظر أيثقل ميزانه أم يخف، وعند الصراط حتى ينظر أيجوز أم لا، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ الصحيفة أم بشماله» فهذه ثلاثةُ مواطن لا يذكر فيها أحد حميمه ولا صديقه ولا حبيبه ولا قريبه ولا بنيه ولا والديه وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿لكل امرئٍ يومئذ شأنٌ يغنيه﴾ [عبس: ٣٧] هو مشغول بنفسه عن غيره من شدة الأهوال العظام أسأل الله أن يسهلها لنا برحمته، ويهوِّنها علينا بمنه ولطفه. وأنشدوا:

بكيـت علـى هـول الصـراط وذكـره ... وهـو زفيـر النـار مـن أعظـم الـذكـرِ
وكيـف يطيـق الصبرَ من كـان عـاصياً ... لخالـق كـل الخلقِ في السرِّ والجهرِ
ومـن يـك ذا خـوفٍ شـديـدٍ لهـولـهِ ... فـإن لـه أمنـاً مـن الهـولِ فـي الحشـرِ
فليـس لمـن يبكـي لهـول صـراطـه ... جـزاء سـوى دار النعيـم مـع الفخـرِ
فيـا لـه مـن هـولٍ فظيـع يجـوزه ... رجـالٌ أطـاعـوا الله فـي سالِـفِ العمرِ

عباد الله تفكروا في هول الصراط الرقيق البعيد، وأشفقوا من الهول العظيم الشديد، وأطيعوا الجبار الولي الحميد.

[١٢٣] لا تقبل صلاة شُرَّاب الخمر

ذكر أن شُرَّابَ الخمر إذا أتوا على الصراط تخطفهم الزبانية فتهوي بهم إلى عين الخبال، وهي قيح أهل النار، فيسقون بكل كأس شربوا من الخمر في الدنيا شربة من الخبال لو أن تلك الشربة تصب من السماء السابعة لأحرقت السموات والأرضين بمن فيهن ومن عليهن. والأصل في شارب الخمر أنه يخطف من على الصراط لأنه ليس في وجهه نورٌ لأن النور لا يكون إلّا من العمل الصالح وشارب الخمر ليس له عمل صالح، والأصل فيه أن الأعمال كلها لا تقبل إلّا ممن صلَّى، لأن الصلاة هي رأس الأعمال، وشارب الخمر لا تقبل منه صلاة ما دام مصراً على شرب الخمر فإذا لم تقبل منه صلاة فلا يقبل منه سائر عمله، فيأتي إلى الصراط ووجهه أسود، وقد عهد إلى الزبانية الذين على الصراط أن لا يتركوا أن يجوز إلّا

من له نور ومن ليس له نور أن يكبوه في النار إلاّ من تاب وترك الخمر ورجع إلى الله تعالى.

[١٢٤] التوبة من الخمر وثوابها

يا إخواني اعلموا أن شارب الخمر إذا تاب وترك الخمر لوجه الله تعالى كان يوم القيامة أفضل وأكثر نوراً على الصراط وأسرع جوازاً ممن لم يشربها فالله الله يا معشر المذنبين، توبوا إلى مولاكم أسرع الحاسبين، يغفر لكم ذنوبكم أجمعين.

[١٢٥] فضل المؤذنين

ذكر في بعض الأخبار أن المؤذنين إذا أتوا إلى الصراط يجدون نجائب من نور مسرجة بسرج الياقوت والزبرجد فيركبونها فتطير بهم على الصراط، ويشفع كل واحد منهم عند جواز الصراط في أربعين ألفاً كلهم قد استوجبوا النار، ويجوز في نور المؤذن ألف رجلٍ وألف امرأة وفي حديث آخر: ان المؤذن إذا جاء إلى الصراط سبقه نور الآذان ونور لا إله إلاّ الله ونور محمد رسول الله ونور الدعاء الذي يدعو الناس إلى توحيد الله تبارك وتعالى، فيجوز الصراط في نور المؤذن أربعون ألفاً ممن ليس لهم نور وهم أهل الذنوب والخطايا.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من عبد مسلم حان عليه وقت الصلاة في أرض قفراء أو موضع ليس فيه جماعة، فقام فأذن ثم أقام فصلى إلاّ وأم من جنود الأرض ما لا يحصي عددهم إلا الله تبارك وتعالى، ويكتب الله له بعددهم حسنات، ويمحو بعددهم سيئات، ويرفع له بعددهم في الجنة درجات، لو دخل في أدنى درجة من درجاته الجن والإنس لوسعتهم، ولكان فيها من الفرش والأسرّة والموائد والطعام والشراب والخدم ما يفضل عنهم وإن لم يؤذن واقتصر على الإقامة وحدها لم يصل خلفه إلاّ ملكاه اللذان يكتبان». وفي حديث آخر: «إذا أذن العبد المسلم في فلاة من الأرض ثم أقام فصلى جعل الله تبارك وتعالى خلفه سبع صفوف من الملائكة المقربين، أخذ طرفي الصف بالمشرق والآخر بالمغرب، فإذا فرغ من صلاته ودعا امّنوا على دعائه ويكتب الله تبارك وتعالى له بعددهم حسنات، ويمحو عنه جل وعلا بعددهم سيئات، ويرفع له تعالى بعددهم درجات، كل درجة أعظم من الدنيا سبعون ألف مرة، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن

سمعت ولا خطر على قلب بشر. فإذا جاء يوم القيامة إلى الصراط جاء معه أصحابه من الملائكة الذين صلُّوا خلفه كل ملك منهم معه نور من نور الجنة فيأخذون بيده وبأيدي أهله وبأيدي إخوانه الذين صحبوه وأحبوه في الله فيفرقون عليهم من تلك الأنوار ويجوزونهم الصراط في شفاعته ويمضون معه إلى الجنة ولا يرون من هول الصراط ولا من حره ولا صعوبته شيئاً».

[١٢٦] فضل العلماء

ذكر في بعض الأخبار أن العلماء إذا أتوا إلى الصراط تكون وجوههم كالشمس الضاحية وأنوارهم بين أيديهم وبيد كل عالم منهم لواء من نور الجنة يضيء له مسيرة خمسمائة عام، وتحت لواء العالم كل من اقتدى بعلمه وكل من أحبه في الله ومناد ينادي: هؤلاء أحباءُ الله، هؤلاء أولياء الله، هؤلاء الذين خلفوا الأنبياء، هؤلاء الذين علموا عباد الله، هؤلاء الذين دعوا إلى الله، هؤلاء الذين حفظوا حدود الله، هؤلاء مصابيح الدجى، هؤلاء أئمة الهدى. فإذا دنوا من الصراط يوضع على رأس كلٍّ واحدٍ منهم تاج من نور الجنة لو وضع ذلك التاج في السماء السابعة العليا لخرق نوره إلى الأرض السابعة السفلى، ويكسى كل واحد منهم حلة من حلل الجنة لو نشرت تلك الحلة بين السماء والأرض لغطَّى نورها نور الشمس، ولمات الخلائق كلهم عشقاً إلى رؤيتها، ولملأت الأرض والبحار من رائحة المسك، وينزل على رأس كل واحد منهم غمامة من نور تقيه من حرِّ شرر جهنم ومن حرِّ الشمس. وأنشدوا:

يا طالبَ العلمِ ترجو أن تنال به ... عفوَ الإلهِ وعفو الله موجودُ
اطلب بعلمكَ وجه الله خالقنا ... إن الصراطَ على النيران ممدودُ
عفوُ الإله لأهل العلم نائلهم ... وعفوه عند أهل الجهلِ مفقودُ
فاحرِص هُدِيتَ على التعليم مجتهداً ... وأنت عند إلهَ العرشِ محمودُ
فاعمل بعلم رسول الله سيدنا ... وأنت بين عباد الله مسعودُ

واعلموا أن الله تبارك وتعالى لا يقبل عملاً بلا علم. قال الله تبارك وتعالى: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** [فاطر: ٢٨] فالعلماء قد أثبت لهم الجبار الخشية والتقى. قال الله تعالى: **﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾** [المائدة: ٢٧] ومن لا يعلم لا يتقي، وكيف يتقي من لا يدري ما يتقي. وقد قال رسول الله ﷺ:

«تعلّموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، به يعرف الله ويعبد، وبه يحمد الله ويُوَحَّد» هو إمام العمل والعمل تابعه، يرفع الله بالعلم أقواماً فيجعلهم للخير قادة وأئمة يقتدى بهم وينتهي إلى رأيهم. فقد بيَّن رسول الله ﷺ أن العبادة لا تكون إلاّ بالعلم لقوله ﷺ: «به يعرف الله ويعبد» ويستوفي ذكر فضل العلم في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ والمقصود في هذا الموضع ذكر الصراط والجواز عليه.

[١٢٧] فضل حملةِ القرآن

ذكر في بعض الأخبار أن حملة القرآن يحشرون يوم القيامة على كثبان من مسك أسود وأنوارُ وجوههم تغشى بالأبصار فإذا أتوا إلى الصراط تلقتهم الملائكة الذين وُكِّلوا بحملة القرآن فتأخذ بأيديهم وتضع التيجان على رؤوسهم والحلل على أجسامهم وتقرب إليهم خيلاً من نور الجنة عليه سرجٌ من المسك الأذفر والعنبر الأشهب ألجمها من اللؤلؤ والياقوت يركبونها فتطير بهم على الصراط ويجوز في شفاعة كلٍّ واحدٍ مائَة ألفٍ ممن قد استوجب النار، ومناد ينادي: هؤلاء أحباب الله، هؤلاء أولياء الله الذين قرءوا كتاب الله وعملوا به فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. وهم أهل الله وهم أحباب الله من أحبهم في الدنيا أحبه الله، فجاوزوا الصراط وخلفوه بلا هول ولا هم ولا حزن ولا غم. وهذا إذا عملوا بالقرآن، ووقفوا عند أوامره ونواهيه وأحلوا حلالَه وحرَّموا حرامه وآمنوا بمُحكمه ووقفوا عند متشابهه، وسارعوا إليه ﴿أولئك حزب الله الآ إن حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة: ٢٢] ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٩٠] أولئك أولياء الله الصالحون، أولئك الذين رضي الله عنهم ووفَّقهم وهداهم وآتاهم تقواهم.

[١٢٨] من لم يعمل بالقرآن

وأما حامل القرآن إذا لم يعمل به فإنه يأتي إلى الصراط فتستقبله الزبانية بمقامع الحديد وأرازب النار وتسوَّد وجوههم على قدر ما ضيَّعوا من العلم، فمن تعلم علماً للتجبر والمباهاة أو الرياء أو السمعة ولم يرد به وجه الله تعالى وطلب

عليه الرشا والبراطيل، وكتمه ولم ينصح به عباد الله، وطلب به الرياسة وصحبة الملوك، ومشى به إلى أبواب أبناء الدنيا وإلى دور الظلمة وأهل الجور وحكم به بغير العدل ألجم بلجام من نار جهنم وكان عمله عليه حجة وغمة ومحنة وحسرة وندامة وظلمة على الصراط. ثم يكون العلم للعامل نوراً وفرحة وسروراً وجنة وحبوراً ينظر المغرور المسكين إلى وفود العلماء وزمر الأولياء وألويتهم على رؤوسهم منشورة، وقلوبهم مما بشروا به من الفوز بالجنان مسرورة وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم، والملائكة تنادي: أدخلوا الجنة لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون، وأنت في ظلمك حيران، أيقنت بالحلول في سموم النيران، إلاّ أن يتداركك بعفوه الملك الديَّان. وقد أخذ الملك بيدك وهو ينادي عليك ولجام النار في فمك لو كان ذلك اللجام في الدنيا لأحرقها من مشرقها إلى مغربها وينادي عليك هذا الذي ضيع حدود الله، هذا الذي خالف أوامر الله، هذا الذي بدَّل عهد الله، وخالف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وآثر حب الدنيا على ما عند هؤلاء.

يا مسكين أخذت على العلم أجرة وبرطيلاً، واشتريت به ثمناً قليلاً، ولم تراقب مولى كريماً جليلاً وتركت وراءك يوماً هائلاً ثقيلاً وخسرت يا مغرور ملكاً كبيراً دائماً جزيلاً.

[١٢٩] فسقة حملة القرآن

ذكر في بعض الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال: «الزبانية أسرع إلى فسقة حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان والنيران، فيقولون: ويبدأ بنا قبل عبدة الأوثان والنيران؟ فتقول لهم الملائكة: ليس من يعلم كمن لا يعلم» وفي حديث آخر «إن الملائكة الذين جعلهم الله على الصراط إذا نظروا إلى حملة القرآن الفساق أخذوهم

---

[١٢٩] حديث «الزبانية أسرع إلى فسقة حملة القرآن».

أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٨٦) من حديث أنس.

قال العجلوني: الحديث منكر أو موضوع كشف الخفا (١/ ٤٤١).

* حديث «يسأل حامل القرآن عما يسأل....».

قال العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٢٤١) رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلاً.

وزجوا في أقفيتهم وألقوهم في جهنم أو يعف الله تعالى عنهم. اللهم اعف عنَّا وعن جميع إخواننا المسلمين، واجعل القرآن حجة لنا لا تجعله حجة علينا يا أرحم الراحمين. وأنشدوا:

عظُمت مصيبةُ حامل القرآنِ ... إن كان ملجأه إلى النِّيرانِ
فهو الجزاء لمن عصى ربَّ العلا ... دار العذاب وموقف الخسرانِ
عظمت خسارتُه وجلّ مصابُه ... عند الصِّراطِ بظلمةٍ وهوانِ
يا ربِّ عفواً عن قبيحِ فعالنا ... أنت الدليلُ لجنةِ الرضوانِ

فاتقوا الله معشر أهل القرآن في كتابه، وأشفقوا من أليم عذابه، واعملوا بالقرآن وارغبوا في جزيل ثوابه، لأن القرآن هو لكم وهو عليكم إن تعملوا به ويلٌ وثبور ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرَّنكم بالله الغرور﴾ [لقمان: ٣٣].

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «عرضت عليَّ الذنوب كلها فلم أر فيها ذنباً أعظم من ذنب حامل القرآن وتاركه». ومعنى تاركه تارك العمل به، العمل مع قلة العلم أفضل من كثرة العلم وقلة العمل.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يسأل حامل القرآن عما يسأل عنه الأنبياء» وإذا غضب حامل القرآن يقول له القرآن: أما تستحي أنا معك وأنت تغضب، اقتد بي تنجو وأكرمني بالطاعة أنجيك من الأهوال وأجوِّزك الصراط وأدخلك الجنة.

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من شفيع أفضل منزلة عند الله من القرآن نبي ولا ملك ولا غيره» فإنا لله وإنا إليه راجعون على من لا يعمل بالسنة والقرآن كيف اختار النار على الجنان، وعصى مولاه وأطاع الشيطان، لقد ضل ضلالاً بعيداً، وتبوأ عذاباً شديداً. وبقي من الخير فريداً وحيداً. فيا لها من مصيبة ما أعظمها، ومن حسرة ما أدومها.

[١٣٠] ما خلف الصراط

روى الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خلف الصراط جسر عليه الأمانة، وجسر عليه الرب جل جلاله، وجسر عليه الرحمة» فيا أيها السامع لما جاء من أحاديث الصفات والآثارالمشكلات، سلِّم الأمور لباريها، واترك تأويلها إن كنت تاليها وقاريها، وعليك بخويصة نفسك، واعمل ليوم رمسك وذلك الجسر عليه

السؤال، ذلك الوقت يقول الله جل جلاله وتقدست أسماؤه: عبدي عملت كذا في يوم كذا؟ فيقول العبد: نعم يا رب فلا يزال الرب جل جلاله يعرف العبد والعبد يعترف ويقول نعم حتى يقول العبد: لإرسالك بي إلى النار أهون علي من هذا التوبيخ. فيقول له جل وتعالى: يا عبدي بعيني إذا كنت عملت ذلك وكنت عليك شهيداً وملائكتي وأرضي، ولكن سترت عليك بحلمي وجودي، يا عبدي أنا سترتها في الدنيا عليك وأناأغفرها اليوم لك. غفر الله لنا أجمعين، وأماتنا برحمته مسلمين تائبين على السنة والجماعة على أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله ﷺ.

٤

مجلس في قوله سبحانه وتعالى وتقدست أسماؤه ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلًّا بسيماهم﴾

[١٣١] هؤلاء الذين ذكرهم المولى جل جلاله بقوله: ﴿وعلى الأعرافِ رجالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦] هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحُبِسُوا على الأعراف، والأعراف هي مواضع مرتفعة على الصراط لأن الصراط سبع قناطر وهي الجسور بعضها أصعب من بعض، وبعضها أشد سؤالاً من بعض، وبعضها أكثر ارتفاعاً من بعض، وعند كل جسر يسأل العبد فيها عن عبادته التي افترضها الله عليه في الدنيا. فنسأل الله التوفيق في الدنيا والتسهيل في الآخرة في تلك المقامات.

[١٣٢] سؤال العباد يوم القيامة

فأول ما يسأل عنه العبد الصلاة، ثم الزكاة، ثم الصيام، ثم الحج، ثم الأمانة، ثم بر الوالدين، ثم حفظ اللسان، ثم حفظ الجار، ثم صلة الرحم، وكذلك جميع ما أمر الله عز وجل به وجميع ما نهى عنه، فكل من جاء إلى جسر من جسور الصراط سئل عن عبادته فإن أجابها جاز وصار إلى الجنة ونور الإيمان يسعى بين يديه وعن يمينه وعن شماله، وإن لم يأت بها نقص نوره وهو نور الإيمان لأن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بطاعة الله وينقص بمعصية الله، فكل من نقص ثوابه بالمعصية نقص نوره على الصراط. فمن أراد مولاه أن يعذبه أتمَّ له النور في بعض جسور الصراط وطفأ النور عنه في بعضه والصراط أسودٌ مظلمٌ من شدة سواد جهنم، لو أن قطرة من ظلمة الصراط وضعت في الدنيا لأظلم مشرق الدنيا ومغربها ولمات الخلق من شدة الظلمة، وإنما حبس الله تعالى هؤلاء القوم على أعراف الصراط ليبيِّن لأهل الجنة والملائكة والجن والإنس ولجميع ما خلق الله تبارك وتعالى فضل نبينا محمد ﷺ، وليظهر فخره وجاهه وقدره وحرمته عند ربنا جل جلاله وذلك أن الله تبارك وتعالى يأمر العباد يمضون على الصراط

منصوب على متن جهنم، وتأتي الخلائق إلى الصراط المؤمنون والكافرون، فأما المؤمنون فيمضون وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم أي عن أيمانهم.

[١٣٣] ظلمات الكفر والمعصية

وأما الكافرون فإنهم يمضون في ظلمات الكفر وظلمات أعمالهم التي عملوا في حال الكفر في دار الدنيا فإذا أتوا إلى الصراط فأول قدم يضعونها على الصراط يهوون في النار فتخطفهم الملائكة بالكلاليب فتلقيهم في قعر جهنم، فإذا مضى المؤمنون بنورهم مضى المنافقون في آثارهم يتبعونهم وينادونهم: انظرونا نقتبس من نوركم فنمشي في ضوئكم، فيقال: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً. وهو قوله تعالى: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾ [النساء: ١٤٢] وذلك أنهم كانوا في الدنيا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وأظهروا لهم الإيمان بألسنتهم واعتقدوا الكفر بقلوبهم، والله تعالى يعامل العباد على عقائد قلوبهم، والمنافقون كانوا يتربصون بالمؤمنين الدوائر، فإذا كانوا على الصراط على آثار المؤمنين ليمشوا في نورهم قالوا للمؤمنين: انظرونا نقتبس من نوركم قيل: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً، فيظنون أن وراءهم نوراً يلتمسونه فيرجعون وراءهم فيرفع لهم سرداب فيظنون أن في السرداب نوراً يجوزهم على الصراط فيقتحم بهم إلى أبواب جهنم، فإذا رأى المؤمنون المنافقين قد تساقطوا وتهافتوا في النار فزعوا مما حل بالمنافقين، فعند ذلك يقال لهم: بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار، وهذا العذاب الذي فزعتم منه هو للمنافقين الذين عصوا الله ورسوله وجحدوا بآيات الله وخالفوا كتابه، فعند ذلك يضرب بينهم بسور له باب.

[١٣٤] السور الحاجز بين الجنة والنار

والسور هو الحائط له باب إلى الجنة وهو حائط بين الجنة والنار، باطن ذلك الحائط في الرحمة وظاهره من قبله العذاب - يعني جهنم - والباطن فيه الرحمة - يعني الجنة - فإذا رأى المنافقون المؤمنين لم يعرجوا عليهم ولم يلتفتوا إليهم، ورأوهم في حال السلامة والفوز. فيقول لهم المنافقون: ألم نكن معكم في الدنيا على التوحيد وكنا نصلي معكم؟ فيقول لهم المؤمنون: بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم - أي عذبتم - وأحرقتم أنفسكم بالنار بخلافكم لرسول الله ﷺ وقولكم

بألسنتكم ما ليس في قلوبكم، وتكذيبكم بلقاء الله تبارك وتعالى، وكذبتم بهذا اليوم وتربصتم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين الدوائر، وغرَّتكم الأماني حتى جاء أمرُ الله، وغركم بالله الغرور فيما فعلتم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين، فاليوم لا يؤخذ منكم فديةٌ ولا من الذين كفروا ـ يعني لا يؤخذ من كافر ولا منافق فداء.

[١٣٥] صفة المنافق

فالكافر هو الذي كفر في السر والإعلان، والمنافق الذي كفر في السر وآمن في الإعلان وآمن بلسانه وكفر بقلبه، وقوله مأواكم النار، أي مرجعكم إليها ومستقركم فيها، هذا كله غرور الشيطان بكم حتى جاءكم الموت ومتم على النفاق، فإذا رجعوا وراءهم ليلتمسوا النور رأوا سرداباً فيدخلون ذلك السرداب ويظنون أن النور فيه فيهجم بهم على أبواب جهنم فتخطفهم الملائكة بالكلاليب فتقذفهم في جهنم حتى يجاوزون الباب الأول من جهنم، ثم يلقون في الباب الثاني حتى يجاوزونه، فلا يزالون من باب إلى باب حتى يجاوزون الباب الأول من جهنم، ثم يلقون في الباب الثاني حتى يجاوزونه، فلا يزالون من باب إلى باب حتى ينتهوا إلى الدرك الأسفل من النار فينتهي بهم إلى جب يقال له جب الحزن في ذلك الجب بئر يقال لها الهبهب فيها توابيت من نار وعليها أقفال من نار.

[١٣٦] بئر الهبهب

على تلك البئر صخرة من كبريت في تلك البئر باب إذا رفعت تلك الصخرة استغاثت نيران جهنم من تلك النار التي تخرج منها، فتأكل تلك النار التي تخرج من تلك البئر نيران جهنم وما فيها أسرع من طرفة العين، فيؤتى بالمنافقين فيلقون في تلك البئر وتوضع عليهم تلك الصخرة فلا يخرجون منها أبداً، كلما أكلت تلك النار لحومهم جدد الله لهم لحوماً غيرها، فلا يخرجون من تلك البئر أبداً، فذلك قوله عز وجل: ﴿**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً**﴾ [النساء: ١٤٥] وقوله: ﴿**إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم**﴾ [النساء: ١٤٢] يعني بقوله ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً. وأما المؤمنون الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم فإنهم يمشون على الصراط وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى إذا كانوا على جسر الصراط، وهو أعلا الجسور من الصراط وهي الأعراف، وهي

المواضع المرتفعة واحدها عرف، وتسمى النشز من الأرض وهو الموضع المرتفع عرفاً ومنها عرف الديك.

[١٣٧] أهل الأعراف

فإذا صار على تلك المواضع من الصراط نقص نورهم وبقوا على أطراف أنامل أرجلهم ورأوا أن ذلك ظلمةً، وذلك أن الخلق على الصراط على قدر أعمالهم في الدنيا، فمن الناس من يكون له من النور ما يضيء على الصراط مسيرة مائة عام، ومنهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة سنة، وما يضيء مسيرة شهر، ومسيرة جمعة، ومسيرة يوم، ومسيرة ساعة، ومن الناس من يعطى من النور ما يضيء له موضع قدميه. على قدر منازلهم عند الله تبارك وتعالى وعلى قدر أعمالهم في الدنيا، فيستبقون في الجواز على قدر أنوارهم التي معهم فمن كان له نور كثير جاز في السعة، ومن كان له نور قليل جاز في الضيق، على قدر ما أعطى الله لكل عبد، فإذا ثبت أصحاب الأعراف على أنامل أرجلهم في ذلك ولا ينظرون إلى موضع أقدامهم من شدة الظلمة، والظلمة هي شدة سواد جهنم أعاذنا الله وإياكم منها وسهَّل لجميعنا شدائدها وظلمتها، وثبَّت على الصراط أقدامنَا بمنِّه وفضلِهِ. والصراط أحدُّ من السيف وأرق من الشعرة وأحر من الجمر، عليه من الحسك والكلاليب أكثر من عدد الإنس والجن قد تعلق بكل كلوب من الزبانية عددُ نجوم السماء إذا تكلم واحدٌ منهم تناثر النار من فيه، لو أن واحداً منهم بصق في البحار الزاخرة لجففها، وإذا تكلم واحدٌ منهم فزع صاحبه منه، ولو سمع أهل الدنيا صوتَ واحدٍ يتكلم بالكلام لمات كل من فيها من إنسها وجنها وجميع ما خلق الله تبارك وتعالى فيها من برها وبحرها من فظاعة كلامه، ومن شدة صوته. وإذا صاح مالك خازن جهنم على خزنة جهنم يغشى عليهم من شدة صوته. والصراط مع دقته ورقته يضطرب كما تضطرب السفينة بأهلها إذا كانت الريح عاصفة، فإذا ثبت القوم على أناملهم من أرجلهم ولا يستطيعون الجواز وهم ينظرون إلى أهل النار كيف يعذبون في النار، قال الله تعالى: **﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾** [الأعراف: ٤٧] وهم يستغيثون ويتضرعون إلى مولاهم جل جلاله ويسألونه النجاة من النار ومن هول ما هم فيه من صعوبة الصراط فيمكثون كذلك ما شاء الله تبارك

وتعالى مغمومين مكروبين محزونين لا يدرون أينجون أم يهلكون!! مع كل إنسان منهم حافظاه اللذان كانا يكتبان عليه عمله في الدنيا، فبينما هم كذلك إذ يلقى الله تبارك وتعالى ذكرهم في قلوب إخوانهم من أهل الجنة وعلى ألسنتهم، فيقول بعضهم لبعض: يا ليت شعرنا ما فعل إخواننا من أهل الأعراف؟ فيقولون: ما لنا علم بما صنعوا ولكنا نسأل الحفظة ومن معهم حتى يخبرونا ما فعلوا فينادون من قصورهم :يا معشر الملائكة الذين مع أصحاب الأعراف ما فعل أخواننا من أصحاب الأعراف؟.

[١٣٨] شفاعة أهل الجنة في أصحاب الأعراف

فيقول الملائكة: يا معشر أهل الجنة أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون بدخولها قد قلَّ نورهم وطفىء سراجهم وبقوا على أطراف أناملهم وأرجلهم وهم وقوف ينتظرون رحمة ربهم فذلك قوله تعالى: ﴿**ونادوا أصحاب الجنة**﴾ [الأعراف: ٤٦] يعني نادت الملائكة أصحاب الجنة ﴿**أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون**﴾ [الأعراف: ٤٦].

[١٣٩] حياء آدم

فعند ذلك يلبس أهل الجنة الحلي والحلل ويضعون التيجان على رؤوسهم ثم يمضون بأجمعهم حتى يأتوا آدم عليه الصلاة والسلام وهو في قصره فينادون بأجمعهم: يا أبانا أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك كرام ملائكته وأسكنك جنته، إن ناساً من ولدك محبوسون على الصراط قل نورهم وطفىء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين فيقول آدم عليه السلام: لست هنالك أنا الذي عصيت ربي وأكلت من الشجر فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً ولكن عليكم يا بني بنوح الذي حمله الله في الفلك.

[١٤٠] حياء نوح

فيأتون نوحاً عليه السلام فينادون بأجمعهم: يا نوح فيشرف عليهم من قصره فينظر إلى جماعتهم فيقول لهم نوح: يا أهل الجنة ما الذي أزعجكم من منازلكم وما الذي جاء بكم؟ فيقولون له: يا نوح أنت الذي حملك الله في الفلك إن ناساً محبوسون على الصراط قل نورهم وطفىء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم

الدين،فيقول لهم نوح: لست هنالك أنا الذي خاطبت ربي فيما ليس لي به علم فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً، ولكن عليكم بإبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً، وجعل النار عليه برداً وسلاماً، فيأتون إبراهيم عليه السلام وهو في قصره فينادون بأجمعهم: يا إبراهيم أنت الذي اتخذك الله خليلاً إن ناساً محبوسون على الصراط قلَّ نورهم وطفىء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين، فيقول لهم: لست هنالك، أنا الذي كذبت كذبتين ـ وقيل ثلاث ـ فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً ولكن عليكم بموسى بن عمران كليم الله ونجِّيه.

[١٤١] حياء موسى

فيأتون موسى عليه السلام فينادونه فيشرف عليهم فيقولون له: يا موسى أنت الذي كلمك الله بغير ترجمان وأنزل عليك التوراة وضرب لك طريقاً يبساً في الأرض وأراك العجائب من قدرته، إن ناساً من إخواننا محبوسون على الصراط قلَّ نورهم وطفىء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين، فيقول لهم موسى: لست هنالك أنا الذي وكزت الرجل فقتلته فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً ولكن عليكم بعيسى بن مريم العذراء البتول البكر.

[١٤٢] حياء عيسى

فيأتون عيسى وهو ﷺ في قصره فينادونه بأجمعهم: يا عيسى، فيشرف عليهم من قصره فيقول لهم: يا أهل الجنة ما الذي أزعجكم من منازلكم، وما الذي جاء بكم؟ فيقولون له: يا عيسى أنت الذي خلقك الله من غير بشر وأنت الذي جعلك الله آية للناس، وأنت ابن الطاهرة البكر العذراء البتول، إن ناساً محبوسون على الصراط قلَّ نورهم وطفىء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين، فيقول: لست هنالك أنا الذي زعمت النصارى أنِّي قلت لهم اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فاستحي منه أن أسأله شيئاً ولكن عليكم بالذي كان آخر المرسلين وهو اليوم أولهم، عليكم به فهو إمام المتقين، وسيد العالمين، وخاتم النبيين، محمد ﷺ.

[١٤٣] شفاعة محمد

فيأتون النبي ﷺ وهو في قصره خير قصور الجنة، فيقفون حول القصر

والقصر قد أشرق نوره وبهجته على جميع قصور أهل الجنة، فينادون بأجمعهم: يا محمد يا أبا القاسم يا أحمد يا سيد العالمين يا إمام المتقين يا خاتم النبيين، فيشرف عليهم ﷺ من قصره والنور من وجهه قد أشرق على قصور الجنة كلِّها، فيقول لهم صلوات الله وسلامه عليه: ما الذي أزعجكم من منازلكم وما الذي جاء بكم؟ فيقولون له: أنت الذي جعلك الله خاتم النبيين وسيد العالمين وإمام المتقين، إن ناساً من أمتك على الصراط محبوسون قلَّ نورهم وطفىء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين.

[١٤٤] دخوله جنة عدن

فيقول النبي ﷺ: أنا لها، فيلبس صلوات الله وسلامه عليه الحلي والحلل ويضع على رأسه (التاج) صلوات الله وسلامه عليه، ويتبعه أهل الجنة حتى ينتهي إلى باب جنة عدن فيستفتح فيقال: من هذا؟ قال ﷺ فأقول: أنا أحمد فيفتح لي، فإذا خلف السرداق ملك يتلألأ نورٌ فيهولني ما أرى منه فيؤنسني ويمسحني فيقول: يا أحمد أنت عبد وأنا عبد مثلك، ثم أمضي فأنتهي إلى سرداق ثاني فأستفتح فيقال من هذا؟ فأقول أنا أحمد فيفتح لي، فإذا خلف سرداق ملكٌ عظيمٌ أعظم خلقاً وأشد نوراً من الذي رأيت فيهولني ما رأيت من عظمه، فيؤنسني ويمسحني ويقول: يا أحمد أنت عبد وأنا عبد مثلك فلا أزال أمشي في عظم الملائكة وبعضهم أشد نوراً من بعض حتى أنتهي إلى السرداق السابع فأستفتح فيقال: من هذا؟ فأقول: أنا أحمد فيفتح لي فإذا خلف السرداق جبريل عليه الصلاة والسلام فيقول: مرحباً بهذا الصوت لقد كنت إليه مشتاقاً فأمضي حتى أنتهي إلى الحجب فترتفع الحجب فيتجلى لي ربُّ العالمين جل جلاله وعظمت قدرته فإذا نظرت إليه خررت له ساجداً فأحمده بتحميد ما حمده بمثله ملكٌ من حملة العرش ولا من حملة الكرسي ولا نبي مرسل حينئذ في ذلك المكان، حتى يقول الكروبيون والروحانيون وأصحاب السرادقات: إن هذا لأهل أن يشفعه الله فيمن يشفع.

[١٤٥] سجوده بين يدي الله تعالى

فيقول الجبار جل جلاله وعظمت قدرته: يا أحمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع، قال رسول الله ﷺ: فأرفع رأسي من السجود فإذا نظرت إلى ربي جل جلاله خررت ساجداً وأحمده وأثني عليه بمثل ما حمدته به في المرة الأولى،

فأفعل ذلك ثلاث مرات وربي جل جلاله يقول لي في كل مرة: ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع، فأقول: يا رب إن ناساً من أمتي محبوسون على الصراط قلَّ نورهم وطفىء سراجهم فأتمم لهم نورَهم وأضيء سراجهم وهم الذين يقولون عند ذلك ﴿ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾ [التحريم: ٨] حتى تمضي كما مضى اخواننا إلى الجنة، فيبعث الله تبارك وتعالى الملائكة فيأتون بالنور من جنة عدن، ثم يغمسون غمساً فيحيي الله نورهم ويضيء سراجهم. ثم تقبل الملائكة على أهل جهنم فيقولون لهم: ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ [الأعراف: ٤٩] وذلك أن أهل جهنم لما نظروا إلى أصحاب الأعراف محبوسين على الصراط قال بعضهم لبعض: والله ما حبسوا هؤلاء إلّا ليدخلوا معنا في جهنم، فمن أجل ذلك قالت لهم الملائكة: ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة﴾ [الأعراف: ٤٩] ثم تقبل الملائكة على أصحاب الأعراف.

[١٤٦] جاه المصطفى العظيم

فيقولون لهم: ﴿أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ [الأعراف: ٤٩] أي لا تحزنون ولا تموتون في الجنة أبداً، فيمضون والنور الذي جاءتهم به الملائكة في جنة عدن يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى يجوزوا الصراط ويدخلوا الجنة ويلحقوا بمنازلهم وإخوانهم ونبيهم محمد ﷺ، وإنما حبسهم الجبار جل جلاله وعظمت قدرته ليظهر جاه محمد ﷺ وفضله وحرمته ودرجته ومنزلته ومكانه عند الله تبارك وتعالى من الشفاعة ﷺ صلاة تشرف بها عقباه، وتبلغه بها من الشفاعة العظمى رضاه آمين يا رب العالمين صلاة دائمة منتهى الآباد طيبة باقية بلا انقطاع ولا نفاد، صلاة تنجينا بها من حرِّ جهنم وبئس المصير، وتدخلنا الجنة مع صحابته الأبرار الطيبين آمين يا رب العالمين.

٥

مجلس في قوله تعالى:
﴿يوم تأتي كلُّ نفس تجادلُ عن نفسِهَا﴾

[١٤٧] في حساب الملائكة والرُّسل واللوح المحفوظ

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «تقف للعرض الأكبر بين يدي رب العالمين فيغرقون على قدر أعمالهم».

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة :يا بني آدم انصتوا فطالما نصت لكم وفي رواية أخرى فقد نصتُّ لكم من يوم خلقتكم إلى يوم هذا أسمع قولكم وأنظر أعمالكم، فانظروا اليوم أعمالكم تعرض عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلاّ نفسَه، احشروا عليَّ عبادي فوعزتي وجلالي لا يجوزني ظلمُ ظالم. فكيف بك يا مسكين يا مغرور يا تارك الحق والصواب، يا مخالف السنة والكتاب، يا ظالماً لنفسه يا غافلاً عن الحساب يا من بذل نفسه لأليم العذاب، يا من تمادى في معصية رب الأرباب، ونسي الجنة وحسن المآب. وأنشدوا:

إلى كم لا تفيق من التصابي ... وهذا العمر يؤذن بالذهاب
ويرضى بالقليل المرءُ حظاً ... ويزهد في الكثير من الثوابِ
فَقِدْماً غرت الدنيا أناساً ... كما غر المحين بالشرابِ
تمنيهم غروراً باطلاتٍ ... وتخدعهم بآمالٍ كِذَابِ

---

[١٤٧] حديث «تقف للعرض الأكبر».

مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة (٢٨٦٤/ ٦٢). من حديث المقداد بن الأسود. والترمذي: كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص. (٢٤٢١) من حديث المقداد.

كـأنـك لا تـرى فـي كـلِّ يـومٍ جنـائـزَ تستحـث إلـى الخـرابِ
خلقـت مـن التـراب وعـن قـريـب ستلحـق ـ غيـر شـكٍ ـ بـالتـرابِ
وتحيـا بعـد مـوتـك كـي تجـازى بمـا قـدَّمـت فـي يـوم الحسـابِ
فـإنـك تـك بـالمسـيء بقبـح فعـلٍ فحسبـك بـالعقـاب مـع العـذابِ
وإن كنـت الـذي قـدَّمـت خيـراً جُـزِيـتَ بـه غـداً حُسـنَ المـآبِ

[١٤٨] تبكيت الله تعالى للجبابرة

ذكر في بعض الأخبار أن الجبار جل جلاله إذا اجتمع الأولون والآخرون في عرصة القيامة نادى سبحانه وتعالى: أين الجبابرة وأبناء الجبابرة؟ أين الملوك وأبناء الملوك قصمتُ الجبابرةَ بسلطاني، وأفنيت الملوك بعظمتي.

ذكر في الخبر أن الجبابرة يحشرون يوم القيامة على صور الذر أصغر الخلائق خلقةً لتجبُّرهم على العباد، والجبابرة هم الذين تجبروا على الخلق وعن اتباع سنة رسول الله ﷺ. وقيل الجبابرة هم الذين جبروا المساكين والضعفاء على ما لم يطيقوا وهذا الاسم قد اشترك فيه الخالق والمخلوق، فالخالق جل جلاله هو جبار على الحقيقة.

[١٤٩] تفسير الجبار

وتفسير الجبار في حق الله تعالى الذي جبر عباده على ما أراد، وقيل الذي يجبر عن ظلم العباد إن الله تعالى جل اسمه لا ينسب إليه الظلم لأن حد الظلم وضع الشيء في غير موضعه، لأن الدنيا والآخرة ملك الله تعالى والجبار من العباد هو الظالم الذي يضع الشيء في غير موضعه، يأخذ ما ليس له بحق ويرده إلى ما قد ملكه الله تبارك وتعالى، وإذا قضى الله تعالى على عبده بقضاء فهو له خيراً.

---

[١٤٨] حديث «يحشر الجبابرة».

الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع باب ما جاء في شدة الوعيد للمتكبرين (٢٤٩٢) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٧٨).

[١٤٩] حديث «في قضاء الله تعالى خيراً».

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: كتاب السير، باب فتح مكة (٩/ ١٢١) من حديث عروة بن الزبير.

لقول رسول الله ﷺ: «لا يكمل للمؤمن إيمانه حتى يرى أن الذي قضاه الله عليه أو له خير له من الذي أراد لنفسه» وقال رسول الله ﷺ: «في قضاء الله تعالى.خيراً إلّا قضاء النار» وإذا قضى الله تبارك وتعالى على عبده بالنار فهو عبده وهو خلقه لم يعنه أحد على خلقه ولا على رزقه، وهو يفعل ما يريد لا شريك له في ملكه. ثم ينادي الجليل جل حلاله: **﴿يا عبادي لا خوفٌ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾** [الزخرف: ٦٨] فإذا سمع الخلق هذا النداء رفعوا رؤوسهم وطمعوا كلهم في هذا النداء وقالوا كلهم: نحن عباد الله، ثم ينادي ثانية: **﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾** [الزخرف: ٦٩] فعند ذلك ينكس رأسه كل من لم يكن مسلماً، فتبقى أهل الأديان متحيرين ويفرح المسلمون، ثم ينادي ثالثة: **﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾** [يونس: ٦٣] أي كانوا يتقون الكبائر ـ فينكس أهل الكبائر من أهل التوحيد رؤوسهم ويرفع رؤوسهم سائر أهل التوحيد الذين اجتنبوا الكبائر وتابوا عنها توبة نصوحاً.

فكيف بك يا مغرور يا مسكين قد ارتكبت الكبائر والصغائر، وعصيت مولاك في الخفيات والظواهر، وأيقنت أنك مسئول يوم تُبلى السرائر، ولاقٍ من العقوبة على ذلك الحظ الجزيل الوافر. وأنشدوا:

عصيـــت الله ألـــوان المعاصـــي ... كـأنّـي لسـتُ أوقـنِ بـالقصـاصِ
فمـالـي لا أنـوحُ علـى ذنـوبِـي ... وأبكـي يـومَ يـؤخـذُ بـالنـواصِـي

[١٥٠] نصيحة

فانظر لنفسك يا مسكين يا ضعيف الإيمان واليقين قبل حلول الندم، وزوال النعم، ونزول النقم، حيث لا ينفع الندم. فاستعد للسؤال، وتهيأ للجدال، قال الله الكبير المتعال: **﴿يوم تأتي كلُّ نفسٍ تجادل عن نفسِها وتُوفَّى كلُّ نفسٍ ما عَمِلَتْ وهم لا يُظْلَمُون﴾** [النحل: ١١١].

[١٥١] السائقُ والشهيد

فإذا سمع العباد النداء وعلم كل عبد وأمة منزلته من جميع أهل الأديان، نشرت الدواوين ووضعت الموازين، وجيء بالنبيين، ونصبت المنابر بالأنبياء والرُّسل فيجلس كل نبي على منبره وأمته قد أحدقت به، ونصبت الكراسي

للصديقين والشهداء: ﴿وجاءت كلُّ نفسٍ معها سائق وشهيد﴾ [ق: ٢١] سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها، فالناس ينقسمون في السياقة على قسمين؛ قسم تسوقه الملائكة ببرٍ وإكرام، ورقٍ وإجلالٍ، وتؤمنهم وتهدىء روعاتهم كلما نظر العبد إلى من يُعذَّب أو ينكل يقول له سائقه من الملائكة: يا عبدَالله ما أنت مثل هذا، هذا عصى الله وأنت أطعته. والقسم الثاني يساقون بالانتهار والسطوة والإغلاظ، يسوقه سائقه وهو يروعه ويقول له: يا عدوَّ الله هذا الحساب سوف تدري، كلما نظر المسكين إلى من يُعذَّبُ أو يُنكَّل قال له سائقه: الساعة تكون أنت مثل هذا، هذا عصى الله وأنت عصيته، أما علمت يا عدوَّ الله أن الحسابَ والحشرَ أمامك؟ وأنشدوا:

كأنِّي بنفسي قد بلغتُ مدى عمرِي ... وأنكرت ما قد كنت أعرف من دهرِي
وطالبني مَنْ لا أقومُ بدفعه ... وحُوِّلتُ من داري إلى ظلمة القبرِ
وفاز بميراثِي أناسٌ فشتتوا ... بإفسادِهم ما كنتُ أجمعُ من أمري
وأغفلني من كان يبدي محبتي ... فَأَخلِصُه وُدِّي ويغمُرهُ بِرِّي
فلم يسخ لي منهم صديقٌ بدعوة ... إذا ما جرى يوماً بحضرته ذكرِي
وأضحى لبيتي ساكن مبهج به ... وفي اللحد بيتي لا أقوم إلى الحشرِ
فيا شقوتي إن لم يَجُدْ بنجاته ... إلهي ولم يجبر برحمته فقرِي
فقد اثقلت ظهري ذنوبٌ لو أنها ... على ظهرِ طورٍ أثقلته في الوزر

فما أعظم مصيبتكم، وما أطول حسرتكم إن لم يعف عنكم مولاكم وجعل النار مأواكم، فاغتنموا التجارة في دار الفناء والذهاب، يجازيكم بها مولاكم عند مناقشة الحساب، فالحساب عظيمٌ عسيرٌ، والهول والله جليلٌ كبيرٌ، والناقد مميز بصير، واليوم عبوسٌ قمطرير.

[١٥٢] اللوح المحفوظ

ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إذا جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في صعيد واحدٍ ونُشِرَت الدواوين، ونصبت الموازين، وأُحَضِرت الأنبياء بأممِها، وحضر الصديقيّونَ والشهداء، وحُشِرَ وحوشُ الأرضِ، وهوامُها وطيورُها وأنعامُها، وسكانُ جبالها وبحارها.

ينادي منادٍ من قبل العرش: أين اللوح المحفوظ؟ فيؤتى باللوح المحفوظ فيوقف بين يدي الجبار جل جلاله خاضعاً ذليلاً، فيقول له تبارك وتعالى: ما صنعت بالوحي الذي أنزلت فيك؟ واللوح من درةٍ بيضاء، صفحتاه من ياقوتة حمراء، عرضه كما بين السماء والأرض ينظر الله تبارك وتعالى فيه في كلِّ يوم ثلاثمائة وستين نظرة، فيخلق في كل نظرة، ويحيي ويميت ويعزُّ ويذل، ويرفع أقواماً ويفعل بهم الخير ويوفقهم بفضله ويخفض أقواماً ويصدهم عن منهاج الهدى بعدله، لا يُسأل عمّا يفعل وهم يسألون يوم القيامة لأنهم ما قدروا الله حقَّ قدره ولا عبدوه حقَّ عبادته، لأنه جل جلالُه أجل وأعظم من أن يُوَفَّى في العبادة والطاعة والمعرفة حقَّه، ما قدر على هذا نبيٌّ مرسلٌ ولا ملكٌ مقربٌ، فسبحان من لا سبيلَ إلى معرفته إلّا بالعجز عن معرفته. قال: فيقف اللوحُ بين يدي الجبار جل جلاله وعظمة قدرته فيقول له: أيها اللوح المحفوظ ما صنعت بالذي أنزلته فيك؟ فيقول اللوح المحفوظ: سيدي ومولاي بلغته عبدك ميكائيل.

[١٥٣] رسالة ميكائيل

فينادي: أين ميكائيل فيؤتى به ﷺ وهو ملك عظيم له ستة عشر ألف جناح لو نشر منها جناحاً واحداً في الدنيا لما وسعته، فيقف بين يدي الله تبارك وتعالى خاضعاً ذليلاً قد بلغت نفسه إلى حنجرته فلا هي تدخل ولا هي تخرج خوفاً وجزعاً وهيبة من الجبار جل جلاله، فيقول الله له: ما صنعت بالوحي الذي بلغ إليك اللوح المحفوظ، وهل تشهد له بالتبليغ؟ وأنا أعلم بذلك منك ولكن سبق في علمي أني أسألك اليوم عبادي وجميع خلقي واستشهد بعضهم على بعض، فيقول ميكائيل: يا رب بلغني اللوح المحفوظ وبلغته عبدك إسرافيل وأنت أعلم.

[١٥٤] رسالة إسرافيل

فيبرأ اللوح المحفوظ بشهادة ميكائيل له، ثم ينادي: أين إسرافيل؟ فيؤتى به ﷺ وهو ملكٌ عظيمٌ له جناحٌ بالمشرق وجناحٌ بالمغرب ورجلاه تحت تخوم الأرض السابعة السفلى والعرش على رأسه فيقف بين يدي الله تبارك وتعالى وجل مع عظم خلقه خاضعاً ذليلاً قد ذهلت نفسه وتغير لونه، وارتعدت فرائصه واضطربت أوصاله واصطكت ركبتاه، وقد بلغت نفسه إلى حلقه فلا هي تدخل ولا

هي تخرج خوفاً وجزعاً وهيبة من الله تبارك وتعالى. فيقول له الجبار جل جلاله: ما صنعت بالوحي الذي بلَّغك ميكائيل، وهل بلغك وهل تشهد له بالتبليغ؟ وأنا علاَّمُ الغيوب. فيقول إسرافيل عليه السلام: نعم يا سيدي ومولاي قد بلغني وأنت أعلم وقد بلَّغته عبدك جبريل (عليه السلام)، فيبرأ ميكائيل بشهادة إسرافيل عليهما السلام.

[١٥٥] رسالة جبريل

ثم ينادي: أين جبريل؟ فيؤتى بجبريل ﷺ وقد تغير لونه وتبلبل لُبُّه وارتعدت فرائصه واضطربت أوصاله واصطكت ركبتاه، وقد بلغت نفسه إلى حلقه فلا هي تدخل ولا هي تخرج جزعاً وخوفاً من الجبار جل جلاله، فيقول الله تبارك وتعالى: يا جبريل ما صنعت بالوحي الذي بلغك عبدي إسرافيل وهل تشهد له بالتبليغ؟ فيقول جبريل عليه السلام: نعم يا سيدي ومولاي بلغني وبلَّغته نبيك نوحاً عليه السلام وأنت أعلم. فيبرأ إسرافيلُ بشهادةِ جبريل.

[١٥٦] شهادة نوح

فيؤتى بنوح عليه السلام حتى يوقف بين يدي الجبارِ جلَّ جلالُه وقد ذهبت نفسُهُ وتغيَّر لونه وقد مات فزعاً وخوفاً من الجبار جل جلاله، فيقول الجبار جل جلاله: يا نوح ما صنعت بالوحي الذي بلغك عبدي جبريل (عليه السلام) وهل تشهد له بالتبليغ؟ فيقول عليه الصلاة والسلام: نعم يا سيدي ومولاي قد بلغني عبدك جبريل (عليه السلام) وقد بلَّغته قومي وأنت أعلم من جميع عبادك بذلك. فيقول الله تبارك وتعالى: صدقت أنا أعلم من جميع خلقي ولكن قد سبق في علمي أن أسأل جميع خلقي وأستشهد بعضهم على بعض وأنا الحاكم الجبار الذي لا أجور في حكمي. ثم يدعى بقوم نوح عليه السلام فيقول لهم: ما صنعتم بالوحي الذي بلَّغكم نوح (عليه السلام) وهل بلَّغكم وهل تشهدون له بالتبليغ؟ فيقول قومُ نوح: ربنا ما جاءنا من نذير ولا رأيناه يوماً قط ولا سمعنا به ولا بَلَّغ إلينا رسالةً، فإذا سمع نوح عليه السلام كلامَ قومه ذهبت نفسه ووَدَّ لو ابتلعته الأرض، ولو قضى الله تبارك وتعالى بالموت لمات نوح حين جحده قومه حياءً من الله تبارك وتعالى، فيقول الله تبارك وتعالى: يا نوح هل تجد من يشهد لك أنك قد بلغت قومك

الرسالة؟ فينظر نوح عليه السلام في الموقف يميناً وشمالاً ومشرقاً ومغرباً يتضح ويتبصر من بين سائر الأنبياء والمرسلين، وبين كراسي الشهداء والصديقين، فلا يرى في المنابر أعلا ولا أنور ولا أحسن ولا أزهى من منبر محمد ﷺ.

[١٥٧] جاه الرسول الأعظم

ولا يرى في الأنبياء أحسن وجهاً من وجه محمد ﷺ، ولا يرى نوح في الكراسي أنور ولا أحسن من كراسي أمة محمد ﷺ، ولا يرى أبهى ولا أنور ولا أحسن من كرسي أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولا يرى في الوجوه أحسن وجهاً من وجوه أمة محمد ﷺ، ولا يرى في الصديقين والشهداء أحسن ولا أبهى ولا أنور من وجه أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

[١٥٨] فضل أبي بكر الصديق

فيقول له نوح: قد أصبت من يشهد لي يا مولاي وسيدي، فيقول الله تبارك وتعالى: وهو أعلم ـ من يشهد لك يا نوح؟ فيقول نوح عليه السلام: يشهد لي محمد ﷺ وأمته بأني قد بلغت قومي الرسالة، فينادي منادٍ: أين النبي الأمي العربي **التهامي؟ أين أحمد؟ أين سيد العالمين، أين خاتم النبيين والمرسلين، أين إمام المتقين؟ فعند ذلك يقوم محمد ﷺ، وعند ذلك يرفع أهل الجمع رؤوسهم إذا رأوا** رسول الله ﷺ فيمضي صلوات الله عليه حتى ينتهي إلى ربه عز وجل، فيقول له ربه: **يا أحمد ـ ونوح قائم ينظر ـ ما تقول هل بلغ نوح الرسالة إلى قومه؟ فيقول محمد ﷺ: نعم يا سيدي ومولاي قد بلغ وأقام يدعوهم إلى الإيمان ألف سنة إلاّ خمسين عاماً. فيقول الجبار جل جلاله: صدقت يا أحمد. فعند ذلك يفرح نوح عليه السلام ويتهلل وجهه. ثم يقول الله تعالى: يا محمد هلم أمتك إلى الحساب والشهادة، فبينما الخلائق في الموقف إذ يموج بعضهم في بعض ويفزعون فزعة** عظيمة، فتجتمع كل أمة حول نبيها وتنظر أمة محمد ﷺ يميناً وشمالاً فلا يرون النبي محمد ﷺ، والأمم قد أحدقت بأنبيائها وينظر الأنبياء والأمم إلى منبر رسول الله ﷺ خالياً.

[١٥٩] منبر الرسول والمحشر

فيقول بعضهم لبعض: لمن هذا المنبر الذي لا يرى في الموقف مثله لحسنه

وجماله، ولا يرى أنورَ منه ولا أعلا ولا أبهى منه، ونراه خالياً ولا نرى له صاحباً؟ فبينما هم ينظرون إلى منبر النبي ﷺ إذ ينادي المنادي، ألا ان هذا المنبر منبر محمد ﷺ، وأن محمداً ﷺ يناجي ربَّه في المذنبين من أمته يشفع لهم إلى الله تعالى. فبينما هذه الأمة وقوفٌ مغمومون محزونون بما يأتي النبي ﷺ من عند ربه عز وجل، إذ يخرج إليهم صلوات الله وسلامه عليه من عند ربه جل جلاله حتى ينتهي إليهم فيقوم بينهم فيرفعون رؤوسهم وينظرون إليه، فإذا رآهم صلوات الله وسلامه عليه أرسل عينيه بالبكاء، فإذا نظروا **﴿تجدُ كلّ نفسٍ ما عَمِلت من خيرٍ مُحضراً﴾** [آل عمران: ٣٠] الآية. ذلك يوم مهول عبوس يومٌ تَشيبُ فيه الرؤوس، وتذهل فيه النفوس، وتبلو كل نفس ما أسلفت، وتقدم كل أمة على ما قدمت، وتذهلِ كلُّ مرضعةٍ عما أرضعت يجد والله كل عبد وأمة ما عمل وقدم من خير ثواباً ونعيماً، وسروراً مقيماً، ورباً كريماً، رؤوفاً بعباده رحيماً. ويجد كل عبد وأمة ما عمل من شر خزياً جسيماً، وناراً وجحيماً، وعذاباً مقيماً، ونكالاً أليماً، ورباً غضباناً عظيماً: **﴿يوم تجد كلُّ نفسٍ ما عملت﴾** [آل عمران: ٣٠].

[١٦٠] الثواب والعقاب

يجد الطائعُ الثواب، ويجد الفاسقُ العذابَ، يجد المؤمن لذة الوصالِ، بالنظر إلى الكبير المتعال، في دار الخلد والجلال، ويجد الكافر العذاب والنكال، والسلاسل والأغلال، والجحيم والخبال، وفظاعة الأهوال، **﴿يوم تجد كل نفس ما عملت﴾** [آل عمران: ٣٠]، يجد المؤمن النعيم والكرامة، والأمن في القيامة، والعافية والسلامة، والحلول في دار المقامة، ويجد الكافر الخزي والندامة، والعذاب والملامة: **﴿يوم تجد كلُّ نفس ما عملت﴾** [آل عمران: ٣٠] يجد المؤمنُ الدرجاتِ، ويجد الكافر العقوبات، يجد المؤمن السرور، ويجد الفاجر الثبور، يجد المؤمن النعيم والخلود، ويجد الفاجرُ عذاباً غير مردود، ويجد المؤمنُ ما قدم من الإحسان، في درجات الجنان في جوار الرحمن، مع الخيرات الحسان، ويجد الفاجر ما عمل من العصيان في سموم النيران، في جوار الشيطان، مع الذل والهوان. يوم تجد كل نفس ما عملت، في يوم هائل عظيم، يوم تكثر فيه الغموم وتعظم فيه الهموم، ويفصل الرب بين عباده وهو الحي القيوم: **﴿يوم تجد كل نفس﴾** [آل عمران: ٣٠] يوم تندم على القبائح، وتتأسف عند معاينة الفضائح، وتوجد الأعمال في الصحائف

الصحائح. ﴿يوم تجد كلُّ نفس﴾ [آل عمران: ٣٠] يوم يندم الظالمُ ويخسر الآثم، ويكون الجبار جلَّ جلاله في ذلك اليوم العدل الحاكم، ذلك يوم الندامة والحسرة، والأهوال والعبرة. وأنشدوا:

يـا واحـداً صمـداً بغيـر قـريـن ... ارحـم ضـراعـةَ عبـدك المسكيـن
واعطـف علـيَّ إذا وقفـت مُـرَوَّعـاً ... حيـرانَ بيـن يـديـك يـومَ الـديـن
يـا حسـرتـي بيـن العبـادِ إذا همُـو ... خـافـوا الحسـابَ فخف عنهـم دونـي
ما حيلتي في يـوم نشرِ صحيفتي ... إذ قِيـلَ لـي خُـذْهـا بغيـرِ يميـنِ
مـا حيلتـي عنـد الحسـاب وهـولـه ... إذ قَصَّـرت بـي قُـوَّتـي ويقينـي
لا حيلـة عندي ولا لـي مـوئـلٌ ... إن خـانني طمعـي وحُسْـنُ ظنـونـي
يـا رب لا تتـرك عبيـدك هـالكـاً ... وارحـم بفضلـك عبـرتـي وشئـونـي

﴿يومِ تجدُ كلُّ نفسٍ ما عملت منِ خيرٍ محضراً﴾ [آل عمران: ٣٠] أي تجده حاضراً عتيداً وتسأل عن أعمالك سؤالاً شديداً: ﴿وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ [آل عمران: ٣٠].

قيل الأمد البعيد الذي يود من عمل سوءاً وعصى مولاه أن يكون بينه وبين عمله السوء كما بين المشرق والمغرب.

وقيل الأمد البعيد الغاية في البعد الذي يتمنى أنه تاب في الدنيا وتبدل الشر بالخير حتى يمحي عنه السوء بالتوبة فلا يراه ولا يسمعه ولا يعاقب عليه إذا رأى التائبين غفر لهم بالتوبة، وبدلت سيئاتهم بالحسنات والأوبة، كما قال تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلَهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلاّ بالحق ولا يزنون﴾ [الفرقان: ٦٨] الآية.

[١٦١] فائدة التوبة

وقال رسول الله ﷺ: «كل بني آدم خطَّاءٌ وخير الخطائين التوابون» فإذا رأى المسكين الذي عمل السوء وقد أحاطت به الكروب وترادفت عليه الهموم

---

[١٦١] حديث «كل بني آدم خطاء».

الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق، باب (٤٩) (٢٤٩٩) من حديث أنس. ابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة (٤٢٥١).

والخطوب، وأسود وجهُهُ من ظلماتِ الذنوب، وقد غضب عليه علام الغيوب، ورأى الذين تابوا من أخوانه وأهله وأصحابه وجيرانه قد فازوا بالملك الكبير، والحساب اليسير، ولباس السندس والحرير، والنظر إلى وجه السميع البصير ورأى نفسه قد خسر وخاب، وحُرِمَ الثواب، ونوقش الحساب، وحجب عن رب الأرباب، وصار إلى أليم العذاب. يود لو كان تائباً، ولم يكن من الرحمة خائباً، يود لو كان السوء عنه بعيداً، ولم يكن حاضراً عتيداً، ولم يكن العذابُ عليه شديداً. يود لو كان من التائبين، ولم يكن من المحرومين، يود لو كان من الآمنين، ولم يكن من المخالفين، يود لو كان من الطائعين، ولم يكن من العاصين، يود لو كان من المحسنين ولم يكن من الظالمين، يود لو كان من أهل الجنان، ولم يكن من أهل النيران، يود لو كان من أهل الثواب ولم يكن من أهل العقاب، يودُّ لو كان من أهل النعيم، ولم يكن من أهل الجحيم، يودُّ لو كان من الأولياء، ولم يكن من الأشقياء. يود لو كان من أهل الوفاق، ولم يكن من أهل النفاق. يود لو كان من أهل الفوز بالجنة، ولم يكن من أهل العذاب والمحنة. يود لو كان سعيداً رشيداً، ولم يكن عن الله بعيداً. لا أبعدنا الله وإياكم من رحمته، وقربنا وإياكم بالفوز لجنته.

[١٦٢] عمل العبد يلازمه

ذكر في بعض الأخبار أن العبد إذا مات أحضر عمله كله عند رأسه حين يغسل خيراً كان أو شراً فإذا صلّى عليه ومضى إلى قبره وانصرف الناسُ عنه بقي عمله معه في قبره ولا يزال معه في قبره إلى يوم يخرج من قبره فإذا خرج خرج معه، فإذا قدم إلى الحساب اجتمع عمله كله خيره وشره حتى حركاته وأنفاسه ووفاقه وخلافه، يجد الكل مجموعاً لم ينس منه شيء من الكبائر ولا من الصغائر، ولا من الظواهر ولا من السرائر.

[١٦٣] الحض على التوبة

فالله الله معشر المذنبين مثلي أبعدوا عن عمل السوء بالتوبة إلى الرحمن، ولا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها غرور الشيطان، واعلموا أن الله تبارك وتعالى يمحو عنكم سيئاتكم بترك الذنوب والعزم على التوبة، ويرحمكم يوم الحساب بحسن

الأوبة. يا أخي يا أخي وما عسى أن أقول لك من كرم مولاك الجليل جل جلاله لو أن الذنوب التي عملت في أيام طغيانك وعصيانك كانت مثل جبال الدنيا برمالها وبحارها وأنهارها، وتبت توبة واحدة بصدق وحرقة وندامة، ليغفرها لك مولاك الكريم بكرمه وفضله، ولا تسأل عنها يوم القيامة وأنشدوا:

نهـاك الطبيـب محيـلاً علـى ... مطـاعـم لـو نلتهـا لـم تمـتْ
وخـاطبـك الله جـلَّ اسمُـهُ ... بتـرك الـذنـوب التـي حـرمـتْ
فـأعـرضـتَ عـن أمـره لاهيـاً ... وأمَّنـت نفسَـكَ مـا خـوفـتْ
فـأطمعتهـا أن تنـال الـرِّضَـا ... بجهلـك فـي فضـلِ مـن قـد عَصَـتْ
فمـاذا تقـول إذا أزعجـت ... لتخـرج بـالكـره فـاستسلمـت
فـلا نـدمٌ حـطَّ أوزارهـا ... ولا تـوبـة غَسَلَـتْ مـا جنـتْ
وأفـردتَ وحـدَك فـي ملحـدٍ ... بكـت فيـه نفسُـكَ مـا أسلفـتْ

[١٦٤] ما تحويه الآية

يا أهل الذنوب تدبروا هذه الآية فإن فيها بلاغةً لمن تذكر، وزجراً لمن اعتبر، وتخويفاً لمن تدبر، ونهياً لمن تفكر. فالفكرة عبادةٌ وخيرٌ وزيادةٌ لأن مولاكم الكريم قد خوَّفكم وهددكم وزجركم بها زجراً شديداً فقال: **﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾** [آل عمران: ٣٠] ثم قال: **﴿ويحذركم الله نفسه﴾** [آل عمران: ٣٠] أي يحذركم عقابه وعذابه إذا عصيتموه، ويجزل لكم ثوابه إذا أطعتموه، فلا يحقرن أحدكم من الذنوب شيئاً وإن صغر فربما كان فيه شدة العذاب والعقاب، ولا يحقرن أحدكم حسنة يعملها وإن قلَّت فربما كان فيه الرضا من الملك الوهاب. واعلموا أن الذنب الذي يحقره صاحبه يكون يوم القيامة في ميزان فاعله أثقل من جبال الأرض، فازجر نفسك عن غيها وقدم في حياتك. ليوم فقرك. والأصل في الذنب الصغير أن يكون سبباً لدخول صاحبه في النار. إن العبد المغرور يعمل الذنب ويحقره ولا يفكر في من قد عصاه وهو الجبار جل جلاله، فعند ذلك

---

[١٦٤] حديث «إياكم ومحقرات الذنوب» أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٧٠) من حديث عائشة أم المؤمنين.

يغضب عليه مولاه ويقول له: عبدي حقّر ذنبه واستخفَّ بحقي، وعزتي وجلالي لأعذبنَّه عليه بالنار ومن تاب تاب الله عليه وغفر له بالتوبة.

وقد قال رسول الله ﷺ: «اياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً» قال الله سبحانه: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت﴾ [آل عمران: ٣٠] الآية. وأنشدوا:

قد ذهب الحيُّ إلى عرسه وعذِّب الميتُ في رمسِهِ
مرتهنُ النفس بأعمالِها لا يأمن الإطلاقَ من حبسِه
لنفسه صالحُ أعمالِهَا وما سوى هذا على نفسِه

[١٦٥] حكاية عن أحد الصالحين

حكي أن المنصور بن عمار رحمه الله دخل على عبدالملك بن مروان، فقال له عبدالملك: يا منصور مسألة. وقد أمهلتك سنة كاملة، من أعقل الناس، ومن أجهل الناس؟ قال: فخرج منصور إلى بعض الفضاء من القصر ليخرج فإذا الجواب قد حضره، فرجع إلى عبدالملك، فقال له عبدالملك: يا منصور ما الذي ردَّك إلينا؟ قال: يا أمير المؤمنين أعقل الناس محسنٌ خائف وأجهل الناس مسيء آمن. فبكى أمير المؤمنين حتى بلّ ثيابه بدموعه ثم قال: أحسنت واللهِ يا منصور ثم قال له: إقرأ عليَّ شيئاً من كتاب الله فهو الشفاءُ لما في الصدور، وهو الدواءُ والنور. فقرأ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾ [آل عمران: ٣٠] الآية. فقال عبد الملك: قتلتني يا منصور ثم غشي عليه، فلما أفاق قال له: يا منصور ما معنى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ [آل عمران: ٣٠] قال منصور: عقوبته يا أمير المؤمنين. فبكى عبدالملك ثم أفاق فبكى مرة أخرى ثم قال: يا منصور وما معنى: ﴿رؤوف بالعباد﴾[آل عمران: ٣٠] قال: رحيمٌ غفارٌ لمن تابَ وأنابَ قال: وما معنى: ﴿ما عملت من سوء محضراً﴾ [آل عمران: ٣٠] قال: كلُّ صغيرةٍ وكبيرةٍ يجدها العبدُ يوم القيامة، لم يغفر الله منها شيئاً. فبكى عبدالملك حتى غشي عليه، فلما أفاق قال:

[١٦٦] رقة عبدالملك بن مروان

إن والله من فكَّر في هذه الآية وعصى مولاه بعد ذلك لقد ضلَّ ضلالاً بعيداً. وأنشدوا:

بكيت على عظم الذنوب وغزرها وما قلَّ من يبكي لعظم سؤالْه
تفكَّر في عظم السؤالِ وهولِهِ وتندب دهراً زاد قبحُ فعالْهْ
لعلَّ إلهَ العرشِ يرحمُ عبدَهُ ويمنحه في الحشرِ طولَ وِصَالِهْ
ويغفر ما قد كان في طولِ جهلِهِ ويسكنه بالعفوِ دارَ جلالْهْ
وإن نظرَ الربُّ العظيمُ جلاله فذاك جسيم من جزيل نوالْهْ

﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾ [آل عمران: ٣٠] تجد والله كل نفس ما قدمت في الأيام، من الطاعات والإجرام. ذلك يوم المصائب، ويوم النوائب، ويوم العجائب. يوم هتك الأستار، يوم تسعر فيه النار، يوم يفوز فيه الأبرار، ويندم فيه الفجار، وتعرض العباد على الواحد القهار. فالعجب كل العجب ممن قطع عمره في الأغفال، وضيَّع أيامه في المحال وأفنى شبابه في الضلال، ولم يعمل بما في كتاب ذي المجد والجلال، قال الله الكبير المتعال: **﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾** [آل عمران: ٣٠] يقول الله تعالى: يا ابن آدم تطلب موعظة ساعة وتقيم على الذنب سنة؟! وأنشدوا:

ما بال قلبك باللذات قد شغفا وعن فواتِ صوابِ الفعلِ ما أسفَا
وقد توعَّده الجبارُ خالقُنَا وبالذنوبِ وبالعصيانِ قد كَلِفَا

[١٦٧] توبيخ الله تعالى للعباد

ذُكر في بعض الأخبار أن الله تبارك وتعالى يقول في بعض كتبه المنزلة على أنبيائه: يا عبدي ما الذي زهَّدك فيَّ ورغَّبك في غيري؟ عبدي أنا أتقرب إليك وتهرب عني وأطلبك وتفر مني! عبدي بسطت لك غرور الدنيا فاشتغلت بها عني، وآثرتها علي وزهدت في سعة رحمتي! أهكذا يفعل المطيعون بأربابهم المحسنين إليهم؟ عبدي من الذي سترك وكلاءك وحفظك ووقاك؟ هل كانت لك شركة في نفسك معي، أم هل كانت لك قوة بنفسك عليَّ؟ عبدي ما الذي قصرك عن عبادتي؟ ما الذي زهَّدك في طاعتي؟ أين أنت من هادم اللذات، أين أنت من نواح الآباء والأمهات، أين أنت من المُفرِّق بين البنين والبنات، أين أنت ممن لا يستأذن على أصحاب القصور، ولا يستأمر أرباب الدور، أين أنت من قاصم الجبارين الموكل بأرواح المخلوقين؟ عبادي أليس قد اضمحلت آثار الماضين، ودرست

معالم السالفين، واتبع اثارهم الباقون. ومن ذا الذي يقوم بخلود الدهر غيري، ومن ذا الذي ينفع دوام الأبد غيري، عجزت عن الخلود الجبال الراسيات والأطواد العاليات، والبحار الطاميات. أنا الذي تفردتُ بالبقاء، وحكمت على عبادي بالفناء، أنا الله لا إله إلاّ أنا لا شريك معي في ملكي، ولا نظير لي في حكمي ولا ضدَّ لي في سلطاني. وأنشدوا:

أمـا والـذي لا خلـدَ إلاّ لـوجهـهِ ... ومـن ليس فـي العـزِّ المنيع لـه كفـو
لئـن كـان هـذا العيـش مـراً مـذاقُـهُ ... لقـد يجتنـي مـن غثـه الثمـرَ الحلـو

[١٦٨] السؤال لا يدع ذرة

واعلموا أن الله تبارك وتعالى مسائلكم عن الكبيرة والصغيرة، والخفية والسريرة، وعن كل ما قلَّ، وما دقَّ وما جلَّ، لا يغفل عن شيء، يجد العبد ما عمل حاضراً، ويجزي به وافراً ويسأل عمَّا عمل سراً وظاهراً: **﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾** [آل عمران: ٣٠] تجد والله القليل والكثير، والنقير والذرة والقطمير. وأنشدوا:

والله لـو بكينـا طـولَ الأيـام ... بـدمـع هـامـلٍ سجـام
وفـررنـا مـن الأهـل والأوطـان ... إلـى الجبـال والآكـام

خوفاً من ذلك المقام، لكن ذلك لنا قليلاً خوفاً من سؤال الملك العلام. فكيف ونحن لا نفيق من الغفلات، ولا ننتبه من السكرات، ولا نخاف يوماً نجد فيه الحسنات والسيّئات، ونسأل عن المظالم والتبعات، كما قال الذي فطر الأرض والسمواتِ: **﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾** [آل عمران: ٣٠].

[١٦٩] سؤال الله تعالى للعباد

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنّ الله تعالى يخلو بعبده يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب ويقول له: عبدي عملت كذا وكذا في يوم كذا، أما علمت أني مطلع عليك يا عبدي أفجعلتني أهون الناظرين إليك؟ أما استحييت مني، أما استحيت من ملائكتي، أما خفت من عقابي، عبدي أرويتك من الماء البارد وقوَّيتُ جسمك ووسَّعت عليك من سعة رِفدِي فعصيتني! حتى ان العبدَ ليذوب حياءً من الله ويغمره العرق حتى يكاد يموت من الفزع، ثم يقول العبد: يا رب النار أهون عليَّ من حيائي

منك ومن العباد. فيأمر الله تعالى به إلى النار، فيمضي العبد وهو يرد رأسه ويقول: يا رب وعزتك وجلالك ما عصيت بهذا كله استخفافاً بحقك، وما ظننت بك إلاّ أن تغفر لي كما سترت عليَّ في الدنيا، وقد أيقنت أن عصياني ذلك لا يضرك، وأن رحمتك لي لا تنقصك. فيقول الله تبارك وتعالى: عبدي صدقت لم تقطع رجاءك من رحمتي. فوعزتي وجلالي لأغفرنَّ لك اليوم، يا ملائكتي مروا بعبدي إلى الجنة. ومن العباد من يقول: يا رب العذاب عليَّ أهون من توبيخك لي، أرسل بي إلى النار كما يفعل بالعبد الآبق عن مولاه. فيقول الله تبارك وتعالى: عبدي ما وبختك إلاّ لأعرفك أن ذنوبك بعيني إذ عصيني بها، وجعلت توبيخي لك كفارة لذنوبك وقد غفرتها لك وقد رحمتك وأنا أرحم الراحمين. مروا بعبدي إلى الجنة. جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة أجمعين، وتوفانا برحمته مسلمين، وختم لنا عند فراق الدنيا بحسن الخاتمة وكلمة التقوى قول لا إلّه إلاّ الله محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وشرف وكرم، وحشرنا معه في المقام الأعظم، مع أصحابه وأزواجه الكرام أمهات المؤمنين آمين يا رب العالمين.

٦

مجلس ثاني في قوله سبحانه وتعالى ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾

[١٧٠] قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾ [آل عمران: ٣٠] يجد المؤمن الحسنات في قرار الجنات، والقصور العاليات، والحور والدرجات، والنظر إلى رب الأرضين والسموات، يجد الطائع البشرى، ويجد الفاجر النار الكبرى، يجد المؤمن الأمان، مع السرور والرضوان، ويجد الفاجر الهوان، مع الذل والخسران، يجد المؤمن من الملك الجزيل، مع الثواب والتفضيل، وأنهار السلسبيل، والنظر إلى وجه الملك الجليل، ويجد الفاجر النوحَ والعويلَ، والحزن الدائم الطويل، والعذاب الشديد الثقيل، يجد المؤمن الخلاص، والتبجيل والاختصاص، ويجد الفاجر العذاب وشدة القصاص. المؤمن يوم القيامة مرحوم، والفاجر باللعنة مرجوم، المؤمن عند الحساب مستور، والفاجر عند السؤال مشهور. المؤمن عند الحساب يلاطف، والفاجر عند السؤال يكاشف. المؤمن حسابه عتاب، والفاجر سؤاله عذاب. المؤمن يجد من مولاه الرحمة، والفاجر يجد من الله النقمة. المؤمن حسابه يسير، والفاجر حسابه عسير. المؤمن يجد لباسه حرير الجنان، والفاجر لباسه سرابيل القطران. المؤمن يجد عمله سروراً، والفاجر يجد عمله ويلاً وثبوراً. المؤمن يجد الاتصال، والفاجر يجد الانفصال. المؤمن يجد الخلاص والفكاك، والفاجر يجد الهوان والهلاك. المؤمن مع محمد النبي، والفاجر مع الشيطان الغوي. المؤمن في وجهه نضرةُ النعيم، والفاجر في وجهه ظلمةُ الجحيم، المؤمن في الحساب ريان، والفاجر في الموقف عطشان. وأنشدوا:

أنـت المخـاطـبُ أيهـا الإنسـانُ ... فـأصـخ إلـيَّ يلـح لـك البـرهـانُ
أودعـت مـا لـو قلتـه لـك قلـت لـي ... هـذا لعمـرك كلّـه هـذيـانُ

فانظر لعقلك من بيانك واعتبر إتقانَ صنعته فثَمَّ الشانُ
وجزا محاسن فعلهم في حشرهم عند الإله وعنده الرضوانُ
هذا لعمري ظاهر لا يختفي نطق الرسول وبيَّن الفرقانُ

[١٧١] حكم قدسية

ذكر في بعض الحكم التي أنزلت على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، عجباً لمن لا يرحم نفسه كيف يرحم، وعجباً لمن يدوم على المعصية كيف يرجو حسن المآب، وعجباً لمن يعمل أعمال النيران وهو يطلب نعيم الجنان؟ كأنك يا أخي قد قربت من العرض والحساب، ووقفت بين يدي الملك الوهاب، فيأمر بك إلى الجنة وحسن المآب، أو إلى النار وأليم العذاب تفكر في هذا كله يا مغرور لعل القسوة تنجلي من قلبك، والوقر أن يزول عن سمعك، والغطاء أن يرتفع عن بصر قلبك، فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور. فانظر يا أخي بنور فكرتك، وأطلق الموعظة على بحر عبرتك، فلعل العين أن تدمع، ولعل القلب أن يرق ويخشع، فإذا جرت الدموع وخشعت القلوب مُحيت الذنوب، وبلغت المنى والمرغوب، ويسَّر حسابك علاّمُ الغيوب. وأنشدوا:

تذكري المكث في الترابِ حتى أنادي إلى الحسابِ
هون كل البلاء عندي وهكذا الفقد للشبابِ
فليت شعري وكم مقامي تحت الثرى أو متى أيابِي
لو كان لي عقلٌ ما هناني نومي ولا ساغ لي شرابِي
ولا ضحكت ولست أدري مالي لدى الله من حسابِ

[١٧٢] النداء بأسماء الخلائق

ذكر في بعض الأخبار أن الخلائق إذا وقفوا في أرض القيامة فيقف كل عبد وأمة إذ نادى المنادي باسمك يا مغرور على رؤوس الأولين والآخرين أين فلان بن فلان، أو أين فلانة بنت فلان، هلم إلى الحساب بين يدي رب العالمين، فاستقر في سمعك يا مسكين إنك أنت المنادى من جميع الخلق، فقمت على قدميك قد تغير من الفزع لونك، وانخلع من الجزع قلبك، واضطربت من الهلع مفاصلك، وقد سمع من كان حولك حسيس قلبك بالخفقان، وأوصالك قد اشتدت في

الطيران، فكادت نفسك أن تزهق من خوف الرحمن، فإذا نظر الملك الموكَّل بسوقك وقد تغير لونك وتحير لبك، علم أنك أنت المنادى باسمه فإذا كنت من أهل النفاق، والعصيان للملك الخلَّاق، نظر على وجهك ظلمة الذنوب، فعلم أنك عدو لعلام الغيوب، فجمع بين ناصيتك وقدميك، غضباً لغضب الله عليك.

[١٧٣] أهل الرشاد والتوفيق

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يعرفُ المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصِي والأقدام﴾ [الرحمن: ٤١] وإن كنت من أهل الرشاد، والتوفيق والسداد، الذين وفُّوا الله بالميعاد، وخافوا مولاهم ربَّ العباد؛ أخذ بيدك الملك وقادك، يجوز بك بالرفق ورفع الخلائق أبصارهم إليك، وتمنوا مثل ما من الله عليك، وأنت سائر إلى ربك ليجازيك بسعيك، ويعدل عليك بكسبك، فلما انتهى بك الملك إلى سلطان العظمة، فإن كنت من أهل السير الصالح في الدنيا سترك جل جلاله بالنور، وأبدى لك البشرى والسرور، وقربك وأدناك، وفضلك وحاباك، فلم يطلع على حسابك ملكٌ ولا نبيٌّ ولا رسولٌ، إلا الملكُ الجبارُ الذي لا يحول ولا يزول، فيقول لك: عبدي أنت الذي كنت تسهر والعباد نائمون، وتصوم والعباد يشبعون، وتبكي والعباد يضحكون، وتحزن والعباد يفرحون، وتخافني والعباد آمنون، أنت الذي كنت تجتهد في عبادتي والعباد بطَّالون، وتتصدق والعباد يبخلون، وتبذل المعروف بين عبادي والناس يمنعون.

يقول المولى جل جلاله: فوعزتي وجلالي وملكي ومجدي وكبريائي وعظيم سلطاني وقدرتي على جميع العباد لأومنن روعك، ولأبيحنك جنتي، ولأوسعنك مغفرتي ورحمتي، ولأعطينك من جزيل ثوابي وحسن مآبي ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلبِ بشر. ولأبيحنك النظر إلى وجهي، ولأرفعن قدرك وجاهك، ولأشفعنَّك في إخوانك وأهلك وأحبابِك وجيرانك من أهل الذنوب والخطايا.

[١٧٤] شفاعة العبد المؤمن

يقول المولى جل جلاله: يا عبدي أخرج إلى موقف الحشر فانظر إلى من لقيني من أهل الذنوب على التوحيد قد شفعتك فيه خذ بيده وانطلق به إلى الجنة

بلا خوف ولا حزن، والله تعالى أعلم. وأنشدوا:

عنِّي إليك فما اللذات من شغلي ... ولا سبيل الصبا واللهو من سبلي
حال التقى دون ما قد كنت تعرفه ... فلست منه على زيغ ولا زللِ
في الحشر لي شغلٌ عن كل مشتغلٍ ... بلذةٍ وعن الألحاظ والمقلِ
هذا إطار الكرى عن مقلتي وزوى ... عني المنى وطوى المبسوط من أملي
كم ليلة بت فيها ساهراً أرِقاً ... أخشى العقابَ وأخشى سرعةَ الأجلِ

قال الله تعالى: **﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسَه والله رؤوفٌ بالعباد﴾** [آل عمران: ٣٠] رؤوف والله بالمؤمنين، ذو نقمةٍ على الظالمين، رؤوف بأهل الإحسان، وذو انتقام من أهل العصيان، رؤوف بأهل السداد، وذو انتقامٍ من أهل العناد، يا مغرور تفكر في هذه الآية فلك فيها من التخويف غاية، ومن الزجر والتقريع نهاية، فازجر نفسك عن هواها، عساك تبلغها يوم العرض مناها.

[١٧٥] حكاية عن ذي النون المصري

حكي عن ذي النون المصري بن إبراهيم الأخميمي رحمة الله تعالى عليه أنه قال: خرجت مرة من المرات إلى ناحية الأردن من أرض الشام؛ فلما علوت الوادي فإذا أنا بسواد قد أقبل وهو يقول: **﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾** [الزمر: ٤٧] فلما قرب مني السواد اذا هو شخص، فتأملته فإذا هو امرأةٌ عليها جبةُ صوفٍ وخمار من صوف، وبيدها ركوةٌ وبيدها الأخرى عكاز، فقالت لي غير فازعة مني: من أنت؟ فقلت لها: رجل غريب، فقالت: يا هذا وهل يوجد مع الله غربة وهو مؤنس الغرباء، ومعين الضعفاء، فاجعله أنيسك إذا استوحشت، وهاديك إذا ضللت، وصاحبك إذا احتجت. قال ذو النون: فبكيت من كلامها فقالت: مم بكاؤك؟ قلت لها: وقع دواؤك على دائي وأنا أرجو أن يكون سبباً لشفائي، قالت: فإن كنت صادقاً في مقالتك فلم بكيت؟ قلت لها: رحمك الله والصادق لا يبكي!! قالت: لا، قلت لها: لم لا يبكي الصادق؟ قالت: لأن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلب أحر من الزفير والشهيق وذلك ضعيف عند أوليائه. قال ذو النون: فبقيت والله متعجباً من قولها فقالت لي: مالك؟ قلت: أنا والله متعجب من قولك، قالت: وهل نسيت القرحة التي ذكرتها؟ قال

قلت لها: رحمك الله إن رأيت أن تمني علي الزيادة. فقالت: وما أفادك الحكيم في مقامك بين يديه من الفوائد ما يستغنى به عن طلب الزوائد! قال: قلت لها: رحمك الله ما أنا بمستغن عن طلب الزوائد، قالت: صدقت يا مسكين حب مولاك واشتق إليه فإن له يوماً يذيق فيه أولياءه كأساً لا يظمئون بعده أبداً. ثم علا شهيق ثم قالت: يا حبيب قلبي إلى كم تخلفني في دار لا أجد فيها صادقاً بريئاً من الدعاوى الكاذبة يسعدني البكاء على أيام حياتي. ثم تركتني وانحدرت في الوادي وهي تقول: اللهم إليك لا إلى النار، حتى غاب شخصها عن بصري، وانقطع صوتها عن سمعي. قال ذو النون: فوالله ما ذكرت كلامها قط إلّا كدَّر عليَّ أحشائي وعيشي. قال ذو النون: فلقد أدبتني واستقام حالي مذ رأيتُها. وأنشدوا:

أريــد وأنــت تعلــم مــا مُــرادي ... وتعلــم مــا تلجلــج فــي فــؤادي
فهــب لــي ذلتــي واغفــر ذنــوبــي ... وســامحنــي بهــا يــوم التنــادي

[١٧٦] رجع إلى الموعظة

يا أخي، مالك لا تفكر في قول مولاك الذي لم يزل عليك شهيداً، وهو يسمعك ويراك قوله تعالى: ﴿**يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً**﴾ [آل عمران: ٣٠] الآية. أقرع يا مسكين بهذا الكلام باب قلبك فعساك تزيل عنه الأقفال، وترده عن الغي والمحال، وتوقظه عن السهو والإغفال، قال الله الكبير المتعال: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**﴾ [محمد: ٢٤] ﴿**يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً**﴾ [آل عمران: ٣٠] يوم يظهر الخفي من أعمالك، يوم تبكي على قبيح أفعالك، يوم يحزن المسيء من أقوالك، يوم تنوح على خطاياك وضلالك.

[١٧٧] جهنم وشدتها

ذكر أن الخلق إذا اجتمعوا في الموقف وضاق المتسع، وعظم الفزع، واشتد الجزع، واختلفت الأقدام، وكثر الازدحام، وجاءت جهنم بالهول الأعظم، والعذاب المقيم الألزم ووقفت بين يدي الجبار خاضعة للملك القهار، أمر الجبار جل جلاله أن تفتح أبوابها، وترفع كلَّ جلالٍ عليها، وهي سبعة أبواب على كلِّ باب سبعمائة ألف جلالٍ وهي الحجب. ولولا تلك الاجلال لاحترقت السموات

ومن فيها والأرضون ومن عليها، غلظ كل جلال خمسمائة عام، فإذا فتح منها الأبواب رفعت تلك الحجب من عليها ورمت النفط والقطران وحجارة الكبريت ويخرج منها عنق من نار أسود فيلتقط من الموقف كل ذهب وفضة وياقوتة وزبرجدة ولؤلؤة استعدت لزينة الدنيا.

[١٧٨] زينة الدنيا الزائلة

فيأخذ الكل ويجمعه والجبار جلَّ جلاله يقول لها: اتركي ما لم يكن لنا فكل ما كان من زينة لم يرد به وجه الله تعالى أخذته النار، ومناد ينادي أصحابها: هذه زينتكم التي اشتغلتم بها عن طاعة الله عز وجل وآثرتموها على ما عند الله ولم تتبعوا سنن النبيين، ولا سير الصالحين. ثم ينادي المنادي: اتبعوا زينتكم، فتخرج عنق من النار مرة أخرى فتلتقط أصحابها إلاّ من رحم الله.

[١٧٩] صاعقة جهنم

فعند ذلك يقول كل عبد وأمة: يا ليت هذا كله جعلته في جنب الله، يا ليته لم يكن معي، يا ليته بعد عني، ثم يأمر الله تعالى أن ترتفع صاعقة من جهنم سوداء فتسودُّ وجوهُ أقوام من الرجال والنساء، وتعمى أبصار قوم من الرجال والنساء، وتختم على أفواه قوم من الرجال والنساء، فذلك قول الله عز وجل: ﴿يوم تبيضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوه﴾ [آل عمران: ١٠٦] يا أخي يا مسكين يا ضعيف اليقين مثلي أتراك من أي الفريقين تكون؟! أمن الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الملك الرحيم، أو من الذي اسودت وجوههم في العذاب الأليم؟ أفهل تكون من الذين ابيضَّت وجوههم بالرحمة، أم من الذين اسودَّت وجوههم بالنقمة؟ فكل من اسودَّ وجهه قد أيقن بالنار، وكل من ابيضَّ وجهُهُ قد أيقن أنه من أهل دار القرار، فيا لها من فرحة ما أعظمها، ويا لها من مصيبة ما أدومها، فإذا نزل السواد في وجه من شاء الله تبارك وتعالى صار ذلك السواد حجاباً بينه وبين النظر إلى وجه مولاه، وإذا نزل البياض في وجه من أراد الله تبارك وتعالى يبيضُّ وجهه رفع ذلك النور حجابَ الذنوبِ الذي يحجب العبد عن النظر إلى وجه علاَّم الغيوب.

[١٨٠] من ابيضَّ وجهُهُ

وذلك أن البياض نور المغفرة، وهو نورُ الرحمة، وهو نور القرب، وهو نور

الوِصَال والسواد أيضاً هو سواد البعد، وهو سواد الانفصال، وهو سواد النكال؛ وهو سواد النقمة، وهو سواد الحجبة قال الله تعالى: **﴿كلاَّ إنهم عن ربِّهم يومئذٍ لمحجوبون﴾** [المطففين: ١٥] فالحجاب يا مسكين يا مغرور في الدنيا وقع على قلبك باكتساب السيئات، ودوامك على الخطيئات واشتغالك عن رب الأرضين والسموات، قال الله تبارك وتعالى: **﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا﴾** [آل عمران: ٣٠] فيا معشر المذنبين أبعدوا السوءَ وأبدلوه بالإحسان، وارغبوا في نعيم الجنان وارجعوا عن الأوزارِ والعصيان، فإنها تزيدكم، من عذاب النيران. يا أخي أبعد السوء وأبغضه بغضاً شديداً، وكن على إبعاده بالتوبة جلداً جليداً، من قبل أن يأتي يومٌ تودُّ أن لو كان السوء عنك بعيداً، ولم تتبعِ شيطاناً غوياً مريداً. وأنشدوا:

يـا مـن إليـه جميـعُ الخلـق يبتهلـوا ... وكـلُّ حـيٍّ علـى رحمـاه يتكـلُ
يا من نأى فرأى ما في الغيوب وما ... تحت الثرى وحجابُ الليلِ منسدِلُ
يـا مـن دنـا فنـأى عـن أن تحيـط بـه ... الأفكـار طُـرّاً أو الأوهـامُ والعلـلُ
أنـت المـلاذُ إذا مـا أزمـةٌ شملـت ... وأنـت ملجـأ مـن ضـاقـت بِـه الحِيَلُ
أنـت المنـادى بـه فـي كـلِّ حـادثـةٍ ... أنـت الآلـهُ وأنـت الـذخـرُ والأمـلُ
أنـت الغيـاثُ لمـن سُـدَّت مـذاهبـه ... أنـت الـدليـل لمـن ضلَّـت بـه السُّبلُ
إنَّـا قصـدَنـاك والآمـالُ واقعـةٌ ... عليـك والكـلُّ ملهـوفٌ ومبتهـلُ
فـإن غفـرت فعـن طـول وعـن كـرمٍ ... وإن سَطَـوت فـأنـت الحـاكـمُ العـدلُ

[١٨١] حكاية ذي النون عن الراهب الصامت

قال ذو النون رحمه الله: ذكر لي عن راهب بالشام أنه لم يكلم أحداً مدة أربعين سنة، فنهضت إليه فلم أزل أنادي تحت صومعته وأقسم أن يشرف علي حتى أشرف من أعلا صومعته، فراودته على الكلام فأبى علي، فقلت له: بالذي سكت من أجله ومن خوفه إلاّ أجبتني عما أسألك عنه، فقال لي: قل ولا تطيل الكلام علي، قلت له: منذ كم أنت في هذا الموضع؟ فقال: منذ يوم واحد، فقلت له: وكيف ذلك؟ قال: سمعت الناس يقولون أمس واليوم وغداً، فأما أمس فقد فات، وأما اليوم فلي، وأما الغد فلا أدري أبلغه أم لا، ثم أدخل رأسه فما كلمني وهو

يبكي ويقول لا صبرَ لي على النار. وأنشدوا:

أيا نفس لا صبراً على النار فاعلمي ... وكوني على خوف من النار ما عشتِ
ودومي على الأحزانِ ما دمت حيةً ... عسى تذهب الأحزانُ عنك إذا متِّ
يقولون في طولِ الكلام بلاغةٌ ... وقد علموا أن البلاغةَ في الصمتِ
إذا العبدُ لم يلعب هواهُ بعقله ... عصى ربَّه وازداد مقتاً على مَقْتِ

[١٨٢] تقسيم العمر على الأعمال

معشر المذنبين اجعلوا أعماركم ثلاثة أيام، يوم مضى يوم أنتم فيه يوم تنتظرونه لا تدرون بما يأتيكم من صلاح أو فساد ولعلكم لا تبلغونه، فأصلحوا اليوم الذي مضى بالندم على ما فاتكم فيه من الطاعة والإحسان وما اقترفتم فيه من الذنوب والعصيان، واليوم الذي مضى إنما تصلحونه في اليوم الذي أنتم فيه بالبكاء والندامة، وذم النفس مع الملامة. وأنشدوا:

حتى متى نحن والأيام نحسبها ... وإنما نحن فيها بين يومين
يوم تولى ويوم أنت تأمله ... لعله أجلب الأيام للحينِ

آنس الله روعتي وروعتكم يوم النشور، وآنس وحشتي ووحشتكم في القبور، إنه على ذلك قدير، وهو عليه يسير، وأماتنا وإياكم على هذه الكلمة، شهادة أن لا إله إلاّ الله محمد رسول الله غير مبدلين ولا مغيرين ولا مبتدعين آمين رب العالمين.

7

مجلس في قوله تعالى:
﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ الآية

[١٨٣] يا أخي يا مسكين يا حيران، من الذنوب والعصيان، يا من تعرض لسخط الملك الديَّان، يا من أقرَّ عين عدوه الشيطان، بتماديه على الخذلان، والضلال والبهتان، والأوزار والطغيان، يا مغرور إنك آخذ كتاباً، ووارد حساباً، ونازل ثواباً، أو عذاباً. فقدم يا غافل في دار الغرور، ما تجده في الكتاب المنشور، من الثواب والحبور، والفرح والسرور، والضياء والنور، من رحمة العزيز الغفور.

[١٨٤] أين الكتب يومَ القيامة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الكتب كلها تحت العرش فإذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى ريحاً تطرها بالأيمان وبالشمائل، أول حرف في الكتاب: ﴿إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ [الإسراء: ١٤] ما أعدل الملك الوهاب، إذ جعل الإنسان حسيب نفسه في قراءة الكتاب. يا مسكين يا مغرور إن أخذت الكتاب بالشمال فحسبك العذاب والنكال، والمحن والأهوال، والسلاسل والأغلال، والحميم والخبال، واللعنة والانفصال، من ذي الجود والجلال. وإن أخذت الكتاب باليمين، فحسبك المقام الأمين في أعلا عليين، مع الولدان والحور العين، والاتصال برب العالمين، وبمحمد خاتم النبيين، صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين. وإن أصررت في الدنيا على جرمك، ولم تتب إلى مولاك عن قبيح ذنبك، فسوف تأخذ كتابك من وراء ظهرك فتجد فيه ما يحزن قلبك، ويعظم حزنك، ويكثر كربك، فيا معشر المذنبين اعلموا أنما جعل الله الدنيا ابتلاء واختباراً، وأوجب عليكم فيها حقوقاً كباراً، فمتى ضيعتموها فقد أودعتم كتبكم آثاماً وأوزاراً، ومتى وفَّيتُم بها فقد ملأتم كتبكم سروراً وأنواراً. وما من عبد ولا

أمة إلاّ وله كتابٌ يقرؤه يوم العرض والحساب، وإنما مثل الناس عند قراءتهم الكتاب، كمثل الزارع إن زرع طيباً رفع طيباً،ـوإن زرع خبيثاً رفع خبيثاً. يا أخي فكأنك أنت كتبته بأقوالك، وملأته بأفعالك، وسوَّدته بالقبائح من أعمالك. وأنشدوا:

كـأنـي بنفسـي فـي القيـامـة واقـفٌ ... وقـد فـاض دمعي حيـن أُعطى كتابيا
وأنَّ كتـابِـي سـوف يُبـدِي المَسَـاوِيَـا ... لعلمِـي بـأفعـالِـي وسـوءِ منـاقبـي

فيا أهل الذنوب مثلي اعلموا أن الأعمال قد أثبتت عليكم في الديوان، من الإحسان والعصيان، والزيادة والنقصان، والنفاق والإيمان، وأنت غافلٌ في سكرة الغرور، وكتابك مملوءٌ بالويلِ والثبورِ، فبادروا إلى الصحائف وأمحوا ما فيها من القبائح، ومحِّصوا ما قد ثبت عليكم من الفضائح، وذلك باكتساب الحسنات، كما قال رب الأرضين والسموات: ﴿**إنّ الحسنات يذهبن السيئات**﴾ [هود: ١١٤].

[١٨٥] أول الناس حساباً

ذكر في بعض الأخبار أن أول ما يحاسب الله من الأمم أمة محمد ﷺ فإذا اجتمع الأولون والآخرون في أرض القيامة وقفت أمة محمد ﷺ، فأول من يدعى منهم إلى الحساب رجل من قريش من بني مخزوم يقال له عبدالله بـن عبد الأسد، وله أخ يقال له الأسود بن عبد الأسد وفيهما نزلت هاتان الآيتان: ﴿**فأما من أوتي كتابه بيمينه**﴾ [الحاقة: ١٥] إلى قوله: ﴿**في الأيام الخالية**﴾ [الحاقة: ٢٤] نزلت هذه الآية في عبدالله بن عبد الأسد: ﴿**وأما من أوتي كتابه بشماله**﴾ [الحاقة: ٢٥] وهو الأسود بن عبد الأسد، فأما عبدالله وهو المؤمن فيدخل من وراء الحجب فيوقف بين يدي الله عز وجل، فترعد فرائصُه، وتنفك أوصاله، وتذهل نفسه من شدة الخوف من الله تعالى، فبينما هو على أشد الأحوال من الخوف بين يدي الجبار جل جلاله إذ يأتيه ملكٌ من عند الله تعالى وبيده صحيفة بيضاء مختومة بخاتم الخلد، فيقول له الملك:

[١٨٦] كتاب الحسنات

هذا كتابك فيتناول الكتاب بيمينه، وكل من كان من أهل الشقاوة إذا أوتي كتابه يروم أن يمد اليمين لأخذه فلا يقدر لأنه يجد يمينه كأنما علقت فيها جبال

الدنيا، فلا يطيق أن يرفعها من الثقل، وقيل إنها تغل يده، وقيل إنها تلصق بجسده، وقيل إن الملك يقول له: يا عدوَّ الله خذ كتابك بشمالك فإنك من أصحاب الشمال، جعلنا الله وإياكم من أصحاب اليمين. فيتناول عبدالله أخو الأسود كتابه بيمينه ويقال له: إقرأ ما عملت من خير وشر ولا تلومن إلاّ نفسك، فيفض خاتم الكتاب فينشر كتابه فإذا هو مكتوب بخط أبيض، في باطن الكتاب السيئات، وفي ظاهره الحسنات فيقال له: إقرأ سيئاتك فأول حرف يجد في الكتاب أصغر ذنب عمله في الدنيا، فإذا رأى ذلك الذنب ميَّل رأسه ونكسه حياء من الله تعالى وسال منه من العرق ما لو أن مائتين من الإبل أكلت حمضاً والتهبت عطشاً ووردت على عرقه لشربت كلها ورجعت وقد رويت وما نقص من عرقه شيء.

[١٨٧] كيفية السؤال

هذا كله حياءٌ من الله عز وجل، فيقول: الجبار جل جلاله: عبدي فيقول لبيك ربِّ وسعديك، فيقول: ارفع رأسك أتعرف ذنبك هذا؟ فيقول: مولاي وسيدي وعزتك وجلالك إني لأعرفه، فيقول: عبدي أتذكر يوم كذا وكذا في موضع كذا وكذا وأنت على هذا الذنب؟ فيقول: نعم وعزتك وجلالك. فيقول له الجبار جل جلاله: عبدي إنك إذا أخفيت ذلك من الخلائق لقد علمت أني كنت مطلعاً عليك، فيقول:بلى يا سيدي ومولاي وعزتك وجلالك لقد علمت ذلك، فيقول له جل جلاله: أما استحيت مني؟ أما راقبتني؟ أما علمت أن مرجعك إليَّ. والعبد في هذا التوبيخ قد علاه العرق، وذاب من شدة الغرق فيقول مولاي وسيدي لأن ترسل بي إلى النار أهون علي من هذا التوبيخ. فيقول الله تبارك وتعالى: عبدي أليس قد سترتها عليك في الدنيا؟ فيقول العبد: مولاي لقد فعلت ذلك بي، فيقول جل جلاله: عبدي وعزتي وجلالي ومجدي وجودي وكرمي لقد محوتها من قلوب الملائكة وقلوب الآدميين، وابقيتها بيني وبينك حتى تعلم نعمتي عليك وأفضالي لديك في الدنيا والآخرة.

[١٨٨] غفران الذنوب

فلا يزال جل جلاله يفعل به ذلك في كل ذنب حتى يقرأ جميع ما في كتابه من الذنوب فإذا أتى على آخر الكتاب وجد فيه، عبدي هذه سيئاتك قد غفرتها لك. فعند ذلك يبيض وجهه وتحسن بشرته ويذهب عنه الحزن والهم والجزع. ثم يقول الله جل جلاله: قلِّب كتابك فاقرأ حسناتك فيقلب العبد كتابه فيقرأ حسناته كلما

مر على حسنة ازداد قلبه فرحاً وسروراً، وازداد بياضاً وحُسناً ونوراً، ثم يؤتى بتاج من نور فيوضع على رأسه لو أخرج ذلك التاج إلى الدنيا لكسف نوره ضوء الشمس والقمر.

[١٨٩] لباس المكرمين

ويؤتى بحلّتين من حلل الجنة شبر منها خير من الدنيا وما فيها مائة ألف مرة، فليبسها ويحلى كل مفصل منه بحلى الجنة، ويقال له: أخرج على الناس وأخبرهم وبشرهم أنَّ لكل عبدٍ وأمة من المؤمنين مثل ذلك. فعند ذلك يخرج عبدالله بن عبد الأسد وكتابه بيمينه وقد أشرق وجهه نوراً، وقلبه قد امتلأ سروراً. قد جرت على وجهه نضرةُ نعيمِ الجنان، وتلك علامةٌ لأهل الإيمان. والملك آخذ بيمينه وهو ينادي عليه نداء البشَرى: ألا إنَّ فلاناً لأهل الإيمان. والملك آخذ بيمينه وهو ينادي عليه نداء البشرى: ألا إنَّ فلاناً قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، والخلائق قد رفعوا أبصارهم إليه وتمنوا مثل ما منَّ الله به عليه وهو يقرأ: **﴿هاؤم إقرؤا كتابيه﴾** [الحاقة: ١٩] ليس فيه سيئة واحدة قد غفر الله تبارك وتعالى جميعَ ذنوبي ومحاها عني: **﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾** [الحاقة: ٢٠] إني أيقنت في الدنيا أني ألقى هذا اليوم وكنت خائفاً من هوله ومن قراءتي كتابي ومن حساب ربي جل جلاله فلا يزال كذلك حتى ينتهي إلى أصحابه فيقولون: من هذا العبد الذي أكرمه الله ورضي عنه؟ اللهم اجعله من أحبابنا وقرِّبه منَّا حتى ننظر إلى ما قد فضله مولانا به، فإذا قرب منهم سلم عليهم فيقولون له: من أنت يا عبدالله؟ فيقول: أو ما تعرفوني؟ فيقولون له: يا عبدالله لقد زينتك كرامة المولى جل جلاله حتى لا نعرفك فمن أنت؟ فيقول لهم: أنا عبدالله بن عبد الأسد، ألا وإن لكل واحد منكم مثل هذا، وهكذا يفعل الله تبارك وتعالى بكل مؤمن يكون رأساً في الخير يدعو إليه ويأمر به، ثم يشفِّعه الله تبارك وتعالى في كل من شاء من أهل الذنوب، فعند ذلك يفرح أصحابه بما قد بشَّرهم به من المغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار: **﴿فهو في عيشة راضية﴾** [الحاقة: ٢١] قد رضي ورضيت نفسه ورضي مولاه عنه وهو راض بتلك العيشة والعيشة الجنة: **﴿في جنة عالية﴾** [الحاقة: ٢٢] في غرفة ارتفاعها مسيرة مائة عام من لؤلؤة بيضاء أو من ياقوتة حمراء ملاطها المسك الأذفر، والعنبر الأشهب، والكافور الأبيض: **﴿قطوفها دانية﴾** [الحاقة: ٢٢] يعني ثمارها دانية منهم إذا

اشتهوها نزلت عليهم حتى تدخل عليهم في منازلهم فتدنو منهم فيأكلون من ثمارها ما يشتهون وهم نيام أو قعود أو قيام على أي حال أرادوا، ثم ترجع إلى أماكنها وذلك قوله تعالى: ﴿**كلوا واشربوا هنيئاً**﴾ [الحاقة: ٢٤] لا موت فيها ولا حزنَ: ﴿**بما أسلفتم في الأيام الخالية**﴾ [الحاقة: ٢٤] يعني الأيام الماضية وهي أيامُ الدنيا التي أطاعوا الله تبارك وتعالى فيها، واستقاموا ولم يزوغوا عن طاعته. وأنشدوا:

ببابك عبدٌ من عبيدِك مذنبٌ ... كثير الخطايا جاء يسألك العفوَا
فأنزل عليه العفوَ يا من بمنِّه ... على قوم موسى أنزل المَنَّ والسَّلوَى
أنا عبدُك المسكينُ فارحم تضرُّعِي ... ولا تجعل النيرانَ يا ربِّ لي مثوَى
وخفف من العصيان ظهري إنني ... بلغتُ من الأوزار غايتَها القصَوى

فهذا عبدالله بن عبد الأسد الذي أنزل الله تعالى في هذه الآية، وعلى سيرته في الحساب تجري سير المؤمنين من أمة ﷺ على قدر أحوالهم واجتهادهم في الدنيا في الخير والاستقامة على طاعة الله.

[١٩٠] أشد الناس عذاباً

وأما قوله تعالى: ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾ [الحاقة: ٢٥] فهو الأسود بن عبد الأسد المخزومي وهو آخو عبدالله بن عبد الأسد وذلك أن الله تعالى يدعو به على أثر أخيه عبدالله فيدخل الأسود حتى يوقف وبينه وبين الله عز وجل حجاب السخط فيكون من وراء الحجاب لأن الله تبارك وتعالى لا يراه إلاّ المؤمنون وأما الكفار فلا يرونه قال الله تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥] فيوقف الأسود بين يدي الملائكة يرتعد من خوف العذاب، والملائكة الذين معه هم ملائكة العذاب، فبينما هو كذلك إذ يأتيه ملك من ملائكة السخط فيأخذ بيده اليمنى ثم يهزها فيخلعها من موضعها فيعلقها من صلبه بجلده، ثم يأخذ برأسه فيلوي عنقه فيحول وجهه في قفاه.

[١٩١] كتاب السيئات

ثم يأتيه ملك من وراء ظهره في يده صحيفة سوداء فيها كتابٌ بخط أسود في باطن الكتاب حسناته وفي ظاهره سيئاته والكتاب مختوم، فيقال له: هذا كتابك خذه

فلا يقدر أن يتناوله بيمينه لأن يمينه مخلوعة من منكبه، فيتناول كتابه بشماله فيقال له: فض خاتم الكتاب فيفضه ويقال له: أنشر كتابك اقرأ، فينشر الصحيفة وهي سوداء فيبدأ بباطن الكتاب فتستقبله حسناته فيقرؤها ويفرح ويظن أنه سينجو من عذاب الله تبارك وتعالى حتى إذا بلغ آخر الصحيفة وجد فيها: هذه حسناتك قد ردت عليك لأنك لم ترد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة، وذلك قوله تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾ [هود: ١٥] أي لا ينقصون، تعجل لهم في الدنيا أجور أعمالهم ولا يثابون في الآخرة بشيء من أعمالهم، ولا يتجاوز عنهم في شيء من أعمالهم السيئة حتى يعذبهم الله تعالى عليها، وأعمالهم الحسنة أحبطها الله عز وجل بالكفر، والأعمال الصالحة التي يراد بها وجه الله تبارك وتعالى يجازي الله تعالى عز وجل أصحابها بالثواب الباقي وهو نعيم الجنة والنظر إلى وجه الله الكريم، فوجه الله باق ونعيم الجنة باق، لأن الله تعالى خلق الجنة ثواباً لأهل الأعمال الصالحة التي يراد بها وجه الله تعالى: ﴿كلُّ شيء هالكٌ إلاّ وجهه﴾ [القصص: ٨٨] وكل عمل يراد به وجه الله لا يهلك، يبقى ثوابه لصاحبه وثوابه الجنة، فإن الله تبارك وتعالى يثيب على العمل الباقي بالنعيم الدائم الباقي، ويثيب على العمل الفاني، وهو ما يعمل للدنيا وزينتها بالعرض الفاني وهو حطام الدنيا، والمؤمن لا يرضى الله عز وجل أن يثيبه على عمله الصالح بعرض الدنيا وإن وسع عليه في الدنيا فإنما يعطيه ذلك زيادة ومعونة يستعين بها على طاعته، وأجر عمله أدخره له ليوم فقره إذا احتاج إليه. ثم يقال للأسود بن عبد الأسد: إقلب كتابك فاقرأ فيقلب ظاهره فتستقبله سيئاته مثل الجبال الرواسي وهي سود بخط أسود، لأنها محبوطة بالكفر غير مقبولة، فأول سيئة يقرؤها يسودُّ وجهه ويسمج لونه كلما قرأ سيئة ازداد سماجة وقبحاً، فإذا بلغ آخر الصحيفة وجد فيها هذه سيئاتك قد أضعفت، إني قد أضعف عليك العذاب بعملك السيئات.

[١٩٢] صفة العذاب للكافر

فيرجع وجهه أشدَّ سواداً من القار ـ وهو الزفت ـ ويعظَّم جسده للنار حتى يكون ما بين منكبيه مسيرة شهر، وغلظ كل فخذ من فخذيه مسيرة ثلاثة أيام، وما بين شفتيه العليا والسفلى أربعون ذراعاً وقد خرجت أنيابه وأضراسه من بين شفتيه

بادية وعيناه زرق وحدقتاه قد وقعتا على وجهه من شدة ما هو فيه من العذاب، وكل ضرس من أضراسه أعظم من جبل أحد، شعره كآجام القصب، وله سبعة جلود غلظ كل جلد منها أربعون ذراعاً ما بين الجلد إلى الجلد مسيرة ثلاثة أيام فيها ديدان لها جلبة كجلبة الوحوش في البرية، في جسده من الشعر ما لا يحصي عدده إلّا الله تعالى، في أصل كل شعرة من الآلام والوجع والعذاب ما لو قسم على أهل الدنيا من يوم خلقهم الله تعالى إلى يوم يبعثهم لماتوا كلهم في أسرع من طرفة عين. ثم يؤتى بسلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فتغل بها يداه وعنقه ويدخل طرفها في فيه وتخرج من دبره ثم يلف ما بقي منها على عنقه يتوقد ويشتعل ناراً، ثم يؤتى بصخرة من كبريت أعظم من الجبل العظيم لو وضعت على جبال الدنيا لذابت من حرِّها فتعلق في عنقه وهي تشتعل ناراً، ثم يؤتى بتاج من نارٍ فيوضع على رأسه فيصعد حرُّ الصخرة إلى وجهه وينزل حر التاج إلى وجهه ويجتمع مع حر الصخرة ولا يقدر أن يرفع عن وجهه بيديه لأنهما مغلولتان إلى عنقه قال الله تعالى: ﴿**أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة**﴾ [الزمر: ٢٤] وقال عز وجل: ﴿**وتغشى وجوههم النار**﴾ [إبراهيم: ٥٠] تغشى وجوه الكفار. ثم يؤتى بسربال من قطران وهو نحاس جهنم قد انتهى في شدة الحر فيلبسه، لو أن ذلك السربال ألقي في الدنيا لصارت الدنيا من مشرقها إلى مغربها جمرة واحدة أسرع من لمح البصر، ثم يقرن مع شيطان يكون ذلك الشيطان عليه أشد من كل عذاب يعذب به، ثم يقال له: أخرج على الناس وأخبر أصحابك أن لكل واحدٍ منهم مثلَ هذا العذاب. فيخرج الأسود على أقبح الأحوال وكتابه بشماله ليس فيه حسنة واحدة وسيّئاته ظاهرة للخلق والملك ينادي على الأسود بن عبدالأسد: يا أهل الموقف قد شقي الأسود شقاوة لا يسعد بعدها أبداً. إلعنوه فإن الله تعالى قد لعنه وسخط عليه، فينادي بأعلا صوته نداء يسمعه أهل الجمع: ﴿**يا ليتني لم أوتِ كتابيه**﴾ [الحاقة: ٢٥] أي يا ليتني لم أعط كتابي بشمالي ولا يحل بي هذا البلاء الذي أنا فيه: ﴿**ولم أدرِ ما حسابيه**﴾ [الحاقة: ٢٦] أي يا ليتني تبت وآمنت ولم أحاسب بهذا الحساب، ولا نزل بي هذا العذاب: ﴿**يا ليتها كانت القاضية**﴾ [الحاقة: ٢٧] أي يا ليت الموت عاد إليَّ حتى يريحني من هذا العذاب: ﴿**ما أغنى عني ماليه**﴾ [الحاقة: ٢٨] يعني المال الذي كان معه في الدنيا وكان ينفقه في غير الله ويبخل به في ذات الله تبارك وتعالى: ﴿**هلك عني سلطانيه**﴾ [الحاقة: ٢٩] أي انقطعت عني حجتي واضمحلت. ثم يأمر الله تبارك

وتعالى أن يخرج له منبر من جهنم من نار فينصب له ويصعد عليه وتبدو كل قبيحة عملها في الدنيا ويلعنه كل من في الموقف ويعيره حتى يود لو أمر به إلى النار، ثم يقول الله تبارك وتعالى للملائكة: **﴿خذوه فغلُّوه، ثم الجحيم صلوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾** [الحاقة: ٣٠، ٣١، ٣٢] فيبتدره سبعون ألف ملك خلقوا من نار السموم مع كل ملك منهم من العذاب خلاف ما مع الآخر فيأخذونه بينهم فيلقونه في الهاوية من النار الحامية، ويدخلون بسلسلة في فيه ويخرجون طرفها من دبره كما تصنع الخرزة في السلك، ثم يطعم الغسلين وهو شيء أسود نتن ـ لو أن قطرة من الغسلين أخرجت إلى الدنيا لمات جميع أهلها من النتن.

[١٩٣] طعام أهل النار

وإنما يطعم أهل النار الغسلين لأنهم كانوا في الدنيا لا يرون أن يغتسلوا من الجنابة ولا يتوضؤوا للصلاة فيحرق الغسلين مواضع الوضوء والاغتسال وما سقط منه أطعموه إياه جزاء بما ضيعوا في الدنيا من حقوق الله تعالى، وهذا العذاب كله للأسود بن عبد الأسد، وكذلك لكل من كان في الشر رأساً يأمر به ويدعو إليه، يفعل به كما فعل بالأسود بن عبد الأسد، وكل من كان في الدنيا في الخير رأساً يأمر به إليه يفعل به كما بالأسود بن عبد الأسد، وكل من كان في الدنيا في الخير رأساً يأمر به ويدعو إليه يفعل به كما فعل بعبدالله بن عبد الأسد، يجزي الله تعالى الناس كلهم على هذا المنهاج في الخير والشر والله يفعل ما يشاء لا إلـه إلاّ هو وهو حسبنا ونعم الوكيل، فنعوذ بالله من أعمال أصحاب الشمال.

٨

مجلس في قوله تبارك وتعالى ﴿ووضع الكتاب﴾ الآية

[١٩٤] يا أهل الذنوب مثلي، يا أهل العيوب مثلي، يا من يعصي ولا يتوب، يا من ألغي والمحال له صحوب، يا من ضيع غاية المنى والمرغوب، يا من سود كتابه بمعصية علام الغيوب. اعلموا عصمنا الله وإياكم أن للعباد غداً صحائف يقرؤون فيها الحسنات والقبائح، فمن كتب له حافظاه خيراً في الدار الفانية فهو خير له في الدار الباقية، ومن كان خائفاً في الدنيا من العذاب، متحفظاً مما يثبت عليه في الكتاب، متجنباً لمعصية رب الأرباب، وفَّقه الله مولاه للحق والصواب، ويسر عليه برحمته الحساب، ومحيت أوزاره من الكتاب، ورضي عنه الملك الوهاب، وأمر به إلى الجنة وحسن المآب. ومن علم أن عمله يثبت عليه في الديوان، وهو يقرؤه لا محالة بين يدي الرحمن، فكيف يألف العصيان، وكيف يتحرك منه اللسان، بالزور والبهتان، ومخالفة كتاب الملك الديان.

[١٩٥] الفرق بين الحسنة والسيئة

ذكر في بعض الحكم أن رجلاً كان يسوق دابته فعثرت فقال الرجل: تعست الدابة ـ يعني عثرت ـ فقال ملك اليمين لملك الشمال: ليست بحسنة فاكتبها، فأوحى الله تعالى لملك الشمال ما ترك صاحب اليمين فاكتبه أنت، فكتب صاحب الشمال قول الرجل تعست الدابة. وأعظم من هذا أنه ما من عبد ولا أمة يتنفس نفساً إلّا أثبت عليه في الكتاب، فإن خرج النفس في طاعة الله أثبته صاحب اليمين، وإن خرج النفس في غير طاعة الله تعالى أثبته صاحب الشمال حتى يحكم الله تبارك وتعالى يوم الحساب فيه بحكمه، فمن علم هذا يقيناً فلا يحتاج أن تمر عليه ساعة من ساعاته، ولا وقت من أوقاته، ولا لحظة من لحظاته إلّا في ذكر الله وفي الفكرة في عظمة الله.

[١٩٦] النجاة في ذكر الله

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس شيء أنجى للمؤمن من عذاب الله من ذكر الله، وأكثر ما يجد المؤمن في صحيفته يوم القيامة الاستغفار في الليل والنهار» فكل من كان في الدنيا من قراءة كتابه خائفاً مشفقاً، كان الله تبارك وتعالى به عند قراءته إياه رحيماً مرفقاً. ومن كان في الدنيا من الغافلين، كان (عند) قراءته من النادمين. فلو رأيتم يا أهل الذنوب ما قد أثبت عليكم في الديوان، من الخطايا والعصيان، والزور والبهتان، والزيادة والنقصان، والغفلة والنسيان، لعظمت منكم المصائب، وكثرت منكم النوائب، ولسارعتم إلى الثواب والرغائب، ولثبتم إلى رب المشارق والمغارب. وأنشدوا:

ما بال عينك لا تبكي لما سلفا ... ذكر الذنوب وخوف النار والتلفَا
يا أيها المذنب المحصي جرائمه ... لا تنس ذنبك وأذكر منه ما سلفَا
من الذنوب التي لم تبلُ جدَّتَها ... كيف تبلى وقد أودعتها صحفَا
أما تخاف أما تخشى فضائحها ... إذا الغطاء انجلى عنهن وانكشفَا

اعلموا معاشر المذنبين لو أن الله تعالى اطلع بعضنا على صحائف بعض، وكشف له ما فيها من الذنوب لكان الناس يشتغلون عن معايشهم بتعيير بعضهم لبعض، ولعنة بعضهم لبعض فإنا لله وإنا إليه راجعون.

[١٩٧] حكاية عن رقة بن واسع

حكي عن محمد بن واسع رحمه الله أنه ما رآه أحد قط ضاحكاً، وإن كان ليبكي حتى ترحمه الناس، فذكر له ذلك فقال: يا أحبائي وكيف يضحك من لا يدري ما أثبت عليه في كتابه ولا يدري بما يختم له.

اللهم اختم لنا بخير. وكان رجل يكلم محمد بن واسع في حاجة فقال له محمد بن واسع: أدنُ مني فلو كانت للذنوب رائحة لما قدرت أن تدنو مني. فيا معشر المذنبين مثلي ونفسي أعني وكلنا مذنب لا تغتروا بستر الله تعالى عليكم فإن له يوما يهتك فيه الأستار ويحاسب عباده على ما عملوا في الليل والنهار، فقوم إلى الجنة وقوم إلى النار. فالخير والشر قد حصل عليكم في الكتاب، الذي يوضع لكم يوم العرض والحساب، بين يدي رب الأرباب، قال الملك الوهَّابُ: ﴿ووضع

الكتاب **فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾** [الكهف: ٤٩] وضع الكتاب للمؤمنين، ووضع الكتاب للمجرمين. وضع الكتاب لأهل الإيمان، ووضع الكتاب لأهل الضلال والطغيان. وضع الكتاب لأهل الجنان، ووضع الكتاب لأهل النيران. ووضع الكتاب لأهل الثواب ووضع الكتاب لأهل العقاب. ووضع الكتاب للطائعين، ووضع الكتاب للعاصين، ووضع الكتاب لأهل الإخلاص والوفاق، ووضع الكتاب لأهل الرياء والنفاق، ووضع الكتاب لأهل الوفاء، ووضع الكتاب لأهل الجفاء، ووضع الكتاب للعاملين، ووضع الكتاب للباطلين ووضع الكتاب للقائمين، ووضع الكتاب للنائمين، وضع الكتاب للمستغفرين، ووضع الكتاب للغافلين. وضع الكتاب للسعداء، ووضع الكتاب للأشقياء. وضع الكتاب لأهل الجنة، ووضع الكتاب لأهل المحنة. وضع الكتاب للأبرار ووضع الكتاب للفجار. وضع الكتاب لأهل التوبة، ووضع الكتاب لأهل الحوبة، وضع الكتاب لأهل الكرامة، ووضع الكتاب لأهل الندامة. وضع الكتاب لأهل الرشاد، ووضع الكتاب لأهل الفساد. وضع الكتاب لأهل الحسنات، ووضع الكتاب لأهل السيئات. وضع الكتاب لأهل النعيم والسرور، ووضع الكتاب لأهل الويل والثبور فكتب تبشر بالجنة، وكتب آخرها باللعنة والمحنة، جعلنا الله وإياكم ممن يبشره كتابه بالجنة برحمته.

[١٩٨] إحاطة الكتاب بكل شيء

واعلموا يا معشر المذنبين أن الله تعالى لم يدع شيئاً من القول إلّا وقد فسره لعباده وأنزل بذلك كتابه العزيز فقال فيه تبارك وتعالى: **﴿ما فرَّطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾** [الإسراء: ٣٨] وقد أعلمنا إلهنا ومولانا أن **﴿كل إنسان ألزمناه طائره﴾** [الإسراء: ١٣] وأن كل إنسان لا بد له من السؤال ولا بد له من حساب، ولا بد له من ثواب أو عذاب ومولانا عز وجل قد أمرنا بالعمل الصالح، ووعدنا عليه بالجنة، ونهانا عن المعاصي وتوعدنا عليها بالنار. وما قدمتم من خير وشر قد أثبت عليكم في كتاب مكتوب، بالحسنات والذنوب.

[١٩٩] حكاية في كتابة الكتب

روي عن الحسن رحمه الله أنه قال: ما من عبد ولا أمة يدفن إلّا دخل عليه ملك في قبره معه دواة وقرطاس، فيأخذ الملك برأس الميت ويقعده ويرفع إليه

ذلك القرطاس ويناوله قلماً ويقول له: اكتب جميع ما عملت في عمرك الذي وجبت عليك فيه الحدود من خير وشر فيأخذ الميت القلم فيكتب وإن لم يكن في الدنيا كاتباً، فإن كان العبد من أهل السعادة فأول ما يجري القلم بيده بإذن الله تبارك وتعالى: بسم الله الرحمن الرحيم، لأن بسم الله الرحمن الرحيم لا تكون في كتاب الشقاوة وإنما تكون في كتاب أهل الإيمان والسنة والأمان والغفران لأن بسم الله الرحمن الرحيم هي آية الإيمان وهي إخبار عن رحمة الله ولطفه جل جلاله يا أهل السنة من هذه الأمة، فإذا ثبت العبد في كتابة بسم الله الرحمن الرحيم فقد أمن في قبره من العذاب والضيقة.

[٢٠٠] البسملة وبركتها

وإذا لم يثبت في كتابه بسم الله الرحمن الرحيم فقد حلَّ به العذاب في قبره. فإذا كتب العبد ما عمل من خير وشر شقياً كان أو سعيداً، يطوي الملك الكتاب ويعلقه في عنقه. فإذا خرج العبد من قبره يوم القيامة جاءه ذلك الملك فأخذ الكتاب وناوله إياه وقال: يا ولي الله أو يا عدو الله أتعرف هذا؟ فيقول: نعم أنا كتبته، وأنا عملته، فيقول له: فاقرأه فيستقبله منه ما سبق له من سعادة أو شقاوة.

فالله الله معشر المذنبين مثلي المؤمنين لا تضيعوا أيامكم بالقبائح، ولا تهملوا أعماركم في الذنوب والفضائح، فإن جميع أعمالكم قد حصيت عليكم في الصحائف الصحائح، وستقرؤوها بين يدي مولاكم وتشهد عليكم الجوارح، بالقبيح والحسن من أعمالكم. وأنشدوا:

سوف يأتي عليك ساعةُ خوفٍ ... حين تعطى صحائفُ الأعمالِ
وكأنّي أرى فضائحَ قومٍ ... قد تجلى لكشفها ذو الجلالِ
ليت شعري إذا قرأت كتابي ... بيميني أُعطاهُ أمْ بشمالي

[٢٠١] حكاية عن عيسى عليه السلام

روي عن محمد بن اللباد رحمه الله أنه قال: دخل عيسى بن مريم ﷺ وعلى نبينا محمد مدينة خربة فدخل قصراً من قصورها فنادى، يا خراب الأخر بيِّن أين أهلك وعُمَّارك؟ فأجابه شيء من آخر القصر: يا ابن مريم بادوا وسيعودوا. فاجتهد يا أخي لا تُفرِّط فإن العظام قد بليت وبقيت أعمالُهُم في رقابهم. وأنشدوا:

لا تحقرنَّ من الذنوب صغيرهَا إنَّ الصغيرَ غداً يعودُ كبيراً
كلُّ الذنوبِ وإن تقادم عهدُها عندَ الإلهِ مسَطراً مسطوراً

أيها الرجل المقنع بالمشيب، الملبس حلة المعاصي المريب، قد خسرت أيامَ الشباب، وبذلت مهجتك للعذاب، بغفلتك عمَّا في الكتاب، واتباعك اللعين الكذاب، وتهاونك بالحساب وصدودك عن الصواب، ومعصيتك لرب الأرباب. ما حيلتك يا مكروب مثلي سوَّدت كتابك بالذنوب، وعصيت مولاك علَّام الغيوب، وبعت الحظ الجزيل بالكذب المشوب، وضيَّعتَ الجنة التي ليس فيها نصبٌ ولا لغوب واعلموا معشر المذنبين أن العبد إذا وفَّقه مولاه وأعطاه الفكرة في قراءة كتابه كان عند مولاه مستجابَ الدعاء.

[٢٠٢] حكاية في الاعتماد على الله

حكي عن مطرف بن الشخير رحمه الله أنه أرسل رسولاً عن عوز ماء وكان في زمان الحر، فأبطأ عليه الرسول وكان عنده جماعة قد عطشوا وكان معه قليل ماء، فقام فتوضأ بذلك الماء ثم صلى ركعتين دعا فيهما مولاه سبحانه، فأرسل الله تبارك وتعالى سحابة حتى شرب هو وأصحابه، فقيل له: بم بلغت هذه المنزلة؟ فقال: جعلت كتابي نصب عيني في ليلي ونهاري حتى كأني أقرؤه بين يدي ربي جل جلاله.

[٢٠٣] حكاية عن مالك بن دينار

قال عبدالواحد بن زيد رحمه الله: كُنَّا عند محمد بن واسع ومعه مالك بن دينار فجاء رجل فكلَّم مالكاً وأغلظ عليه في الكلام في قسمة قسمها وقال: وضعتها في غير حقها وفضلت بها أهل مجلسك ليكثروا جمعك ولتصرف وجوه الناس إليك، قال: فبكى مالك بن دينار وقال: ما أردت بهذا هذا الذي تقول، قال: بلى والله لقد أردته، فلما أكثر على مالك الكلام رفع جيب يديه وقال: اللهم إنَّ هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت. فسقط الرجل ميتاً بإذن الله.

[٢٠٤] دعاء ابن واسع

وكان محمد بن واسع إذا جُنَّ عليه الليل يبكي ويقول في بكائه: ويلي من ذنوب قد أحصيت، ومن صحيفة قد ملئت، وربِّي قد علم ذلك ولم يخف عليه من

ذلك شيء، فأورثه الله تعالى ببكائه على كتابه، وعلى حيائِهِ من ربه الاستجابة في الدعاء وتنور القلب. وأنشدوا:

أرى المشيبَ بالعذارِ قد ألَمْ ... كأنَّ موتي عن قريبٍ قد هجم
خَطَّ المشيبُ أسطراً في مفرِقي ... فراعني ما خَطَّه وما رَقَمْ
هل الفتى إذا انقضى شبابه ... إلاّ كزرع هاج سوف ينحطمْ
شاب الفؤادُ قبل شيب لمتي ... واعتادني ضعف القوي قبل الهرمْ
ويحي من التوبيخ من ربي غداً ... من ذلك الأمر الشديد المستهمْ
ويحي إذا نادى المنادي بي ألا ... قم عبد سوء مسرع للعرض قمْ
ويحي إذا ما قال لي مقرراً ... وخص شيئاً بعد شيء ثم عمْ
ما قد صنعت في فروضي والذي ... قضيت منها هل صفا لي هل سلمْ
فجئت ربي خاسراً قد أثقلت ... ظهري ذنوب كالسحاب المرتكمْ

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾ [الكهف: ٤٩] وضع الكتاب لفصل القضاء، ووضع الكتاب للحزن والبكاء. وضع الكتاب لتبدو الفضائح ووضع الكتاب لتظهر القبائح. وضع الكتاب لتصح الصحائح. الله الله يا معشر المذنبين حاسبوا أنفسكم قبل يوم الحساب، وارحموا أنفسكم قبل نزول العذاب، وبادروا بالتوبة قبل غلق الباب، واجتهدوا في بقية أعماركم قبل وضع الكتاب، وسارعوا إلى المغفرة من ربّكم قبل الخجل بين يدي رب الأرباب، وقبل أن تطلبوا برد الجواب، وتحبس الألسنة عن النطق والخطاب، وتشهد الجوارح بما عملت من عصيان أو ثواب. وأنشدوا:

ابكي لذنبك طول الدهر مجتهداً ... إن البكاء معوَّلُ الأحزانِ
لا تنس ذنبك في الكتاب وعظمه ... إن الذنوب تحيط بالإنسانِ

مساكين أهل الذنوب، أطاعوا الشيطان، وعصوا الرحمن. مساكين أهل الذنوب جلت كروبهم وعظمت خطوبهم، وكبرت عيوبهم، وأحصيت عليهم في الكتاب ذنوبهم. مساكين أهل الذنوب عصوا الجبار في الليل والنهار، وبذلوا مهجتهم لعذاب النار، وسوَّدوا صحفهم بالخطايا والأوزار، مساكين أهل الذنوب غفلوا عن الطاعة، وخالفوا السنة والجماعة، وخسروا أنفسهم قبل قيام الساعة. وأنشدوا:

(من كان) يخشى الله جلَّ جلالهُ — فليكثر العبراتِ في الخلواتِ
فلعله بعد التذكُّر والبُكا — بدلت له العبراتُ بالحسناتِ
وتخفف الأوزار عن منشورهِ — يومَ الحسابِ وموقِفِ الحسراتِ

[٢٠٥] عجائب الكتب

قال الله تعالى: **﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾** [الكهف: ٤٩] عباد الله عند وضع الكتاب عجائب، وأحزان ومصائب، وكروب ونوائب. فواحدٌ يوضع له الكتاب فيبكي، وآخر يوضع له الكتاب فيفرح ويبكي. وآخر يوضع له الكتاب فتجري على وجهه نضرة النعيم وآخر يوضع له الكتابُ فتعلو وجهه ظلمةُ الجحيم. وآخر يوضع له الكتاب مختوماً بسخط الربِّ الجواد. وآخر يوضع له الكتاب مختوماً بالتوفيق والسداد.

اللهم وفقنا للطاعة، وأمتنا على السنة والجماعة، ونجِّنا من أهوالِ يوم الساعة، وأدخلنا في جملة أهل الشفاعة. واعلموا معشر المذنبين أن الماء يمحو الكتاب من ألواح الصبيان، والدمع يمحو من كتبكم الأوزار والعصيان، والهموم والغموم والأحزان. فاجتهدوا في البكاء معشر الإخوان، وأكثروا الندامة فإنها توجب الغفران. وأنشدوا:

دعوني على نفسي أنوح وأندبُ — بدمع غزيرٍ وأكفٍ يتصببُ
دعوني على نفسي أنوحُ فإنني — أخاف على نفسي الضعيفة تعطبُ
وإني حقيقٌ بالتضرع والبكا — إذا ما هدا النُّوامَ والليلُ غيهبُ
وجالت دواعي الحزن من كل جانب — وغارت نجومُ الليل وانقضَّ كوكبُ
كفى أن عيني بالدموع بخيلةٌ — وإني بآفات الذنوب مُعَذبُ
فمن لي إذا نادى المنادي بمن عصى — إلى أين إلجائي إلى أين أهربُ؟
وقد ظهرت تلك الفضائحُ كلُّها — وقد قرب الميزانُ والنارُ تلهبُ
فيا طول حزني ثم يا طول حسرتي — لئن كنت في قاعِ الجحيمِ أعذبُ
فقد فاز بالملك العظيم عصابةٌ — تبيت قياماً في دجى الليلَ ترهبُ
إذا أشرف الجبار من فوق عرشه — وقد زينت حورُ الجنانِ الكَواعبُ
فناداهم سهلاً وأهلاً ومرحباً — أبحت لكم داري وما شئتم أطلبُوا

فبادروا رحمكم الله في هذه الأيام الشريفة، إلى محو السيئات من الصحيفة.

[٢٠٦] ضرب مثل في رقة القلب

يا أخي الخشبة اليابسة إذا دخل طرفها الواحد في النار عرق طرفها الآخر، وكذلك القلب إذا كانت فيه حرقة ندامة الذنوب التي حصلت في الكتاب المكتوب الموضوع، جادت العينان بواكف الدموع، ولانت الجوارح بالخضوع، والقلب بالإنابة والخشوع. وأنشدوا:

كتبتُ بأدمعي في صحنِ خدِّي ... كتاباً بالتذلل والخضوع
فقالوا قد عفونا عنك لمَّا ... محوت قبيح فعلك بالدموع

[٢٠٧] حكاية عن التوبة

ذكر عن بعض الخائفين أنه قال: رأيت رجلاً واقفاً على صبي من الصبيان في المكتب وهو يمحو لوحاً، وكان اللوح قد كتبه بالحبر، وكانت الكتابة قد ثبتت ولا تزول بالماء، فجعل الصبي يحك اللوح بالحبل والتراب، فقال الرجل الواقف عليه: يا بني مالك تحك اللوح بالحبل فقال: ليزول الحبر الذي ثبت فيه، فقال له الرجل: والحبل يا بني يزيل الحبر؟ قال: نعم ألا ترى أن الحبل إذا حك في تنُّور البئر يؤثر فيه وهو حجرٌ فيصير فيه من أثر الحبل شبه الخنادق! فقال الرجل: ذلك بطول المدة، فقال الصبي: لا يا نعم الرجل إلاّ بالحزم والاجتهاد وإياك يا نعم الرجل بعيد الذهن، قال الرجل: كيف ذلك يا بني؟ قال: لأني قد قلت لك إشارة لو ألقيتها على قلبك لأفاق وامتحي الحبر الذي عليه، فقال الرجل: يا بني كان على قلبي حبراً؟ قال: يا عم وأي لون هو الحبر؟ قال: هو أسود. قال الصبي: يا عم ألم أقل لك إنك بعيد الذهن، وأي سواد أشد من سواد الذنوب على القلوب! فصاح الرجل صيحة وخر مغشياً على وجهه ثم أخذ في البكاء. فقال له الصبي: أما الآن فقد وجدت الدواء لذنوبك ومحوها من كتابك وقلبك. فقال الرجل: يا بني وما الدواء؟ فقال له: البكاء. فقال: يا بني والبكاء يمحو الذنوب من الكتاب والقلب؟ قال له: نعم والدليل على ذلك قول النبي ﷺ: «إن الدموعَ تطفىء بحارَ النار يوم القيامة عن الباكي».

[٢٠٨] الدموع تمحو الذنوب

فإذا محت الدموع بحار النار فأحرى أن تمحو من الكتاب القبائح والأوزار، وإذا زالت من الكتاب الفضائح والأوزار، رضي عنك الملك الغفار، وأمر بك إلى دار الراحة والقرار، وخلصت من عذاب البوار. فأبكوا يا جماعة المسلمين على ما أذنبتم في الشهور والأعوام ، وفي الساعات والأيام، من الخطايا والأجرام، واكتساب الربا والحرام، وظلم الضعفاء والأرامل والأيتام، وما فرطتم فيه من أداء حقوق الملك العلام. وأنشدوا:

وددت أن دموعي بحر فاسفحها ... من مقلتي على ما فات من زمني
واهاً على أسفٍ مني على وهلٍ ... يجني التأسف إلاّ غلة الشجنِ
والله لو صح تحقيق التأسف ما ... ألفيتُ إلاّ مع التُّوام في الحزن
يا ليت لي عيناً في كلِّ جارحة ... تبكي عليَّ بدمعٍ مانعِ الوسنِ

[٢٠٩] فضل البكاء

فالواجب ـ والله يا أهل الإسلام ـ على كل مسلم علم من نفسه ذنباً أن يكثر البكاء عليه عساه يمحوه من كتابه مولاه، ويتفضل عليه ويغفر له ما قد جناه، فهو المنان الكريم، المتفضل العظيم. اللهم يا أكرم الأكرمين، ويا آخر الغافرين تفضل علينا بتوبة وعلى جميع المذنبين، تنقلنا بها من ذل المعصية إلى عزِّ الطاعة، وثبتنا عليها حتى تخرجنا من الدنيا بلا ذنب ولا تباعة على منهاج أهل السنة والجماعة، الذين أوجبت لهم الرحمة والشفاعة. اللهم إن الطاعة والمعاصي بقدرك، وفي يدك القلوب والنواصي، فطهر قلوبنا بماء التوبة، واغسلها من دنس الحوبة، ومتعنا بالسلامة في ديننا ودنيانا، وفي أسماعنا وأبصارنا، وجميع جوارحنا ما أبقيتنا، ولا تردنا على أعقابنا بعد إذ هديتنا، فإنك على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

٩

مجلس في ذكر الجنة وأوصافها
﴿وما أعدَّ الله لأوليائه من النعيم فيها﴾

[٢١٠] أيها المريد إنه ينبغي لك أن تشغل قلبك وتعمل فكرك بالتطلع إلى ما أعد الله عز وجل لأوليائه في جنته، والاشتياق إلى ما وصف الله لنا من نعيمها فمن اشتغل بذكرها، واشتاق إلى نعيمها، لهى عن الرغبة في الدنيا والحرص عليها والترجح بأمانيها، وترك طلب العلو فيها.

[٢١١] آيات في الجنة

وقد قال الله عز وجل: ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين**﴾ [القصص: ٨٣] وقال عز من قائل ﴿**مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها**﴾ [الرعد: ١٣] وقال عز من قائل ﴿**جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير**﴾ [فاطر: ٣٣] وقال: ﴿**الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور**﴾ [فاطر: ٣٤] الآية إلى ﴿**لغوب**﴾. قال عزَّ من قائل ﴿**في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين**﴾ [الصافات:٤٥] الآية. إلى ﴿**مكنون**﴾. وقال عز وجل ﴿**يطافُ عليهم بصحافٍ من ذهب وأكواب**﴾ [الزخرف: ٧١] الآية. ﴿**خالدين**﴾.

[٢١٢] أحاديث في الجنة

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، ولا مثل النار نام هاربها».

---

[٢١٢] حديث «من اشتاق إلى الجنة».

=

روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات، ومن أشفق من النار لهى عن الشهوات، ومن ترقب الموت هانت عليه المصيبات».

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها ثم رجع فقال: يا رب لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم حفها بالمكاره فقال الله: اذهب فانظر إليها، فذهب إليها فقال: يارب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، فلما خلق الله النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها فقال جبريل: يا رب لا يسمع بها أحد فيدخلها، ثم حفها بالشهوات فقال: يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها فقال: يا رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها» فيا معشر المشتاقين جاهدوا عدوكم اللعين بترك الشهوات،(*) ونافسوا في أفعال الخيرات، وتحملوا في طاعة مولاكم المكروهات، يسكنكم مولاكم الجنات، ويبوئكم أعلا الغرفات، ويرفع لكم الدرجات.

[٢١٣] شجرة طوبى

روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى لو يسير الراكب في ظلها مائة عام لم يقطعها» بطحاؤها ياقوت وترابها مسك أبيض، ووحلها عنبر أشهب، وكثبانها كافور أصفر، وبسرها زمرد أخضر، وأفناؤها سندس واستبرق، وزهرها رياض أصفر، وورقها برود

= أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠) من حديث على الموضوعات لابن الجوزي (٣/ ١٨٠). هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ. قال يحيى: عبيد الله بن الوليد ليس بشيء، وقال الفلاس والنسائي: متروك الحديث، على أن الحارث كذاب.

حديث «ما رأيت مثل الجنة».

(*) أخرجه الترمذي في كتاب صفة جهنم، باب (١٠) منه (٢٦٠١) وقال: هذا حديث إنما نعرفه من حديث يحيى بن عبيدالله ويحيى بن عبيدالله ضعيف عند أكثر أهل الحديث تكلم فيه شعبة.

أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره.. (٢٥٦٠) وقال: حديث حسن صحيح، النسائي كتاب الأيمان والنذور باب الحلف بعزة الله (٧/ ٣).

[٢١٣] حديث «إن في الجنة شجرة....».

أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب صفة الجنة (٤٣٣٥) من حديث أبي هريرة، الدارمي في كتاب الرقائق، باب من أشجار الجنة (٢/ ٣٣٨).

خضر، وثمرها حلل صفر، وسقيها زنجبيل وعسل، وعبقها زعفران مبهج، والألنجوج يتأجج من غير وقود يتفجر من أصلها أنهار السلسبيل والرحيق، وظلها مجالس أهل الجنة يألفونه، ومتحدث يجمعهم تحتها.

[٢١٤] وصف الجنة

فبينما هم ذات يوم يتحدثون في ظلّها إذ جاءتهم الملائكة بنجائب مزمومة بسلاسل من ذهب كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسناً، وبرها خز أحمر، وعبقري أبيض مختلطان الحمرة بالبياض والبياض بالحمرة لم ينظر الناظرون إلى مثله حسناً وبهاء، ذللا من غير محنة، نجب من غير رياضة رحالها من الياقوت الأخضر، ملبسة بالعبقري والأرجوان، ولجمها ذهب وكسوتها سندس واستبرق، فأناخوا إليهم تلك الرواحل وحيوهم بالسلام من عند الرب السلام وقالوا لهم: أجيبوا ربكم جل جلاله فإنه يستزيركم فزوروه وليسلم عليكم وتسلموا عليه، وينظر إليكم وتنظروا إليه، ويكلمكم وتكلموه، ويحييكم وتحيوه، ويزيدكم من فضله فإنه ذو رحمة واسعة، وذو فضل عظيم.

[٢١٥] رواحل الجنة

فيتحول كل رجل منهم على راحلته ثم يسير بهم صفاً واحداً معتدلاً الرجل إلى جنب أخيه عن يمينه لا يفوت ركبة ناقة ركبة صاحبتها ولا تعدو أذن ناقة أذن صاحبتها، يمرون بالشجرة من أشجار الجنة فتميل لهم عن طريقهم كراهية أن يفرق بينهم، فإذا وقفوا بالجبار تباك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم، وتجلى لهم في عظمته العظيمة فيسلمون عليه ويرحب بهم وسلامهم وتحيتهم أن يقولوا: ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والإجلال فيقول لهم الرب جل جلاله: عبادي عليكم السلام مني وعليكم رحمتي ومحبتي مرحباً وأهلاً بعبادي الذين أطاعوني بالغيب والذين حفظوا وصيتي ورعوا عهدي وكانوا مني على كل حال مشفقين فيقولون: وعزتك وجلالك وعظمتك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك ولا أدينا إليك كل حقك فأذن لنا بالسجود لك، فيقول لهم ربهم عز وجل: إني قد رفعت عنكم مؤنة العبادة فهذا حين أرحت لكم أبدانكم، وهذا حين أفضيتم إلى روحي ورحمتي، وجنتي وكرامتي ومبلغ الوعد وعدتكم فاسألوني ما شئتم وتمنوا

علي أعطيكم أمانيكم فإني لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم ولكن أجزيكم بقدر رحمتي وكرامتي ورأفتي وعزي وجلالي وعلو مكاني وعظمة شأني فاسألوني ما شئتم، فما يزالون في الأماني حتى ان المقصر في أمنيته يقول: ربنا تنافس أهل الدنيا في دنياهم، وفخر بعضهم إلى بعض فاجعل حظي من الجنة كلَّ شيء كان فيه أهل الدنيا من يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها، فإنا رفضناها وزهدنا فيها وصغرت في أعيننا تشاغلاً بأمرك وإعظاماً لك وإجلالاً وإعزازاً.

[٢١٦] إكرام الله تعالى

فيقول لهم ربهم: لقد قصرتم في أمنيتكم ورضيتم بدون حظِّكم وبأقل من حقكم فقد أوجبت لكم ما سألتم وتمنيتم حتى تعرفه أنفسكم؛ وألحقت بكم ما قصرت عنه أمانيكم فانظروا إلى ما أعددت لكم وإلى ما لا تبلغه أمانيكم ولم يخطر على قلوبكم فيؤتون ذلك، فيقولون: ربنا أنت أحق بالأمن والرحمة ولو وكلّتنا إلى أنفسنا وأمانينا لضيَّعنا حظُّنا وإذا بقباب في الرفيع الأعلى قد نصبت وغرف من الدر والمرجان قد رفعت أبوابها من ذهب، ومنابرها من نور وسررها من ياقوت، وفرشها من سندس واستبرق يفور من أعراصها وأفواهها ماء. نور شعاع الشمس عنده كنور الكوكب الدري فإذا هم بقصور شامخة في أعلا عليين من الياقوت يزهر نورها فلو أنها متخذة إذاً لامتنعت الأبصار من شدة صفائها وعتق جوهرها فما كان منها أبيض فمن الياقوت الأبيض مفروشاً بالحرير الأبيض. وما كان منها أحمر فمن الياقوت الأحمر مفروشاً بالعبقري الأحمر. وما كان منها أخضر فمن الياقوت الأخضر مفروشاً بالسندس الأخضر. وما كان منها أصفر فمن الياقوت الأصفر مفروشاً بالأرجوان الأصفر، مبوبة بالذهب الأحمر والفضة البيضاء قواعدها من جوهر وأركانها من ذهب وشفوفها قباب من لؤلؤ وبروجها غرف من مرجان.

[٢١٧] براذين الجنة

فهم كذلك وإذا براذين مقربة من الياقوت الأحمر مصنوعاً فيها الروح بجنبها الولدان المخلدون وبيد كل وليد حكمة برذون من تلك البراذين على كل أربعة منها مرتبة من مراتب الجنة كالرحالة أسفلها سرير من ياقوتة وعلى كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة في كل قبة منها فراش من فرش الجنة ليس في الجنة لون حسن إلّا

وهو فيها ولا ريحة طيبة إلاّ عبق بهما ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من ينظر إليهما أنهما من دون القبة، يتبين مخها في عظامها كما يتبين السلك الأبيض في الياقوتة الصافية، ثم يأمر الله عز وجل رجلاً منهم فيتحول في مركبه مع صاحبته فتعانقه وتقبله وتمنيه بكرامة الله عز وجل، والقبة إما لؤلؤة وإما زمردة، وإما ياقوتة وإما درة وإذا في قبة من تلك القصور منابر من نور عليها ملائكة قعود ينتظرونهم ليهنئوهم ويحيوهم، فيتحول كل رجل منهم على مركبة تزف تلك البراذين ويجنبها الولدان المخلدون، تشيعهم الملائكة المقربون يقطعون بهم رياض الجنة. فلمَّا رفعوا إلى قصورهم نهضت الملائكة في أعراضهم فاستنزلوهم وصافحوهم وشبكوا أيديهم ثم أجلسوهم بينهم ثم أقبلوا على الضحك والمداعبة حتى علت أصواتهم.

[٢١٨] مصافحة الملائكة

تقول الملائكة: أما وعزة وربنا وجلاله ما ضحكنا منذ خلقنا إلاّ معكم، ولا هزلنا إلا معكم، فهنيئاً لكم هنيئاً بكرامة ربكم. فلما ودعوهم وانصرفوا عنهم دخلوا قصورهم فليس أحد منهم إلاّ وقد وجد الله عز وجل قد جمع له في قصره أمنيته التي تمنى، وإذا على كل قصر منها باب يفضي إلى وادٍ أفيح من أودية الجنة محفوفة تلك الأودية بجبال من الكافور الأبيض وكذلك جبال الجنة وهي معادن الجوهر والياقوت والفضة فارغة أفواهها في بطون تلك الأودية، في بطن كل واحد منها أربع جنات، جنتان ذواتا أفنان فيهما عينان تجريان فيهما من كل فاكهة زوجان، وجنتان مداهامتان، فيهما عينان نضاختان، وفيهما فاكهة ونخل ورمان، وحور مقصورات في الخيام لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان، كأنهن الياقوت والمرجان فلما تبؤوا المنازل واستقر قرارهم زارهم ربهم تبارك وتعالى في ملائكته فيقول لهم ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً﴾ [الأعراف: ٤٤] قالوا: نعم، قال: كيف وجدتم ثوابَ ربكم؟ قالوا: ربنا رضينا فارض عنا. فيقول لهم الجليل جل جلاله: برضائي عنكم نظرتم إلى وجهي وسمعتم كلامي وحللتم داري وصافحتم ملائكتي. فهنيئاً هنيئاً عطائي لكم ليس فيه نكد ولا تكدير فقالوا: ﴿الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾ [فاطر: ٣٥].

[٢١٩] عدد الجنات وأسماؤها

روي عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال: لما خلق الله تبارك وتعالى

الجنات يوم خلقها وفضل بعضها على بعض فهي سبع جنات؛ دار الخلد، ودار السلام، وجنة عدن ـ وهي قصبة الجنة وهي مشرفة على الجنان كلها وهي دار الرحمن تبارك وتعالى، ليس كمثله شيء ولا يشبه شيء ولباب جنات عدن مصراعان من زمرد وزبرجد من نور كما بين المشرق المغرب، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة الفردوس، وجنة النعيم، سبع جنات خلقها الله عز وجل من النور كلها مدائنها وقصورها، وبيوتها وشرفها وأبوابها ودرجها، وأعلاها وأسافلها، وآنيتها وحليها، وجميع أصناف ما فيها من الثمار المتدلية، والأنهار المطرزة بألوان الأشربة، والخيام المشرفة والأشجار الناضرة بألوان الفاكهة، والرياحين العبقة والأزهار الزاهرة والمنازل البهية المعجبة.

[٢٢٠] الحور العين

فيها الأزواج المطهرة، والعين الغنجات، بريط النور معتجرات بوشح الكرامة، متزينات، بالمسك متزملات، حدق أعينهن كاحلات، وأطرافهن خاشعات، وفروقهن مكللة بالدر، مركبة بالياقوت، ينادين بأصوات غنجة رخيمة لذيذة يقلن: نحن خالدات فلا نموت أبداً، ونحن الغانجات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، ونحن الحور الحسان أزواج أقوام كرام، ونحن الأبكار السوام للعباد المؤمنين، طوبى لمن كان لنا وكنا له. فذلك قوله عز وجل ﴿**إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً**﴾ [الواقعة: ٣٥، ٣٧] عاشقات لأزواجهن ﴿**أتراباً**﴾ مستويات في الأسنان ﴿**حور عين**﴾ [الواقعة: ٢٢] حسان جمال ﴿**كأمثال اللؤلؤ المكنون**﴾ [الواقعة: ٢٣] كأنهن الياقوت والمرجان. مشيها هرولة، ونغمتها شهية بهية فائقة وامقة لزوجها عاشقة وعليه محبوسة وعن غيره محجوبة فذلك قوله عز وجل: ﴿**فيهن قاصراتُ الطرف**﴾. [الرحمن: ٥٦] يقول قصرت أطرافهن عن الرجال فلا ينظرن إلى غير أزواجهن ﴿**لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان**﴾ [الرحمن: ٥٦] وكلما أصابها زوجها وجدها عذراء عليها سبعون حلة مختلفة الوشي والألوان، حملها أهون عليها وأخف من شعرها.

[٢٢١] صفة الحور

في نحرها مكتوب، أنت حبي وأنا حبك لست أبغي بك بدلاً ولا عنك

معدلاً. كبدها مرآته وكبده مرآتها يرى مخ ساقها من وراء لحمها وحليها كما ترى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء، وكما يرى السلك الأبيض في جوف الياقوتة الصافية.

[٢٢٢] دار السلام

وخلق دار السلام من الياقوت كلّها أزواجها وخدمها وآنيتها وأسرتها وحجالها وقصورها وخيامها ومدائنها ودرجها وغرفها وأبوابها. وثمارها من اللؤلؤ والياقوت.

[٢٢٣] جنة عدن

وخلق جنة عدن من الزبرجد كلها على هذه الصفة وخلق جنة المأوى من الذهب الأحمر بجميع ما فيها على هذه الصفة.

[٢٢٤] جنة الخلد

وخلق جنة الخلد من الفضة البيضاء بجميع ما فيها على هذه الصفة. والجنات كلها مائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام. حيطانها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد. ملاطها المسك، وقصورها الياقوت، وغرفها اللؤلؤ، ومصارعها الذهب، وأرضها الفضة، وحصباؤها المرجان، وترابها المسك. أعدها الله عز وجل لأوليائه، يقول الله تبارك وتعالى: يا أوليائي جوزوا الصراط بعفوي، وأدخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم، فلكم صنعت ثمار الفردوس، ولكم نصبت شجرة الخلد، ولكن بنيت القصور التي أسست بالنعيم، وشرفت بالملك والخلود.

[٢٢٥] درجات أهل الجنة

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فأسفل أهل الجنة درجة من له من الجنة مسيرة خمسمائة عام، ويزوج خمسمائة حوراء، وأربعة بكر، وثمانية آلاف بيت، وإنه ليعانق الزوجة عمر الدنيا فلا يتأخر واحد منهما عن صاحبه، وإنه لتوضع المائدة بين يديه فلا ينقضي شبعه عمر الدنيا، وإنه ليوضع الإناء على فيه فلا ينقضي ريه عمر الدنيا، وإنه ليأتيه ملك بين أصبعيه مائة حلة تحية من ربه تبارك وتعالى فيلقيها على بدنه فيقول العبد: الحمد لله وتبارك ربي وتعالى فما عجبت

كإعجابي بهذه الهدية. فيقول الملك: أعجبتك؟ فيقول: نعم، فيبادر الملك أدنى شجرة من جنة الخلد فيقول: أنا رسول ربك إليك تكوني لولي الله ما أحب فتتلون له على ما يشتهي.

[٢٢٦] طعام الجنة

ويبلغ غداؤه سبعين ألف صفحة من آلوان لحوم الطير كأنها البخت لا ريش لها ولا زغب ولا عظم، فلا تطبخ بالنار، ولا تقليها القدور ولذتها لذة الزبد، وحلاتها حلاوة العسل، ورائحتها رائحة المسك. يأكل من كلها يجد لآخرها من الطعم كما يجد لأولها. وفي عشائه مثل ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «يأكلون ويشربون ويتفكهون يصير طعامهم وشرابهم رشحاً كرشح المسك يخرج من أجسادهم. ويبعث الله تبارك وتعالى إليهم الملائكة بهدية من لدن العرش».

[٢٢٧] دلال الحور

روي عن الحسن رضي الله عنه أنه قال: بينما ولي الله في الجنة مع زوجته من الحور العين على سرير من ياقوت أحمر وعليه قبة من نور إذ قال لها: قد اشتقت إلى مشيتك، قال: فتنزل من سرير ياقوت أحمر إلى روضة مرجان أخضر، وينشىء الله عز وجل لها في تلك الروضة طريقين من نور أحدهما نبت الزعفران، والآخر نبت الكافور، فتمشي في نبت الزعفران، وترجع في نبت الكافور، وتمشي بسبعين ألف لون من الغنج.

وروي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يسطع نور في الجنة فيرفعون رءوسهم فإذا هو نور حوراء. ضحكت في وجه زوجها».

وروي عن جابر بن عبدالله أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة يأكلون، ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ولكنه رشح كرشح المسك، قد

---

[٢٢٧] حديث «إن أهل الجنة يأكلون ويشربون». مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب في صفة الجنة وأهلها (٢٨٣٥/ ١٨) من حديث أبي هريرة.

ألهموا التسبيح والتقديس والتكبير والتحميد».

[٢٢٨] لباس أهل الجنة

وروي عن بعض العلماء أنه قال: بلغني أن وليّ الله في الجنة يلبس حلة ذات وجهين يتجاوبان بصوت مليح، تقول التي تلي جسده: أنا أكرم على وليّ الله منك أنا أمس بدنه وأنت لا تمسين بدنه، فتقول التي تلي وجهه: بل أنا أكرم على وليّ الله منك أنا أرى وجهه وأنت لا ترين وجهه.

وروي عن النبي ﷺ: أنه قال: «يبعث أهل الجنة على صورة آدم عليه السلام في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحلين، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيلبسون منها ثياباً، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم».

[٢٢٩] أول من يدخل الجنة

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على آثارهم كأشد كوكب دري في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض يسبحون الله بكرة وعشياً، لا يسقمون فيها ولا يموتون، ولا ينزفون آنيتهم من الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألوة ورشحهم المسك».

[٢٣٠] مساكن الجنة

وقال الحسن رحمه الله في قوله عز وجل ﴿ومساكن طيبة في جنات عدن﴾ [التوبة: ٧٢] قيل سأله ابن أخيه في ذلك فقال: يا ابن أخي على الخبير وقعت، سألت عنها أبا هريرة وعمران بن حصين فقالا: على الخبير وقعت، سألنا عنها رسول الله ﷺ كما سألتنا فقال: «هي قصر في الجنة من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون

---

[٢٢٨] حديث «يبعث أهل الجنة على صورة....».

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٣٢) بلفظ يبعث المؤمنين جرداً مرداً من حديث أبي موسى.

[٢٢٩] حديث «إن أول زمرة تدخل....».

أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٥٧) من حديث أبي هريرة والحميدي في مسنده (١١٤٣) من حديث أبي هريرة.

داراً من ياقوتة حمراء، في كل دارٍ سبعون بيتاً من زمردة خضراء، في كل بيت سبعون سريراً على كلٍّ سرير فراش لون على لون، على كل سرير امرأةٌ من الحور العين. في كل بيت مائدة على كل مائدة سبعون قصعة، وعلى كل مائدة سبعون وصيفاً ووصيفة يعطي الله المؤمن في غداة واحدة ما يأكل ذلك الطعام، ويطوف على تلك الأزواج».

[٢٣١] طيور الجنة

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه لينظر إلى الطير في الجنة فيخر بين يديه مشوياً والطير أمثال الإبل، فيقول الطير منها: يا ولي الله أما أنا فقد رعيت في وادي كذا وكذا، وأكلت من ثمار كذا وكذا، وشربت من ماء عين كذا وكذا وسني كذا وريحي كذا فكل مني، فإذا اشتهى حسن الطير واشتهى صفته فوقع في نفسه وقع الطائر على ما يريد قبل أن يتكلم، نصفه قديداً ونصفه شواء، كلما شبع ألقى الله عليه ألف باب من الشهوة في الأكل، ثم يؤتى بالشراب على برد الكافور ـ وليس بهذا الكافور ـ وطعم الزنجبيل ـ وليس بهذا الزنجبيل ـ وعلى ريح المسك ـ وليس بهذا المسك ـ فإذا شرب هضم ما أكل من الطعام، ويأكل مقدار أربعين عاماً ويعطي قوة مائة شاب في الجماع، ويجامع مقدار أربعين سنة، له في كل يوم مائة عذراء، بذكر لا يمل ولا ينثني، وفرج لا يحثى ولا يمنى».

[٢٣٢] أنهار الجنة

قال وهب بن منبه رضي الله عنه: إن في رياض الجنة نهر من أنهارها فهو أصل أنهار الجنة كلها أظهره الله عز وجل حيث ما أراد، وأن النيل نهر العسل، ودجلة نهر اللبن في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة، وجيجان كذلك، وهما بأرض الهند، وهما نهرا الماء في الجنة، وصفهم الله عز وجل في الدنيا حتى يصيرهم إلى الجنة.

وذكر وهب عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مكتوب على باب الجنة ، أنا الله لا إله إلاّ أنا لا أعذب من قالها، إني أنا الله لا إله إلاّ أنا محمد رسول الله ' أعذب من قالها».

---

[٢٣٢] حديث «مكتوب على باب الجنة» أخرجه ابن ماجه: كتاب الزهد، باب صفة الجنة (٤٣٢٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الشبر في الجنة خير من الدنيا وما فيها» قال الله عز وجل: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة عين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة: ١٧].

[٢٣٣] سرر الجنة

قال ابن عباس رضي الله عنه: وذلك أن ولي الله في الجنة على سرير والسرير ارتفاعه خمسمائة عام وهو قول الله عز وجل ﴿وفرش مرفوعة﴾ [الواقعة: ٣٤] قال: والسرير من ياقوت أحمر وله جناحان من زمرد أخضر، وعلى السرير سبعون فراشاً حشوها النور، وظواهرها السندس، وبطائنها من استبرق، ولو دلى أعلاها فراشاً ما وصل إلى آخرها مقدار أربعين عاماً.

[٢٣٤] أرائك الجنة

وعلى السرير أريكة وهي الحجلة وهي من لؤلؤة عليها سبعون ستراً من نور وذلك قوله عز وجل ﴿هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون﴾ [يس: ٥٦] يعني ظلال الأشجار، على الأرائك يعني الأسرة في الحجال، فبينما هو معانقها لا تمل منه ولا يمل منها والمعانقة أربعين عاماً فإذا رفع رأسه فإذا هو بأخرى متطلعة عليه تناديه: يا ولي الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: حبيبتي من أنت؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله فيهن ﴿ولدينا مزيد﴾ [قٓ: ٣٥] قال: فيطير سريره، أو قال: كرسي من ذهب له جناحان فإذا رآها فهي تضعف على الأولى بمائة ألف جزء من النور فيعانقها مقدار أربعين عاماً لا تمل منه ولا يمل منها، فإذا رفع رأسه رأى نوراً ساطعاً في داره، فيعجب فيقول: سبحان الله أملك كريم زارنا، أم ربنا أشرف علينا؟ فيقول الملك وهو على كرسي من نور بينه وبين الملك سبعون عاماً، والملك في حجبته في الملائكة: لم يزرك ملك ولم يشرف عليك ربك عز وجل، فيقول ما هذا النور؟.

[٢٣٥] زوجة الدنيا

فيقول الملك: لزوجتك الدنيوية وهي معك في الجنة إنها طلعت عليك ورأتك معانقاً لهذه فتبسمت فهذا النور الساطع الذي تراه في دارك هو نور ثناياها، فيرفع رأسه إليها فتقول: يا وليَّ الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: حبيبتي من أنت؟

فتقول له: يا ولي الله أما أنا فمن اللواتي قال الله عز وجل فيهن ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾ [السجدة: ١٧] الآية. قال: فيطير سريره إليها فإذا لقيها فهي تضعف عن هذه الأخرى بمائة ألف جزء من النور، لأن هذه صامت وصلت وعبدت الله عز وجل، فهي إذا دخلت الجنة أفضل من نساء الجنة، لأن أولئك أنبتن نباتاً، فيعانق هذه مقادر أربعين عاماً لا تمل منه ولا يمل منها، ثم إنها تقوم بين يديه وخلاخلها من يواقيت، فإذا وطئت يسمع من خلاخلها صفير كل طير في الجنة، فإذا مس كفها كان ألين من المخ ويشم من كفها رائحة كل طيب في الجنة وعليها سبعون حلة من نور لو نشر الرداء منها لأضاء ما بين المشرق والمغرب، خلقت من نور والحلل عليها أسورة من ذهب وأسورة من فضة وأسورة من لؤلؤ، وتلك الحلل أرق من نسج العنكبوت وهو أخف عليها من النقش، وانه يرى مخ ساقها من صفائها، ورقتها من وراء العظم واللحم والجلد، والحلل مكتوب على ذراعها اليمين بالنور ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ [الزمر: ٧٤] وعلى الذراع الآخر مكتوب بالنور ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ [فاطر: ٣٤].

[٢٣٦] تبادل الحب

ومكتوب على كبدها بالنور حبيبي أنا لك لا أريد بك بدلاً، وكبدها مرآته، وهي على صفاء الياقوت وحسن المرجان وبياض البيض المكنون ﴿عرباً أتراباً﴾ [الواقعة: ٣٧] العرب العاشقات لأزواجهن، والأتراب بنات خمس وعشرين سنة، مفلجة لو ضحكت لأضاء نور ثناياها ولو سمع الخلائق منطقها لافتتن كل برٍّ وفاجرٍ، فهي قائمة بين يديه فساقها يضعف على قدميها بمائة ألف جزء من النور، وفخذها يضعف على ساقها بمائة ألف جزء من النور، وعجزها يضعف على فخذها بمائة ألف جزء من النور، وبطنها يضعف على عجزها بمائة ألف جزء من النور وصدرها يضعف على بطنها بمائة ألف جزء من النور، ووجهها يضعف على نحرها بمائة ألف جزء من النور، ولو تفلت في بحار الدنيا لعذبت كلها، ولو أطلعت من سقف بيتها إلى الدينا لأخفى نورها نور الشمس والقمر، عليها تاجٌ من ياقوت أحمر مكلل بالدر والمرجان على يمينها مائة ألف قرن من قرون شعرها.

[٢٣٧] ضفائر الجمال

وتلك القرون قرنٌ من نور وقرن من ياقوت وقرنٌ من لؤلؤ وقرنٌ من زبرجد

وقرنٌ من مرجان وقرنٌ من در مكلل بالزمرد الأخضر والأحمر، مفضض بألوان الجوهر، موشح بألوان الرياحين ليس في الجنة طيب إلاّ وهو تحت شعرها، الواحدة تضيء مسيرة أربعين عاماً، وعلى يسارها مثل ذلك، وعلى مؤخرها مائة ألف ذؤابة من ذؤائب شعرها، فتلك القرون والذوائب إلى نحرها ثم تتدلى إلى عجزتها ثم تتدلى إلى قدميها حتى تجره بالمسك، وعن يمينها مائة ألف وصيفة كل قرن بيد وصيفة، وعن يسارها مثل ذلك ومن ورائها مائة ألف وصيفة كل وصيفة آخذة بذؤابة من ذوائب شعرها.

[٢٣٨] الوصائف

ومن بين يديها مائة ألف وصيفة معهن مجامر من در فيها بخور من غير نار ويذهب ريحه في الجنة مسيرة مائة عام، حولها ولدان مخلدون شباب لا يموتون كأنهن اللؤلؤ المنثور كثرة، فيه قائمة بين يدي ولي الله ترى إعجابه وسروره بها وهي مسرورة عاشقة له، فتقول له: يا ولي الله لتزدادن غبطة وسروراً، فتمشي بين يديه بمائة ألف لون من المشي في كل مشية تجلى في سبعين حلة من النور، وان الماشطة معها فإذا مشت تتمايل وتنعطف وتتكاسر وتدور، وتبتهج بذلك وتبتسم فإذا مالت مالت القرون من الشعر معها ومالت الذوائب معها ومالت الوصفان معها، فإذا دارت درن معها، فإذا أقبلت أقبلن معها، خلقها الرحمن تبارك وتعالى خلقة إذا أقبلت فهي مقابله وإذا ولت فهي مقبلة الوجه لا تفارق وجهه ولا تغيب عنه، ويرى كل شيء منها، إذا جلست بعد مائة ألف لون من المشي خرجت عجزتها من السرير وتدلي قرونها وذوائبها فيضطرب ولي الله لولا أن الله سبحانه قضى أن لا موت فيها لمات طرباً، فلولا أن الله تبارك وتعالى قدرها له ما استطاع أن ينظر إليها مخافة أن يذهب بصره فتقول له: يا ولي الله تمتع فلا موت فيها. وأنشدوا:

بحسبــك يــا عمَّــار مــن دار بلغــة ... جنان بها الخيرات يزلفن في الحللِ
ويمشيـن هـونـاً فـي الجنـان أمـامهـم ... خيامٌ من الـدرّ المجـوف فـي الكلـلِ
إذا بـرزت حـوراءُ حـفَّ بهـا البهـا ... وأشرقت الفردوسُ والقومُ في شغلِ
يعـانقــنَ أزواجــاً لكــلِّ مطهــرٍ ... على فرش الديباج والعيشُ قد كملْ

وطاف بها الولدان من كلٍّ جانب ونودِيَ ولي الله يجزي، بما فعلِ

وقال غيره

يا خاطبَ الحوراء في خدرها وطالباً ذاك على قدرهَا
انهض بعزم لا تكن دانياً وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم وحالِف الوحدةَ في ذكرها
وقم إذا الليل بدا وجهه وصم نهاراً فهو من مهرها
فلو رأت عيناك إقبالها وقد بدت رمانتا صدرها
وهي تماشي بين أترابها وعقدها يشرق في نحرها
لهان في نفسك هذا الذي تراه في دنياك من زهرها

[٢٣٩] ضيافة الله

روى أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ الله تبارك وتعالى إذا سكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، هبط ربنا الجليل جل جلاله بلا تكييف ولا تمثيل يتعالى ربنا عن ذلك، إلى مرج أفيح فمد بينه وبين خلقه حجاباً من لؤلؤ وحجاباً من نور ثم وضعت منابر النور وسرر النور وكراسي النور ثم أذن لرجل كريم على الله عزّ وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوي تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل: من هذا الذي قد أذن له الله عز وجل؟ فقيل: هذا المجبول بيده والمعلم الأسماء، والذي أمرت الملائكة فسجدت له والذي أبيحت له الجنة آدم ﷺ أذن له على الله عز وجل، قال: ثم أذن لرجل آخر على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل: من هذا الذي أذن الله عز وجل؟ فقيل: هذا الذي اتخذه الله خليلاً وجعل النار عليه برداً وسلاماً إبراهيم عليه الصلاة السلام قد أذن له على الله عز وجل، قال: ثم أذن لرجل آخر على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوي تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم، فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل: من هذا قد أذن له على الله عز وجل، فقيل: هذا الذي اصطفاه الله عز وجل برسالته وقربه نجياً وكلمة تكليماً موسى عليه الصلاة والسلام قد أذن له على الله عز وجل، ثم أذن لرجل آخر معه مثل جميع مراكب النبيين قبله بين يديه أمثال الجبال من النور ويسمع دوي تسبيح الملائكة وصفق أجنحتهم، فقيل: من هذا الذي قد أذن له

على الله عز وجل؟ فقيل: هذا أول شافع وأول مشفع وسيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض وصاحب لواء الحمد أحمد ﷺ قد أذن له على الله عز وجل قال: فيجلس النبيون على منابر النور، والصديقون على سرر النور، والشهداء على كراسي النور وجلس سائر الناس على كثبان من المسك الأبيض الأذفر.

[٢٤٠] وفد الله

ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب: مرحباً بعبادي وزواري وجيراني ووفدي، يا ملائكتي انهضوا إلى عبادي فأطعموهم، قال: فتقرب الملائكة إليهم لحم طير كأنها البخت لا ريش معها ولا عظم، فأكلوا ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب: مرحباً بعبادي وزواري وجيراني ووفدي، أكلوا أسقوهم يا ملائكتي، قال: فنهض إليهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المنثور بأباريق الذهب بأشربة مختلفة تجدلذة آخرها كلذة أولها ﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾ [الواقعة: ١٩]، قال: ثم ناداهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب: مرحباً بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا فكهوهم، فقربت إليهم أطباق مكللة بالياقوت من الرطب الجنى الذي أسماه الله، أشد بياضاً من اللبن، وأطيب من عذوبة الشهد، فطعموا وشربوا وفكهوا ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب: مرحباً بعبادي وزواري وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا وفكهوا أكسوهم.

[٢٤١] كرامة الله لعباده

قال: ففتحت لهم أشجار الجنة بحلل مصقولة بنور الرحمن فألبسوا، ثم ناداهم الرب من وراء الحجب: مرحباً بعبادي وزوّاري ووفدي أكلوا وشربوا وفكهوا وكسوا، طيبوهم، قال: فهاجت عليهم ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة بأنابيب المسك الأبيض الأذفر فنضحت على وجوههم من غير غبار ولا قتار ثم يناديهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب: مرحباً بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي أكلوا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا، وعزتي وجلالي لأتجلين لهم حتى ينظروا إلي فذلك منتهى العطايا وفضل المزيد، فيتجلى الرب تبارك وتعالى فيقول السلام عليكم عبادي انظروا إليَّ فقد رضيت عنكم، قال: فتداعت قصور الجنة وأشجارها واهتزت تقول: سبحانك سبحانك أربع مرات وخر القوم سجداً،

فناداهم الرب جل وعز: عبادي ارفعوا رؤوسكم فإنها ليست بدار عمل ولا بدار نصب وإنما هي دار جزاء ودار ثواب، وعزتي وجلالي ما خلقتها إلاّ لأجلكم وما من ساعة ذكرتموني فيها في دار الدنيا إلاّ ذكرتكم فوق عرشي.

[٢٤٢] سوق الجنة

وروي عن سعيد بن المسيب أنه أتى أبا هريرة رضي الله عنه، فقال له أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، فقال له سعيد: أو فيها سوق؟ قال: نعم أخبرنا رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوها فنزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل، ويبرز لهم من عرشه تبارك وتعالى في روضة من رياض الجنة وتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ياقوت ومنابر من ذهب ومنابر من فضة يكون أدناهم - وما فيها أدنى - على كثبان المسك والكافور وما يرون أصحاب المنابر أفضل منهم مجلساً.

[٢٤٣] رؤية الله تعالى

قال أبو هريرة رضي الله عنه: فقلت: يا رسول الله هل نرى ربنا عز وجل؟ قال: «نعم هل تضامون في رؤية القمر ليلة البدر؟» فقلنا: لا قال: «فكذلك لا تضامون في رؤية ربكم تبارك وتعالى» ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلاّ حاضره الله عز وجل محاضرة حتى إنه ليقول عز وجل لرجل يا فلان أتذكر يوم عملت كذا وكذا؟ يذكره عذلاته في الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ قال: بلى فبسعة مغفرتي نلت منزلتك هذه، قال: فبينما هم على ذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط فيقول ربنا عز وجل: قدموا إليَّ ما أعددت لكم من الكرامة، قال: فنأتي سوقاً من أسواق الجنة قد حفت به الملائكة لم تسمع به الآذان، ولم تنظر إليه العيون، ولم يخطر على القلوب، قال: فيحمل لنا فيها ما اشتهينا ليس يباع فيها شيء ولا يشترى وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم

---

[٢٤٢] حديث «أسأل الله أن يجمع بين....».

أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق (٢٥٤٩). أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب صفة الجنة (٤٣٣٦).

بعضاً، قال: فيلقى الرجل ذو المنزلة المرتفعة من هو دونه فيروعه ما عليه من اللباس فما ينقضي حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها. قال: ثم ننصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن: مرحباً وأهلاً بحبيبنا لقد جئت وأن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فنقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار جل جلاله ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا.

[٢٤٤] المتحابون في الله

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المتحابون في الله في الدنيا هم في الجنة على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة إذا اطّلع أحدهم ملأ حسنه بيوت أهل الجنة نوراً كما تملأ الشمس بيوت أهل الدنيا قال: فيقول أهل الجنة: أخرجوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فيخرجون فينظرون في وجوههم مثل القمر ليلة البدر عليهم ثياب خضر مكتوب في جباههم بالنور هؤلاء المتحابون في الله».

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن أهل الجنة إذا زاروا ربهم وأرادوا الانصراف يعطى كل رجل منهم رمانة خضراء فيها سبعون حلة لكل حلة سبعون لوناً ليس منهم حلة تشبه الأخرى، فإذا انصرفوا عن ربهم مرُّوا في أسواق الجنة ليس فيها بيع ولا شراء، وفيها من الحلل والسندس والإستبرق والحرير والرفرف والعبقري من در وياقوت وأكاليل معلقة فيأخذون من تلك الأسواق من هذه الأصناف ما شاؤوا ولا ينقص من تلك الأسواق شيئاً وفيها صور كصور الناس من أحسن ما يكون من الصور مكتوب في نحر كل صورة منها من تمنى أن يكون مثل صورتي جعل الله حسنه على صورتي، فمن تمنى أن يكون حسن وجهه مثل حسن تلك الصورة جعله الله على تلك الصورة قال: ثم ينصرفون إلى منازلهم.

[٢٤٥] خواتم الجنة

وقال النبي ﷺ: «إن أهل الجنة يعطيهم الله خواتم من ذهب يلبسونها وهي خواتم الخلد، ثم يعطيهم خواتم من در وياقوت ولؤلؤ وذلك إذا رأوا ربهم في داره دار السلام».

---

[٢٤٤] حديث «المتحابون في الله في الدنيا....». أورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٢٧٣٤).

[٢٤٦] نوق الجنة

وروي عن بعض العلماء أنه قال: بينا أهل الجنة يتحدثون في ظل طوبى إذ يأتيهم الملائكة بنوق مزمومة بسلاسل الذهب كأن وجوهها المصابيح من حسنها، ذلك من غير تهيئة نجب من غير رباية عليها رحائل الذهب وكسوتها سندس واستبرق حتى ترفع إليهم، ثم يسلموا عليهم فيقولون: إن ربكم بعث إليكم بهذه الرواحل لتركبوها فتزوره وتسلمون عليه، قال: فيتحول كل واحد منهم على راحلته ثم يسيرون بها صفاً في الجنة الرجل منهم إلى جنب صاحبه لا يجاوز أذن ناقة منها أذن صاحبتها ولا ركبة ناقة منها ركبة صاحبتها، وإنهم ليمرون بالشجرة من شجر الجنة فتتأخر من مكانها، فإذا وقفوا بين يدي الرحمن تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم وتجلى لهم فيسلمون عليه ويرحب بهم ويقال إن سلامهم عليه أن يقولوا: ربنا أنت السلام ومن عندك السلام ولك حق الجلال والإكرام، فيقول لهم الجليل جل جلاله: وعليكم سلام مني وعليكم رحمتي وكرامتي، مرحباً وأهلاً بعبادي الذين أطاعوني بالغيب وحفظوا وصيتي، فيقولون: لا وعزتك ما قدرناك حق قدرك وما أدينا إليك كل حقك، ائذن لنا أن نسجد لك، فيقول: إني قد رفعت عنكم مؤنة العبادة وأفضيتم إليَّ كرامتي.

[٢٤٧] أماني أهل الجنة

وبلغ الوعد الذي وعدت لكم فتمنوا فإن لكل إنسان منكم ما تمنى، فيتمنون فيعطى كل واحد منهم ما يمني، ثم يزيدهم تبارك وتعالى من فضله وكرمه ما لم تبلغ إليه أمانيهم، وأنشدوا:

يـــا راغـــبَ الحـــور الجمـــم ... والـــدل والشكـــل وحســـن الشيـــم
النـــاعمـــات الـــدائمـــات الـــرضـــى ... فـــي جنـــة الفـــردوس مـــأوى النعم
أرفـــض بـــدار زهـــرهـــا زائـــل ... واغتنـــم الصحـــة قبـــل السقـــم
وابـــدر إلـــى الـــرؤيـــة مستبصـــراً ... واعتنـــق التشهيـــد عنـــد الظلـــم
واستغفـــر الله لمـــا قـــد مضـــى ... واستشعـــر الخـــوف وطـــول النـــدم
تفـــز بمـــا تطلـــب مـــن لـــذة ... وتـــأمـــن البلـــوى وعقبـــى النقـــم

١٠

مجلس في قوله تبارك وتعالى ﴿كلُّ نفس ذائقةُ الموت﴾

[٢٤٨] قيل لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة: متنا وعزة الله، فعند ذلك أيقن كل ذي عقل وروح أنه هالك. وأنشدوا:

أيضحك من للموت فيه نصيبُ ... وينعم عيشاً إن ذا لعجيبُ
ويأكل والأيام تأكل عمرَهُ ... وليس له جسمٌ لذاك يذوبُ
ومن عرف الرحمنَ لم يهن قلبه ... نعيمٌ ولم ينفك عنه نحيبُ
بعدت عن الورد الرضي بزلة ... وبي قطعت دون الوصول ذنوبُ

قال الله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران: ١٨٥] يموت كل صغير وكبير، يموت كل أمير ووزير، يموت كل عزيز وحقير، يموت كل غني وفقير، يموت كل نبي وولي، يموت كل نجي وتقي، يموت كل زاهد وعابد، يموت كل مقر وجاحد، يموت كل صحيح وسقيم، يموت كل مريض وسليم، كل نفس تموت غير ذي العزة والجبروت. وأنشدوا:

ألا كل مولود فللموت يولد ... ولست أرى حياً عليها يخلَّدُ
تجرد من الدنيا فإنك إنما ... خرجت من الدنيا وأنت مجردُ
وأنت وإن خوَّلت مالاً وكثرة ... فإنك في الدنيا على ذاك أوحدُ
وأفضل شيء نلت منها فإنه ... متاعٌ قليلٌ يضمحلٌّ وينفدُ
فكم من عزيز أعقب الذلَّ عزهُ ... فأصبح مذموماً وقد كان يحمدُ
فلا تحمد الدنيا ولكن فذمها ... وما بال شيء ذمه الله يحمدُ

[٢٤٩] ذكر الموت

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أكثروا ذكر هازم اللذات ومفرق الجماعات، =

---

[٢٤٩] حديث «أكثروا ذكر هازم اللذات».

وتوسدوه إذا نمتم واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم، واعمروا به مجالسكم فإنه معقود بنواصيكم» يعني بما وكل به منكم، ويفسد نعيمكم، ويخرب مصانعكم ويفنيكم كما أفنى من كان قبلكم فلا تنسوه فإنه لا ينساكم، ولا تغفلوا عنه فإنه ليس بغافل عنكم. وأنشدوا:

يا جار أحبابه شهوراً … وجار أمواته دهوراً
ليس سروراً يعود حزناً … إذا تأملته سروراً

وروي عن عيسى عليه السلام أنه قال: ما من مولود يولد إلّا وفي سرته من تراب الأرض التي يموت فيها. وأنشدوا:

أمر على المقابر كل حين … ولا أدري بأي الأرض قبري
وأفرح بالغنى إن زاد مالي … ولا أبكي على نقصان عمري

ما أحسن حال من ذكر الموت فعمل لخلاصه قبل الفوت، وأشغل نفسه بخدمة مولاه، وقدم من دنياه لأخراه، ورغب في دار لا يزول نعيمها ولا يهان كريمها. وأنشدوا:

الموت لا شك آت فاستعد له … إنّ اللبيب بذكر الموت مشغولُ
فكيف يلهو بعيش أو يلذ به … من التراب على عينيه مجعولُ

روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً»

[٢٥٠] حكاية عن الربيع

وقيل للربيع رحمه الله: الا تجلس معنا نتحدث؟ فقال: إن ذكر الموت إذا فارق قلبي ساعة فسد على قلبي. وأنشدوا:

ما أغفل الناسَ عن وعيد … قربه الليل والنهار

= أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت (٢٣٠٧) من حديث أبي هريرة وقال: حسن غريب. أخرجه النسائي في كتاب الجنائز، باب كثرة ذكر الموت (٤/٤) الشطر الأول منه ـ أكثروا ذكر هازم اللذات.

(*) حديث «أكثرهم للموت ذكراً...».

الطبراني الكبير (١٢/ ٤١٧) والصغير (٩٨٦) من حديث ابن عمر.

والعـــار مـــا جـــرَّت المعـــاصـــي وليـــس فـــي النـــائبـــات عـــار
ويحـــك مـــا تصنـــع المنـــايـــا تـــأتـــي فتخلـــى لهـــا الـــديـــار
فـــلا قلـــوب لهـــا عيـــون ولا عيـــون لهـــا اعتبـــار

عباد الله اسعوا في فكاك رقابكم، وأجهدوا أنفسكم في خلاصها قبل أن تزهق، فوالله ما بين أحدكم وبين الندم، والعلم بأنه قد زلت به القدم، إلاّ أن يحوم عقاب المنية عليه، ويفوق سهامها إليه، فإذا الندم لا ينفع، وإذا العذر لا يصنع، وإذا النصير لا يدفع، وإذا الشفيع لا يشفع، وإذا الذي فات لا يسترجع، وإذا البائس المحابي به في النجاة لا يطمع. فكأني بك يا أخي وقد صرخ عليك النسوان، وبكى عليك الأهل والإخوان، وفقدك الولدان ونفخ لفرقتك الجيران، ونادى عليك المنادي قد مات فلان بن فلان. ثم نقلت عن الأحباب، وحملت إلى أرماس التراب، وأضجعوك في محل ضنك، قصير السمك، مهول منظره، كثير وعره، مغشى بالوحشة. عرفته مهول الصريح، مطبق الصفيح، على غير مهاد ولا وداد، ولا مقدمة زاد ولا استعداد. وأنشدوا:

المـــرء يخـــدعـــه منـــاه والـــدهـــر يســـرع فـــي بـــلاه
يـــا ذا الشبيـــه لا تكـــن ممـــن تعبـــده هـــواه
واعلـــم بـــأن المـــرء مـــر تهـــن بمـــا كسبـــت يـــداه
والنـــاس فـــي غفـــلاتهـــم والمـــوت دائـــرة رحـــاه
الحمـــد لله الـــذي يبقـــى ويهلـــك مـــا ســـواه

[٢٥١] سكرات الموت

روي عن النبي ﷺ أنه لما احتضر جعل يقول: «لا إله إلاّ الله إن للموت

---

[٢٥١] حديث «لا إله إلاّ الله...».

أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض الرسول (١٦٢٣) والإمام أحمد في مسنده (٦/ ٦٤).

(*) حديث «اللهم هون علي سكرات الموت».

أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب وفاة النبي (٤٤٤٩) من حديث عائشة.

(*) حديث: «لو أن ألم شعرة...». قال العراقي: رواه أبي الدنيا في كتاب الموت والحديث مرسل=

لسكرات» وروي عنه ﷺ أنه كان يقول ـ وعنده قدح ماء ـ عند موته وكان يدخل يده فيه ويمسح بالماء على وجهه ويقول مرة بعد مرة: «اللهم هوِّن عليَّ سكرات الموت».

وروي عنه ﷺ أنه قال: «لو أن ألم شعرة من شعر الميت وضع على أهل السموات والأرض لماتوا أجمعين» لأن في كل شعرة ألم الموت، ولا يقع الموت ولا يحل في شيء إلّا مات.

وروي أنه قال: «لو أن قطرةً وضعت على جبالِ الدنيا كلها لزالت».

وأنشدوا:

تيقـظ للـذي لا بُـدَّ منـهُ	فـإن المـوت ميقـاتُ العبـادِ
يسـرك أن تكـون رفيـقَ قـومٍ	لهـم زادٌ بغيـر زادِ؟!

[٢٥٢] آلام الموت

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب: يا كعب حدثنا عن الموت، فقال: يا أمير المؤمنين هو غصن كثير الشوك، ادخل في جوف رجل حتى إذا أخذت كلَّ شوكة بعرق، ثم جذبه رجلٌ شديد الجذب فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى.

وأنشدوا:

ألا أيهـا المغـرور والمـوت نحـوه	خلقـت لـه تحـدو إليـه الـركـائـبُ
أغـرك حلـم الله أم لسـت مـوقنـاً	بـأنـك مبعـوث غـداً ومحـاسَـبُ
بـأيسـر مـن مثقـال حبـة خـردل	وإنـك مجـزيٌّ بمـا أنـت كـاسِـبُ

روي عن الحسن رحمه الله أنه قال: لما مات خليلُ الرحمن اجتمعت إليه أرواحُ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقالوا: إن الله تعالى اتخذك خليلاً من بين سائر الأنبياء والرسل، فإن كان الموت خفف عن واحد فأنت هو، فأخبرنا كيف وجدت طعم الموت؟

= حسن الإسناد (إتحاف ١٠/ ٢٦٢).

(*) حديث «لو أن قطرة وضعت...». قال العراقي: لم أجد له أصلاً ا. هـ (١٠/ ٢٦٢).

[٢٥٣] طعم الموت

فقال: أواه، وجدته والله شديداً، والذي لا إله غيره هو أشد من الطبخ في القدور، والقطع بالمناشير، أقبل ملك الموت نحوي بكلوب من حديد فأدخله في كلِّ عضو مني ثم استلَّ الروح من كل عضو حتى جعله في القلب، ثم طعن في القلب طعنة بحربته المسمومة بسم الموت فلو أني طبخت في القدور سبعين مرة لكان أهون عليَّ. فقالوا: يا إبراهيم لقد هوَّن الله عليك الموت فإذا كان هذا حال الأنبياء فما يصنع بالمخطئين!! كفى بالموت طامة. وإذا بجبريل ﷺ عندهم يسمعهم فقال لهم: يا أرواح الطيبين ما بعد الموت أشد وأطم وأعظم من الموت. وأنشدوا:

وما الناس إلاّ هالكٌ وابنُ هالكٍ ... وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدوٍّ في ثيابِ صديق

[٢٥٤] داود والذرة

ذكر في بضع الأخبار أن داود عليه الصلاة والسلام كان في محرابه فإذا بدودة كالذرة، فقال داود في نفسه: ما يعبأ الله بهذه الدودة فأنطقهاسبحانه وقالت: والله يا داود إني أعبد الله سبحانه وتعالى وأخافه وأسأله أن يهون علي الموت. وأنشدوا:

يحب الفتى طول البقاءِ وإنه ... على ثقةٍ أن البقاء فناءُ
زيادته في الجسم نقصُ حياته ... وليس على نقص الحياة نماءُ
إذا ما طوى يوماً طوى اليوم بعضه ... ويطويه من بعد الصباح مساءُ
جديدان لا يبقى الجميع عليهما ... ولا لهما بعد الجميع بقاءُ

ذكر في بعض الأخبار أن الله سبحانه وتعالى قال لإبراهيم ﷺ لما مات: يا خليلي مت؟ قال: يا إلهي مت! قالها وردها عليه ثلاثاً قال: يا خليلي كيف وجدت طعمَ الموت؟ قال: كسفودٍ محميٍّ جعل في صوف رطب ثم جذب. قال: أما أنت فقد هوَّنا عليك الموت. وأنشدوا:

أرى المرء يبكي للذي مات قبله ... وموت الذي يبكي عليه قريبُ
وما الموت إلاّ في كتابٍ مؤجّلٍ ... إلى ساعة يُدْعَى له فيجيبُ

[٢٥٥] موسى وموعظته

وروي أن موسى صلوات الله وسلامه عليه لما صارت روحه إلى الله سبحانه قال: يا موسى كيف وجدت الموت؟ قال: وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلاة، لا يموت فيستريح، ولا ينجو فيطير. وفي رواية أخرى قال: وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب. وأنشدوا:

الموت لا والداً يبقي ولا ولداً ... هو السبيل إلى أن لا ترى أحداً
مات النبيُّ فلم يخلد لأمته ... لو خَلَّدَ الله حيَّاً قبله خلدا
للموت فينا سهامٌ غيرُ مخطئةٍ ... من فاته اليومَ سهمٌ لم يفته غداً
ما ضر من عرف الدنيا وغدرتها ... ألا ينافسَ فيها أهلها أبداً

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لو علمت الطير والبهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سميناً».

[٢٥٦] نوح وخوفه

وروي عن وهب بن منبه أنه قال: قام نوح عليه السلام خمسمائة عام لا يقرب النساء وجلاً من الموت، وهو المطلع.

وروي أن عيسى صلوات الله وسلامه عليه قال للحواريين: أدعوا الله أن يخفف عني سكرات الموت. وأنشدوا:

قد سقاك الهوى شرابَ الأماني ... فاستطبت المقام تحت التداني
وتصاممت عن نداء الأماني ... لاهياً عن وقائع الحدثان
وإذا عارضتك خطرة ذكر ... بادأتك الطباع بالنسيان

[٢٥٧] سكرات الموت

وفي بعض الأخبار، للموت ثلاثة آلاف سكرة، كل سكرة منها أشد من ألف ضربة بالسيف وفي بعض الأخبار أن الدنيا كلَّها بين يدي ملك الموت كالمائدة بين يدي الرجل يمد يده إلى ما شاء منها فيتناوله ويأكله. بل الدنيا كله مشارقها

---

[٢٥٥] حديث «لو علمت الطير...».

دلائل النبوة، باب ما جاء في كلام الظبية التي فجعت بخشفها (٦/ ٣٤).

ومغاربها برها وبحرها وكل ناحية منها أقرب إلى ملك الموت من الرجل على مائدته وإن معه أعواناً الله أعلم بعدتهم ليس منهم ملك إلاّ لو أذن الله له أن يلتقم السموات السبع والأرضين السبع في لقمة واحدة لفعل، وما تقرب ملك الموت من حملة العرش إلاّ ازدادوا فزعاً منه حتى يرعدوا، وإن غصة من غصص الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، وفي كل ما خلق الله عز وجل البركة إلاّ في الأجل فإنه مؤقت لوفاء العدة وانقضاء المدة. وأنشدوا:

للمنـــايـــا رحـــى عليـــك تـــدور كلُّنـــا جـــاهـــلٌ بهـــا مغـــرورُ
رحـــم الله مـــن بكـــى للخطـــايـــا كـــلُّ بـــاك فـــذنبـــه مغفـــورٌ

يا ابن آدم ما أغفلك وعن الصواب ما أبعدك، كأنك بالموت قد فاجأك وملك الموت قد وافاك، فيئس منك الطبيب، وفارقك الحبيب، وتفجع لفقدك كل قريب. فوقعت في الحسرة، وجفتك العبرة، وبطل منك اللسان، بعد الفصاحة والبيان، وأدرجت في الأكفان وأزعجت عن الأوطان، وصار القبر مأواك، وإلى يوم القيامة مثواك. وفارقك الأهل والإخوان، ووقع بهم عنك السلو والنسيان، فإن كان لك منزل سكنوه، أو كنت ذا مال اقتسموه. وأنشدوا:

يـــا عجبـــاً لـــلأرض مـــا تشبـــعُ وكـــلُّ حـــي فـــوقهـــا يفجـــعُ
ابتلعـــت عـــاداً فـــأفنتهـــم وبعـــد عـــاد أُهلِكَـــت بتُبَّـــعُ
وقـــوم نـــوح أدخلـــت بطنهـــا فظهـــرهـــا مـــن جمعهـــم بلقُـــع
يـــا أيهـــا الـــراضـــي بمـــا قـــد مضـــى هـــل لـــك فيمـــا قـــد مضـــى مطمـــعُ

[٢٥٨] اذكر الموت

يا هذا اذكر ما وصفته، واحفظ ما حكيته، وعليك بالصوم والاجتهاد، والطاعة لرب العباد ومراقبته في الليل النهار، والتضرع إليه في ظلمات الأسحار. يا هذا عمرك أنفاس معدودة، وعليك رقيب يحصيها، لا تنس الموت فإنه لا ينساك. المبادرة المبادرة إنما هي أنفاس لو حبست عنك لانقطع عنك عملك آخر الأبد، وخروج نفسك آخر الأمد وفراق أهلك آخر العدد. وأنشدوا:

إذا مـــا المـــوت جـــر علـــى أنـــاس كـــلا كلَـــه أنـــاخ بـــآخـــرينـــا
فقـــل للشـــامتيـــن بنـــا أفيقـــوا سيلقـــى الشـــامتـــون كمـــا لقينـــا

فاذكرِ حالك أيها الغافل، يوم تقلبك على المغتسل يد الغاسل، قد زال عزك عنك، وسُلِبَ مالُك منك، وأخرجت من بين أحبابك وجهزت لترابك، وأسلمت إلى الدود، وصرت رهناً بين اللحود، وبكى عليك الباكون قليلاً، ثم نسوك دهراً طويلاً، فتغيرت منك المحاسن والمحلى، وتحكم في أعضائك البلى، وقطعت في الأكفان، وسعى إليك الديدان، فبلى منك اللسان، وسالت الحدق كأنك لم تكن قط ممن رأى ولا نطق. وأنشدوا:

فلـــو أنـــا إذا متنـــا تـــركنـــا لكـــان المـــوتُ راحـــةَ كـــلِّ حـــي
ولكنـــا إذا متنـــا بُعثنَـــا ونُســـأل بعـــدهـــا عـــن كـــل شـــيء

ابن آدم كأنك بالموت قد حل بساحتك، وحال بينك وبين ما تريد، وأنت في النزع والكرب الشديد، لا والد يدفع عنك ولا وليد، ولا عدة تنجيك ولا عديد، ولا عشيرة تحميك ولا قصر مشيد. أليس ذلك نازل بك على كل حال، أي وعزة الكبير المتعال، فإنك الآن حين ينفعك البكاء والاستكانة، قبل حلول الحسرة والندامة. وأنشدوا:

يـــا مـــن يمـــوت ويســـألُ عمـــا يقـــول ويفعـــلُ
إن المـــوكـــل بـــالنفـــو س إذا أتـــى لا يمهـــلُ
والنـــار منـــزل مـــن عصـــى والنـــار بئـــس المنـــزلُ

[٢٥٩] موعظة حسنة

يا ابن آدم بادر إلى حسن العمل، بينا أنت في فسحة ومهل، وتب إلى مولاك من قبيح الخطايا والزلل، قبل أن يقال فلان عليل، أو مدنف ثقيل، فهل إلى دوائه سبيل، أو على طبيب من دليل، فتدعى لك الأطباء، ويجمع لك الدواء فلا يزيدك ذلك إلاّ بلاء. وقد اجتمع عندك الإخوان والأحباء، والأهل والأقرباء، وكثر حولك البكاء، ثم يقال حشرج ونفسه توشك أن تخرج، وأنت تعاين الأمر العظيم بعد اللذة والنعيم، وعدلت ببصرك عن القريب والحميم، وحل بك القضاء، وخرجت الروح من الأعضاء، ثم عرج بها إلى السماء، فيا لها من سعادة أو شقاء. وأنشدوا:

فلو يكن شيء سوى الموت والبلى وتفـــريـــق أعضـــاء ولحـــم مبـــددِ

لكنـت حقيقـاً يـا ابـن آدم بـالبكـا على نـائبـات الـدهـر مـع كـل مسعـدِ

فاستعذ من ذنوبك يا مسكين، قبل عرق الجبين، وانتشار العرقين، وقبل مد الشمال وقبض اليمين، وتضعيف قوتك بالأنين، ويكثر حواليك البكا والحنين، وجرت دموعك لمفارقة الأهل والبنين، ولا ينفعك ما جمعت من الأموال في الشهور والسنين، ثم أنت في قبرك لعملك رهين، إلى يوم عرضك على أسرع الحاسبين. قد تغير جسمك في الجنادل والتراب، بعد تنعمك بدقائق الشباب. وأنشدوا:

مـن لـم يطـأ منـا التـراب بـرجلـه وطــىء التـــراب بنضــرة الخـــدِّ
لــو كشفــت للنــاس أغطيــة البلــى لم يعرفــوا المولــى مـــن العبــدِ
من كان بينــك فـــي التـراب وبينــه شبـــران كـــان بمـــوضـــع البعـــدِ

[٢٦٠] أسماء العباد

ذكر في بعض الأخبار أنّ لله سبحانه وتعالى شجرة فرعها تحت العرش مكتوب على كل ورقة من أوراقها اسم عبد من عبيده، فإذا جاء أجل العبد سقطت تلك الورقة التي فيها اسمه في حجر ملك الموت فأخذ روحه في الوقت. وأنشدوا:

إني لعبت وحادي الموت في طلبي وإن في الموت شغل لي عن اللعبِ
لـو شمـرت مهجتي فيمـا خلقـت لَـه ما اشتد حرصي على الدنيا ولا كلبِي
سبحــان ربــي فــلا شــيءٌ يعــادلــه إنَّ الحـريصَ علـى الـدنيـا لفـي تعـبِ
لا تغتـــرر بـــديـــار لا مقــامَ بهـــا واقصـد لـدارك إن الموت في الطلبِ

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من يوم إلاّ وملكان يناديان، يا أهل الدنيا ولدتم للموت، وتبنون للخراب، وأنتم محاسبون ومعذبون عند ربكم». وأنشدوا:

عجبــت لجـــازع بـــاك مصـــاب بـــأهـــل أو حميـــم ذي اكتئـــابِ
شقيـق الجيـب داعـي الـويـل جهـلاً كــأن المـوت كـالشـيء العجـابِ
وســوّى الله فيــه الخلــقَ حتــى نبــي الله فيـــه لـــم يحـــابِـــي
لـــه ملـــك ينـــادي كـــلَّ يـــومٍ لـــدوا للمـــوت وابنـــوا للخـــرابِ
لمـــن نبنـــي ونحـــن إلـــى تـــرابٍ نعـــود كمـــا خلقنـــا مـــن تـــرابِ

ألا يا موت لم أر منك بُداً أتيت فلا تحيف ولا تحابِي
كأنك قد هجمت على مشيبي كما هجم المشيبُ على الشَبابِ

قيل مر رجل على خراب فسمع إنساناً ينشد هذه الأبيات:

قل للذين بنوا دياراً عالية وتنافسوا والموت منهم دانية
شيدتموها راغبين وأنتم تردوا القبور وتتركوها خالية
أين الملوك وأين ما قد جمعوا وجيوشهم وعبيدهم وزبانية
تحت التراب تقطعت أوصالهم وأكفهم بعد الأعنة بالية

ثم قرأ ﴿قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون﴾ [ص: ٦٨].

[٢٦١] نوح وزهده

ذكر في بعض الأخبار أن جبريل عليه السلام هبط على نوح عليه السلام، قال: فوجده قد عمل خصاً على البحر، فقال: أيش هذا يا نوح؟ فقال: يا جبريل هذا لمن يموت كثير، فقال له جبريل عليه السلام: لتأتين أمةٌ أعمارهم من الستين إلى السبعين يبنون بالحصى والآجر والحجر، فقال نوح عليه السلام: ما كان على هؤلاء إنهم يستفون الرماد حتى يموتوا. وأنشدوا:

لو كنت تعقل يا مغرورُ ما برقت عيناك للناس من خوف ومن حذر
ما بال قوم سهامُ الموتِ تخطفهم يفاخرون برفع الطين والمدر

[٢٦٢] عيسى والجمجمة

روي أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فقذفها برجله وقال: تكلمي بإذن الله تعالى. قالت: يا روح الله أنا مالك زمام كذا وكذا، بينا أنا جالس في ملكي وعلى رأسي تاجي وحولي جنودي وحشمي، إذ بدا لي ملك الموت فأزال مني كل عضو على حياله، ثم خرجت نفسي فيا ليت ما كان من ذلك الجمع كان فرقة، وما كان من ذلك الأنس كان وحشة. فما ظنك يا عاصي بصفحة ملك الموت إذا بدت وعاينتها عند كشف الغطاء فتنظر إليها بطرف كليل وقلب وجل، ثم تسل الروح للخروج فلا تخرج حتى تسمع نغمة ملك الموت بإحدى البشارتين: ابشر يا عدو الله بالنار، أو ابشر يا وليَّ الله بالجنة. وأنشدوا:

يخيل لي بكاء القوم حولي — وقولهم ألا أزف الرحيلُ
وما يغني البكاء إذا تقضى — لدى عمري وإن كثر العويلُ
فخذ للموت أهبته فأما — نجاة بعد أو هول طويلُ

[٢٦٣] عمرو بن العاص عند موته

روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال لإبنه عند الموت: ليتني ألقي رجلاً عاقلاً عند نزول الموت يخبرني بما يجد، فقال له ابنه: قد نزل بك الموت فصف لي الذي تجد؟ فقال لي: يا بني كأن جنبي في تحت وكأن غصن شوك يخرج من قدمي إلى هامتي وكأني أتنفس من سم إبرة. ثم مد يده وقال: اللهم لا قوي فأنتصر، ولا بريء فأعتذر، اللهم إني مقر مذنب مستغفر. ثم مات رضي الله عنه. وأنشدوا:

للموت فاعمل بجد أيها الرجلُ — واعلم بأنك من دنياك مرتحلُ
إلى متى أنت في لهوٍ وفي لعبٍ — تمسي وتصبح في اللذات مشتغلُ
كأنني بك يا ذا الشيب في كرب — بين الأحبة قد أوْدَى بك الأجلُ
لما رأوك صريعاً بينهم جزعوا — وودَّعوك وقالوا قد مضى الرجلُ
فاعمل لنفسك يا مسكينُ في مهل — ما دام ينفعك التذكارُ والعملُ
إن التقيَّ جنانُ الخلدِ مسكنه — ينال حوراً عليها التاجُ والحُللُ
والمجرمين بنارٍ لا خمودَ لها — في كلِّ وقتٍ من الأوقاتِ تشتعلُ

[٢٦٤] سليمان وملك الموت

روي أن ملك الموت كان صديقاً لسليمان عليه السلام وكان يزوره أبداً، فدخل عليه يوماً وعنده رجل يكلمه سليمان، فجعل ملك الموت ينظر إلى الرجل الذي مع سليمان نظراً منكراً فقال الرجل لسليمان بعد خروج ملك الموت: يا نبيَّ الله من هذا الداخل عليك آنفاً؟ فقال: ملك الموت، فقال له: لقد رأيته يحد النظر إلي، ولكن لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: تأمر الريح أن تحملني إلى الهند. فأمر سليمان الريح فحملته إلى الهند، ثم قال سليمان بعد أيام لملك الموت: وجدت عندي منذ أيام رجلاً فنظرت إليه نظراً منكراً؟ فقال ملك الموت: كنت

أعجب منه، أمرت بقبض روحه في ذلك اليوم بجزائر الهند وهو عندك بالشام. فقبض روحه في ذلك اليوم بالهند. وأنشدوا:

الموت بحرٌ يهاب المرء مورده وكل يوم له من كأسه جرعُ
لا صحة المرء في الدنيا تؤخره ولا يقدم يوماً موته الوجعُ
وكلُّ يوم علينا في فجائعه طيرٌ يحوم فلا ندري بمن يقعُ

[٢٦٥] سعيد بن المسيب والجني

روي أن سعيد بن المسيب دخل يوماً مسجد رسول الله ﷺ فجعل يلتفت في أركان المسجد يتفكر فيمن أدرك من أصحاب النبي ﷺ ثم بكى وجعل يقول:

ألا ذهب الحماةُ وأسلموني فوا أسفاً على فقد الحماةِ
تولُّوا للقبور فأسقموني فوا أسفا على فقدِ الثقاةِ

فأجابه هاتفٌ من ركن المسجد بصوت محزون، من كبد مشجون، وهو يقول:

فدع عنك الثقاةَ فقد تولوْا ونفسك فابكها حين المماتِ
فكلُّ جماعةٍ لا بُدَّ يوماً يفرق بينهم وقع الشتاتِ

فقال سعيد: من أنت فقد زدتني حزناً؟ فقال: أنا من مؤمني الجن، كنا في هذا المسجد سبعين رجلاً فأتى الموت على جماعتنا كما أتى على جماعتك، ولم يبق منهم غيري كما لم يبق من الإنس غيرك، وإنا بهم لاحقون، فإنا لله وإنا اليه راجعون. وأنشدوا:

جرت الرياحُ على جميع ديارهم فكأنما كانوا على ميعادِ
فأرى النعيمَ وكلَّ ما يلهى به يوماً يصيرُ إلى بلى ونفادِ

[٢٦٦] صلحاء الجن

وذكر عن بعض العباد أنه كان يصلي فقرأ هذه الآية ﴿كلُّ نفس ذائقةُ الموت﴾ [آل عمران:١٨٥، الأنبياء:٣٥، العنكبوت:٥٧]. وجعل يتدبرها ويرددها، فسمع قائلاً يقول: يا هذا كم تردد هذهِ الآية؟ فوالله لقد قتلت بها أربعة من الجن ما رفعوا رؤوسهم إلى السماء قط حياءً من الله تعالى، ولقد ماتوا من ترديدك هذه الآية. وأنشدوا:

ليس ينجو المقصوص من ملك المو ت إذا جـــاءه ولا الطيـــارُ
للمنـــايـــا وإنمـــا للمنـــايـــا خلـــق الطفـــل والشيـــوخ الكبـــارُ
كـــم رأينـــا مـــن ســـادةٍ وملـــوكٍ مـــا علـــى الأرض منهـــم ديَّـــارُ

[٢٦٧] العبد وربه

حكي عن بعض العارفين أنه قال: إنّ الله سبحانه يسر إلى عبده سرَّين يخبره ذلك بإلهام يلهمه، أحدهما إذا ولد وخرج من ظلمة بطن أمه، يقول له: عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهراً نقياً نظيفاً، وسر عند خروج روحه، يقول له: عبدي ما صنعت في أمانتي عندك؟ هل حفظتها حتى تلقاني على الوفاء والعهد والرعاية فألقاك بالوفاء والجزاء، أو ضيعتها فألقاك بالمطالبة والعذاب؟ وأنشدوا:

يـــا مـــن تقـــدَّم جـــدُّه وأبـــوه وصـــديقـــه سكـــن الثـــرى وأخـــوهُ
وغـــدا إلـــى دارِ البلـــى أتـــرابُـــه ومضـــى إلـــى حفـــرِ القبـــورِ بَنُـــوهُ
ورأى مصـــارع إخـــوةٍ وقـــرابـــةٍ بيـــن الثـــرى فـــي بـــرزخٍ سكنـــوهُ
ألاَّ أتيـــتَ قبـــورَهُـــم فســـألتهـــا عنهـــم وعـــن مـــا فـــي القبـــور لقـــوهُ
فلتخبـــرنـــك أن أحكـــام البلـــى تجـــري عليهـــم همـــوا وطنـــوه
وليخبـــرنـــك أنهـــم وجـــدوا الـــذي عملـــوه مكتـــوبـــاً كمـــا عملـــوهْ
مـــا زادت الحفظـــاء فـــي أعمـــالهـــم مثقـــال خـــردلـــة ولا نقصـــوهْ
يـــا معشـــرَ الإخـــوان إنَّ سبيلَكـــم كسبيلهـــم فـــي كـــلِّ مـــا سلكـــوهْ
ولكـــم نصيـــبٌ فـــي البلـــى كنصيبهـــم وكـــأنَّـــه قـــد حـــلَّ فـــانتظـــروهْ
ومحجـــب قـــد غـــرهـــم بحجـــابـــه لمـــا أتـــاهُ المـــوتُ مـــا حجبـــوهْ
لكنَّهـــم سجُّـــوه فـــوق ســـريـــرِهِ وتكفَّلـــوه بـــأربـــع حملُـــوهْ
ســـاروا بـــه حتـــى إلـــى دار البلـــى بيـــتٌ لـــه تحـــت الثـــرى قبـــرهْ
حتـــى إذا مـــا غيَّبتـــه أكُفُّهـــم بيـــن الجنـــادل فـــي الثـــرى تـــركـــوهْ
وتفـــرَّقـــوا علـــى بـــابـــه وتبـــدَّلـــوا بـــابـــاً ســـواه وغيَّـــروا ونســـوهْ

[٢٦٨] عمر بن الخطاب وعظته

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أكثروا من ذكر هازم اللذات فإنكم لا تذكرونه في قليل إلاّ كفى وأجزى، ولا في كثير إلاّ قلله.

فالله الله عباد الله اجتهدوا واستعدوا للموت، وبادروا آجالكم قبل الفوت، تفوزوا بالجنان في دار الرحمن. وأنشدوا:

لملك الموت في الدنيا ديونُ ... تحل فليس يمطلها المطولُ
وكلُّ العالمين بها مليٌّ ... فليس له على أحد جميلُ
سواءً إذ يحلُّ على غريمٍ ... عليه ذوو التعزز والذليلُ

فالله الله معاشر المسرفين لا تغتروا بالعز والمال، فإن الموت لا يهاب الكبير الجليل، ولا يرحم الحقير الذليل، فكونوا منه على حذر وأعدوا له صالح الأعمال، من قبل أن يأتي يوم لا حيلةٌ فيه لمحتال. يا إخواني إلى كم هذه الغفلة؟ إلى كم هذا التمادي في البطالة والاغترار بالمهلة؟ وأنشدوا:

يا أيها الناس كان لي أمل ... قصَّر عن بلوغه الأجلُ
ما أنا وحدي نقلت حيث تروا ... كلٌّ إلى مثله ينتقلُ
فليتق الله ربَّهُ رجلٌ ... أمكنه في حياته العملُ

[٢٦٩] حث النبي أصحابه على ذكر الموت

روي أن النبي ﷺ كان في بيت بعض نسائه إذ سمع صوتاً في مجلس من مجالس أصحابه وقد استعلى على حديثهم الضحك، فخرج عليهم صلوات الله وسلامه عليه حتى قام على رؤوسهم فقال: «أرى الضحك قد غلب على مجلسكم هذا، أفلا تذكرون مُكدِّرَ اللذات في أثناء حديثكم؟» قالوا: وما مُكدِّر اللذات يا نبي الله؟ قال: «ذكر الموت» فبكى أصحاب رسول الله ﷺ بأجمعهم.

فإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ مصابيح الإسلام، وقادة الأنام، السادة الكرام، رجع ضحكهم بكاء من هول يوم الحمام وقد أفنوا أعمارهم في طاعة ذي الجلال والإكرام، وقطَّعوا أيامهم في العمل بالسنة والأحكام، فكيف بمن تمادى في المعاصي والإجرام والطغيان والآثام، وأكلوا الربا والحرام، وأموال الضعفاء والأيتام؟ وأنشدوا:

الموت في كل حين ينشر الكفنَا ... ونحن في غفلة عما يراد بنَا
لا تطمئن إلى الدنيا وزهرتها ... وإن توشحت من أثوابها المحنَا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا ... أين الذين همو كانوا لنا سكنَا

سقاهم الدهر كأساً غير صافية   فصيرتهم لأطباق الثرى رهنَا

فالله الله معاشر المذنبين لا تشغلوا عمن يطلبكم، ولا تنسوا من لا ينساكم، وقد خلقكم الله تعالى وخلق آجالكم من قبل أن تأتي ساعة السكرات، والندم على ما فات، فهيهات هيهات ثم هيهات هيهات. وأنشدوا:

إسمع فقد أسمعك الصوتُ   إن (لم) تبادر فهو الفوتُ
بل كان ما شئت وعش سالماً   آخر هذا كله الموتُ

يا أخي إذا جاءك الموت لا ينفعك ما جمعته، ولا ينجيك ما اكتسبته، فامهد لنفسك قبل مفارقة الأحباب، والجيران والأصحاب، والخروج من الديار إلى منازل الدود والتراب وبيوت الوحشة والعذاب، إلاّ أن يعفو الملك الوهاب، فتفكروا يا أولي الألباب، يا معشر الشيب والشباب. وأنشدوا:

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلاً   وأعقبه يومٌ عليك شهيدُ
فإن تكُ بالأمس اجترحت إساءة   فبادر بإحسان وأنت حميدُ
ولا تبقِ فعل الصالحاتِ إلى غدِ   لعلَّ غداً يأتي وأنت فقيدُ
إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت   حميمك فاعلم أنها ستعودُ

[٢٧٠] ذكر الموت والعمل

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أكثر رجل ذكر الموت إلاّ زاد ذلك في عمله» فيا إخواني أكثروا ذكره لعل الله أن يهونه عليكم، ويرحمكم عند نزوله بكم. واجعلوا الموت عند منامكم (مهاداً) وعند قيامكم سهاداً. واستعدوا بكثير الحسنات، واجتناب الأوزار والسيئات. فرحم الله امرأً رحم نفسه، ونظر إليها وذكر رمسه. وأنشدوا:

نغص الموت ويحكم كل طيب   ودهاني بفقد كل حبيبِ
كم وكم قد رأيت من حدث السن   عزيز كغصن بان رطيب
حسَّ بالموت فانثنى بانكسار   واضعاً خده بذل عجيبِ
قائلاً إخوتي سلامٌ عليكم   إذ دنت شمسُ مدَّتي بالمغيبِ

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أكثر رجل ذكر الموت إلا ترك الفرح

والحسد والرغبة» يا أخي لو كان عندنا علم أنه لا يموت منّا إلّا رجل واحد لا يعلم من هو فينا، لكان الواجب علينا أن لا ترقأ لنا دمعة خوفاً من الموت، فكيف ونحن على يقين أنه لا يبقى منا أحد. وأنشدوا:

يلقى الفتى حذر المنية كارهاً ... منها وقد حدقت به لو يشعر
نصبت حبائلها له من حوله ... فإذا أتاه يومه لا ينذر
إن امرأ أمسى أبوه وأمه ... تحت التراب لواجب يتفكر
تعطي صحيفتك التي أمليتها ... فترى الذي فيها إذا ما تنشر
حسناتها محشوة قد أحصيت ... والسيئات فأي ذلك أكثر

فابكوا معاشر المذنبين على ساعة لا بد منها، أما ترون الموت قد أفنى الأمم الماضية، وقتل القرون الخالية، وهدم القصور العالية، عطل عشارهم، وخرب ديارهم، وهدم منازلهم، وقطع آثارهم، وقطف أعمارهم، ولم ينفعهم ما جمعوا، ولم يحصنهم ما بنوا وصنعوا قد صاروا في القبور رميماً، ولقوا من الموت والأهوال أمراً عظيماً، فهذا دليل على أن الموت لا يترك أحداً من المخلوقين، حتى يتوفاهم وينقلهم إلى التراب أجمعين.

[٢٧١] حكاية في الزهد

روي عن عمرو بن مرة أنه قال: ذكر عند رسول الله ﷺ رجل فأثنوا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «كيف زهده في الدنيا وتركه لما يشتهي منها؟» قالوا: إنه ليصيب منها. قال: «فكيف ذكره للموت» قالوا: ما سمعناه يكثر ذكره. قال: «ليس صاحبكم هناك» فمن لم يكثر ذكر الموت، ولا يترك الرغبة في حطام الدنيا؛ فلا خير فيه والله أعلم. وأنشدوا:

إنما الدنيا بلاغٌ ... ليس في الدنيا ثبوتْ
إنما الدنيا كبيت ... نسجته العنكبوتْ
ليس للطالب فيها ... كلَّ يومٍ غير قوتْ
كلُّ من كان عليها ... عن قليلٍ سيموتْ

فالله الله بادروا العمر اليسير، والأجل القصير، قبل نزول ملك الموت بالهول العظيم الكبير فالموت يقصم الأصلاب، ويذب الرقاب، ويرد كل مخلوق إلى

التراب، ويقرب المؤمن الطائع إلى الجنة المآب، ويسوق الفاجر العاصي إلى أليم العذاب، فتفكروا في الموت يا أهل الفناء والذهاب. وأنشدوا:

هل للفتى من عثار الدهر من واقِ ... أم هل له من حمام الموت من راقِ
قد رجَّلوني وما بالشعر من شعثٍ ... ولبَّسوني ثياباً غير أخلاقِ
وكفَّنوني وقالوا أيَّما رجلٌ ... وأدرجوني كأني طيُّ مخراقِ
هوِّن عليك ولا تولع بإشفاق ... فإنما مالنا للوارثِ الباقي

[٢٧٢] عظة ابن مسعود

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ليس بغافلٍ ولا ذاكر للموت من عدّ غداً من أجله، فربَّ مستقبل يوماً لا يستكمله، ومؤمل غداً لا يبلغه، لو أبصرتم الأجل ومروره لأبغضتم الأمل وغروره. فيا عجباً للفروع ذهبت أصولها، وللنجوم قد آن أفولها.

[٢٧٣] الداء والدواء

روي أن رجلاً جاء إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقال: يا أم المؤمنين إن بي داءً فهل عندك دواء؟ قالت: وما داؤك؟ قال: القسوة، قالت: بئس الداء داؤك، عد المرضى وأشهد الجنائز وتوقع الموت. فالله يا اعراض المنية، ويا أبواب الرزيَّة، لا تنسوا الموت الذي كتبه الله على العباد، المخرب الأقطار والبلاد، وكونوا منه على حذر واستعداد، يا أبدان الأسقام، ويا أعراض الحمام. أنشدوا:

من كان يعلم أنَّ الموتَ مدرجه ... والقبرَ منزله والبعثَ مخرجُه
وأنه بين حيات ستنهشه ... يومَ القيامة أو نار تَنَضَّجهُ
فكلُّ شيء سوى التقوى به سمجٌ ... وما أقام عليه من أسمجهُ
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطناً ... لم يدر أن المنايا سوفَ تزعجهُ

[٢٧٤] عظة عمر بن عبدالعزيز

روي عن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أنه كان يقول: أيها الناس ما الجزع مما لا بد منه، وما الطمع فيما لا يرجى، وما الحيلة فيما لا يزول، وإنما

الشيء من أصله، وقدْ مضت من قبلنا أصول نحن فروعها، فما بقاء الفروع بعد الأصل، فكل ما هو آت قريب. أيها الناس إنما أنتم في الدنيا أغراض تتنصل فيكم المنايا ونهب للمصائب، ومعدن للنوائب، مع كل أكلة غصص، ومع كل شربة شرق، ألا تنالون نعمة إلّا بفراق أخرى، ولا يعمر فيكم معمر لا بهدم آخر من أجله، وأنتم أعوان الحتوف على أنفسكم، فأين المهرب مما هو كائن فالله يا إخواني لا تركنوا إلى طول الأمل، ولا تنسوا اقتراب الأجل، فالموت لا بد منه. وأنشدوا:

آه علـى سفـرة بغيـر إيـاب ... آه مـن حسـرة علـى الأحبـابِ

آه مـن سكـرةٍ بغيـر سـرابِ ... آه مـن ركبـة بغيـر ركـابِ

آه مـن مضجعـي وحيـداً فـريـداً ... بيـن فـرش مـن الحصـى والتـراب

يا إخواني هل رأيتم أحداً خلد في الدنيا حتى تكونوا مخلدين، أم أنتم من الرحيل إلى الآخرة على شك فتكونوا بالقرآن كافرين، فوالله لو كان الأمر كذلك لخلد خاتم النبيين، لقد رانت على قلوبكم سترة الغافلين، واستحوذ على نفوسكم كيد الشيطان اللعين، حتى نسيتم الموت المفرق لجمع الجامعين. وأنشدوا:

ليـس دوام البقـاء للخلـق لكـ ... ـن دوام البقـاء للخـلّاقِ

غلـب المـوتُ حيلـةَ كـلُّ محتـا ... لِ واعـي بـدائِـه كـلُّ راقِ

عطفـت شـدةُ الـزمـان فـأدتـ ... ـه إلـى فـاقـة وضيـق خنـاقِ

لا يغـرنـك الغـرور مـن الـدنيـ ... ـا فمنهـا شـدائـدٌ بسيـاقِ

[٢٧٥] القرآن والموت واعظان

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تركت فيكم واعظين ناطقاً وصامتاً، فالناطق القرآن والصامت الموت» مساكين فلا بالقرآن عملتم، ولا في الموت تفكرتم، تمسون وتصبحون وقلوبكم معلقة بعلائق الدنيا ما عندكم من الموت خبر، ولا أنتم منه على حذر قلوبكم خالية من خوف الرحمن، عامرة بخدوع الشيطان، كأنكم قد أمنتم الموت وطوارق الحدثان. وأنشدوا:

ركبت جموح الغي في سبل الصبا ... لـم تـدر أن النـائبـاتِ تنـوبُ

وجـررت أذيـال البطـالـة لاهيـاً — كـأنـك لـم يكتـب عليـك ذنـوبُ
أمليـت كُتَّـابَ الشمـالِ صحـائفـاً — بكثـرة مـا تـأتـي ولسـتَ تتـوبُ
ومهمـا يغـب عنـك الحمـامُ لمـدةٍ — ستبلغهـا حتمـاً وأنـت كئيـبُ
فقـل لـي إذا وافـى علـى غيـر أهبـة — بـأي جـوابٍ إنْ دُعيـتَ تجيـبُ

فالله الله عباد الله عظوا أنفسكم بآبائكم وأحبابكم، وجيرانكم وإخوانكم، فإن في ذلك بلاغاً لم تذكر، وعبرة لمن تفكر، إخوانكم كانوا بالأمس معكم يأكلون ما تأكلون، ويلبسون مما تلبسون، فأصبحوا اليوم وقد صارت القبور لهم بيوتاً، وصاروا بين أطباق الثرى خفوتاً قد قسم الوارثُ أموالهم، ونكح العدو والصديق عيالهم، وأهان العدوُّ أطفالهم. قد هتكت منهم الأستار، واستوحشت منهم الديار، وتحدثت عنهم الأخبار. وأنشدوا:

رأيـت المـوت لا يبقـي خليـلاً — علـى خـل وإن عـاشـا زمـانَـا
فكـن منـه علـى حـذرٍ فـإنـي — رأيـت المـوتَ لا يُعطـي أمـانَـا
أنسنـا غـرةً منـه كـأنـا — بمـا نعني بـه يعني سـوانَـا
وكـم للمـوت مـن دارٍ ودارٍ — أبـان عميـرهـا عنهـا فبـانَـا
فكـم ذي نخـوة وعـزيـزِ قـومٍ — أذلَّ المـوتُ عـزَّتـه فهـانَـا
كـأنـا قـد نظـرنـا عـن قـريـبٍ — إلـى مـا قـد وعـدنـاه عيـانَـا

[٢٧٦] شدة الموت

روي عن رسول الله ﷺ أنه ذكر الموت وغمه وكربه فقال: «هو أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف» فيا معشر الموقنين بنزوله ما هذه الفترة، وما هذه السكرة؟ من ذكر الموت قلّ فرحه وحسده ورغبته.

روي عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا رأى فترة أو غفلة من الناس وقف بباب المسجد فأخذ بأعضاد الباب ثم صاح بأعلا صوته: «يا أيها الناس الموت الموت جاءكم الموت بالوحية سعادة أو شقوة، جاءكم الموت بما جاء به بالروح والراحة والكرامة الرابحة، في جنة عالية، لأولياء الله من أهل دار الخلود الذين سعيهم لها ورغبتهم فيها، ألا إن لكل ساعٍ غايةٍ وغايةُ كلِّ ساعٍ الموتُ، جاءكم الموت بما جاء به بالخزى والندامة، والمكرمة الخاسرة في نار حامية لأولياء الشيطان من أهل

دار الغرور الذين سعيهم لها ورغبتهم فيها، ألا إن لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت، فسابق ومسبوق.

فالله الله يا إخواني كونوا من السابقين ولا تكونوا من الخاسرين، وكونوا من الموت على تحقيق ويقين. وأنشدوا:

أراكَ بما ترضى به النفسُ والهوى ... ويغضب منه الله صبرت تدين
وقلبك لا يزداد إلاّ قساوة ... فداركه بالذكرى عساهُ يلينُ
فإن كنت في شك من الموت فاعتبر ... بمن قد مضى يزدادُ منك يقينُ
كأني بك استغرقت في غمراتهِ ... وجاءك من بعد الحراكِ سُكونُ
وقدحشرجت في الصدر منك وأسلبت ... بأدمعِها تجري عليك عُيونُ
فقل لي إذا وُسِّدَت ويحك في البلى ... وهيل عليك التَرَبُ كيف تكونُ؟!

[٢٧٧] تمني الموت

عباد الله تذاكروا أعماركم قبل الفوت، وتأهبوا لأهوال غصص الموت.

روي عن النبيﷺ أنه قال: «لا تتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد، وإن من سعادة المرء أن يرزقه الله تعالى الإنابة إليه ويطيل عمره» فإنا لله وإنا إليه راجعون على من طال عمره وساء عمله ولا تنفعه الموعظة، فمن كان منا كذلك فقد عظمت خسارته، وما ربحت تجارته. وأنشدوا:

نودي بصوت أيما صوت ... ما أقرب الحيَّ من الموتِ
كأن أهلَ الحي في غيِّهم ... قد أخذوا أمنا مِن الموتِ
كم من صحيح عامرٍ بيتهُ ... لم يمس إلاّ خاربَ البيتِ
كم وكم حي بكى ميتاً ... فأصبح الحيُّ مع الميِّتِ

[٢٧٨] دعاء مجرب

اللهم يا أكرم الأكرمين، تفضل علينا وعلى جميع المذنبين، بتوبة تنقلنا من ذل المعصية إلى عز الطاعة، وثبتنا عليها حتى تخرجنا من الدنيا بلا ذل ولا تباعة، على منهاج أهل السنة والجماعة الذين أوجبت لهم الرحمة والشفاعة، اللهم إن الطاعة بقدرك والمعاصي، وفي قبضتك القلوب والنواصي، فطهر قلوبنا بماء

التوبة، واغسلها من دنس الحوبة ومتعنا بالسلامة في ديننا ودنيانا ما أبقيتنا، ولا تردنا على أعقابنا بعد إذ هديتنا، وصلى الله على محمد خاتم النبيين، وخير المرسلين، واحشرنا تحت لوائه أجمعين، على منهاجه وسنته غير مبدلين ولا مغيرين موفقين معصومين غير مغضوب علينا ولا ضالين، يا أرحم الراحمين، ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ [يونس: ١٠] ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم. والله اعلم.

١١

مجلس في موت الأنبياء والأولياء الصالحين

[٢٧٩] وهو قوله تعالى: ﴿كلّ نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران: ١٨٥] معاشر الموتى وأبناء الموتى أنتم موتى بلا محالة وإنما سبقكم إخوانكم إلى مناخ القبور، فإذا استكمل ولد آدم من أولهم وآخرهم قام الكل للعرض والنشور، على الملك الغفور، فاستعدوا لذلك المقام، واجتنبوا الأوزار والآثام وبادروا بالتوبة قبل نزول الحمام.

[٢٨٠] صفة الموت

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الموت غصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل أخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب، فأخذ ما أخذ، وأبقى ما أبقى». وأنشدوا:

يا من سينأى مسرعاً ... كما نأى عنه أبوه
مثل بقلبك قولهم ... جاء اليقين فلقنوه
وتحلّلوا من ظلمه ... قبل الفراق وودّعوه

فالله الله عباد الله لا تضيعوا أعماركم في الباطلات، ولا تفنوا أيامكم في الجهالات، واذكروا الموت مفرق الأحباب، وقاطع الأنساب، ومذب الرقاب، وقاصم الجبابرة والأرباب، مهلك الآباء والأمهات، وقاتل الأخوة والأخوات، ومبيد الجيران والقرابات الموت يقطع أموالكم، ويغيِّر أحوالكم، ويرمل نساءكم وييتم أطفالكم فلا يبقى منكم خليلاً ولا حبيباً، ولا جاهلاً ولا أديباً. وأنشدوا:

الموت أفنى من مضى ... والموت يفني من بقى
والموت يجمع في الثرى ... بين المنعم والشقي

يا مسكين أنفقت مالك في بنيان الدور، وتشييد القصور، ونسيت الموت والتحول إلى ظلمة القبور، ثاوياً، فيها إلى يوم النشور وأنشدوا:

ألا للخراب بنى العامرونا ... وللموت ما ولد الوالدونَا
وعما قليل يرى الآخرو ... ن عجائب ما قد رأى الأولونَا
ويشقى أناسٌ بما جمعوا ... ويسعد بالقلة الزاهدونَا
ولا يرحمون إذا ما بكوا ... ولا يرتجي الرحمة الظالمونَا
ويسأل قوم هناك الرجو ... ع فلا يرجعون ولا يكرمونَا

اعلم يا مسكين أن المنية خير من الحياة الدنية، يا ابن آدم الرقاد والله تحت التراب، خير لمعصيتك لرب الأرباب.

[٢٨١] عظة الموت

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كفى بالموت واعظاً، وكفى بالعبادة شغلاً، وكفى باليقين غناء» واعلموا عباد الله أنه لا أمة بعد أمتكم، ولا نبي بعد نبيكم، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق آخركم، ثم يجمعون في عرصة القيامة، لوقوع الحسرة والندامة، عند ذلك لا ينفعكم مال ولا بنون، ويحال بينكم وبين ما تشتهون، ويحيق بكم ما كنتم به تستهزؤون. وأنشدوا:

كل حي وإن بقى ... فمن الموت يستقِي
فاعمل اليوم واجتهد ... بادر اليوم يا شقِي

[٢٨٢] أبو العتاهية الشاعر

ذكر عن أبي العتاهية رحمه الله أنه دخل يوماً على الرشيد فقال له الرشيد: أنشدني، فقال: اجعل لي الأمان، قال: أنت آمن فأنشأ وأنشد:

لا تأمن الموت في طرفٍ ولا نفس ... وإن تسترت بالحُجّاب والحرسِ
واعلم بأن سهامَ الموتِ قاصدَةٌ ... لكلِّ مدرَّع منا ومتَّرسِ
ما بال دينك ترضى أن تدنسه ... وثوبك الدهر مغسولٌ من الدنسِ

---

[٢٨١] حديث: «كفى بالموت واعظاً...».

شعب الإيمان للبيهقي، باب في الزهد وقصر الأمل (١٠٥٥٦) من طريق ابن ياسر.

تـرجـو النجـاة ولـم تسلـك مسـالكهـا　　إنَّ السفينـةَ لا تجـري علـى اليبـسِ

فاعلموا يا معشر بني آدم أن الموت لا يترك منكم أحداً، ولا يرحم والداً ولا ولداً، فاجعلوه بين أعينكم منصوباً، فإنه لا يترك الفرح كئيباً مكروباً، فيقيننا يقين من يموت، وأعمالنا أعمال من لا يموت، كأن يقيننا بالموت مشوباً بالشك، وكأن إيماننا بالبعث ممزوجاً بالإفك، ما هذه حال من أيقن بالحمام، يعصي مولاه في الليالي والأيام. وأنشدوا:

نحـن مـن العمـر فـي ظنـونِ　　وفـي يقيـن مـن المنـون
ثمـت لا نـذكـر المنـايـا　　أليـس ذا غـايـة الجنـون

[٢٨٣] مثل الدنيا والموت

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال: رأيت في المنام رجلاً وهو في برية وأمامه غزالة وهو يجري خلفها وهي تفر منه، وأسد كأعظم ما يكون خلقة وقد هم أن يلحقه، والرجل يرد رأسه وينظر إلى الأسد فلا يجزع منه، ثم يجري خلف الغزالة حتى لحق به الأسد فقتله. فوقفت الغزالة، تنظر إليه وهو مقتول، إذ جاء رجل آخر قد فعل ما فعله المقتول فقتله الأسد ولم يدرك الغزالة، فخرج آخر ففعل كذلك، قال: فما زلت أعد واحداً بعد واحد حتى عددت مائة رجل صرعى والغزالة واقفة، فقلت: إن هذا لعجب! فقال الأسد: مم تعجب؟ أو ما تدري من أنا ومن هذه الغزالة؟ فقلت: لا، فقال: أنا ملك الموت وهذه الغزالة الدنيا، وهؤلاء أهلها يجدون في طلبها وأنا أقتلهم واحداً بعد واحد حتى آتي على آخرهن. فاستيقظت فزعاً مرعوباً وأنشدوا:

حتـى متـى وإلـى متـى نتـوانـى　　وأظـن هـذا كلـه نسيـانـا
والمـوت يطلبنـا حثيثـاً مسـرعـاً　　إن لـم يـزرنـا بكـرة مسـانـا
إنـا لنـوعـظ بكـرةً وعشيـةً　　وكـأنمـا يعنـي بـذاك سـوانـا
غلب اليقينُ على التشكك في الردى　　حتـى كـأنـي قـد أراهُ عيـانـا
يـا مـن يصيـر غـداً إلـى دار البلـى　　ويفـارق الإخـوان والخـلاَّنـا
إن الأمـاكـن فـي المعـادِ عـزيـزةٌ　　فـاختـر لنفسـك إن عقلـتَ مكـانـا
وانظـر لنفسـك إن أردت تعـزُّهـا　　قبـل الممـات ولا تكـن مهـوانـا

واعلموا عباد الله أن ما من جماعة وإن كثرت إلاّ والموت يقللها حتى يفنيها عن آخرها وإنما أعمارها عوارٍ والعارية لا تبقى، يرجع الكلُّ إلى الله تعالى يفصل بينهم بالحق وهو خير الفاصلين، فشقي وسعيد، ومنعم ومعذب. وأنشدوا:

وما أهل الحياة لنا بأهلٍ ... ولا دارُ الفناءِ لنا بدارِ
وما أموالنا إلاّ عوار ... سيأخذها المعيرُ من المعارِ

[٢٨٤] ملاقاة الأرواح

روي عن النبي ﷺ أنه قال: إذا عرج بروح المؤمن تلقته أرواح المؤمنين بالرحمة والبشرى كما يتلقى الغائب في الدنيا، ثم يقبلون عليه فيسألونه فيقولون: ما فعل فلان وما حاله؟ فيقول: بخير تركته والله على طريقة حسنة. فيقولون: يا ربنا أنت هديته لذلك فثبته عليه حتى تقبضه، وإن سألوه عن إنسان قد مات فيقول: قد هلك فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، عمل والله بغير عملنا فسلك به غير طريقنا، ذهب والله به إلى أمه الهاوية بئست الأم وبئست المربية.

[٢٨٥] أعمال الأحياء والأموات

قال رسول الله ﷺ: «تعرض على الموتى أعمالكم فإن رأوا خيراً استبشروا به وقالوا: اللهم هذه نعمتك فأتممها على عبدك، وإن رأوا سيئة اغتموا لها وقالوا: اللهم راجع بعبدك» قال رسول الله ﷺ: «فلا تحزنوا أمواتكم بأعمالكم السيئة فإن أعمالكم تعرض عليهم» فالله الله عباد الله اجتهدوا في اكتساب الحسنات، واجتنبوا في ليلكم ونهاركم السيئات، فإن ذلك محزن الأهل والأقربين من الأموات. واعملوا في صحتكم قبل السقم، وقدموا في شبابكم قبل الهرم، فإن الموت إذا جاء لا يرجع، وسهامه إذا فوقها لا تدفع، وكأسه إذا أدارها لا تنزع، حياضه موروده، وساعاته معدودة، وأهواله مشهودة والحيلة عند نزوله مفقودة غير موجودة. وأنشدوا:

الموت حتمٌ حوضُهُ موردُ ... والموت يفني جمعنا ويبيدُ
والموت يحكم في النفوس بحتفها ... وله على تنفيذ ذاك جنودُ
والموت يفسد مهجة الملك الذي ... قد عززته عساكرٌ وجنودُ
وقلوبنا في كل ذا مشغوفةٌ ... حُبّاً لدارٍ زهرها معقودُ

وإلى متى تهوى الذي هو هلكها		وإلى متى لا تنثني وتعودُ؟

الله الله يا أعراض المنية، ويا أبواب البلية، ويا معادن الرزية. أفيقوا من هذا الوسن، قبل أن تَزَوَّدوا من أموالِكم بحنوطٍ وكفنٍ. إذا تبرأ منكم الحبيب، وأنكر معرفتكم القريب، وصار كل واحد منكم كأنه أجنبي وغريب. وأنشدوا:

الموت بابٌ وكلُّ الناسِ داخله		فليت شعري بعد الباب ما الدارُ؟
الدار دار نعيم إن عملتَ بما		يرضي الإله وإن خالفتَ فالنارُ

[٢٨٦] المثابرة

يا أخي بالله عليك لو أتاك الحمام ولك ملك الدنيا أما كنت تختار عيش يوم بالجميع؟ فبادر ما دمت في فسحةٍ من العمر، قبل أن يضيق عليك الأمرُ، لو صيح بك الليلة أجب الداعي أما كنت نادماً على ما قدمت، وباكياً على ما فرطت؟ وأنشدوا:

الموتُ بحرٌ طامحٌ موجهُ		تذهب فيه حيلة السابحِ
يا نفس إني قائل فاسمعي		مقالة من مشفق ناصح
ما يعجب الإنسان في قبره		مثل التقى والعمل الصالح

فالله الله عباد الله استعدوا للموت، فكأنه قد نزل بكم فأرمل النسوان وأيتم الولدان، وفرق الإخوان، فوالله يا أيها الإنسان وإنما أنا وأنتم ذلك الإنسان، لو لم يكن ماء ولا ظلال، ولا جواب ولا سؤال، ولا نعيم ولا ثواب، ولا جحيم ولا عقاب، لكان في الموت وسكرته، والقبر وظلمته، واللحد وضغطته، ما يمنع العاقل اللبيب عن كسب الخطايا والذنوب فكيف ومن وراء ذلك هول مهول، وشرح يطول، من الصور ونفخته، والنشور وروعته والصراط ورقته، ومساءلة الله تعالى للعبد وتوبيخه. فما يكون جوابك أيها المغرور، إذا وقفت بين يدي العالم الغفور، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟ فأظهر لك قبائحك، ونشر لك فضائحك، واستشهد عليك جوارحك، فإن عفا عنك فأنت من الفائزين، وإن طالبك بما قدمت يداك فأنت من الخاسرين. عفا الله عنا أجمعين، وغفر لنا ذنوبنا فهو خير الغافرين آمين رب العالمين. وأنشدوا:

من كان يرجو أن يعيش فإنني		أصبحت أرجو أن أموت فأعتقَا

فـي المـوت ألـف فضيلـةٍ لـو أنهـا عـرضـت لكـان سبيلـه أن يعشقَـا

[٢٨٧] قبض أرواح الصالحين

ذكر في بعض الأخيار عن بعض السلف الأخيار عن النبي المصطفى المختار أن الله عز وجل إذا أراد قبض روح عبده الكريم عليه، وهو التقي لأنه بالتقوى كرم عليه، دعا بملك الموت فقال: اذهب يا ملك الموت إلى عبدي فلان فأتني بروحه ليرتاح عندي فحسبي من عمله أني قد بلوته في السراء والضراء فوجدته حيث أحب، فيذهب ملك الموت فيأخذ من مسك الجنة الأذفر وحريرها الأبيض فيهبط به ويهبط في أثره خمسمائة ملك ليس منهم ملك إلاّ ومعه بشارة من الله تعالى إلى ذلك الولي، وليس منهم ملك يدري ما مع صاحبه من البشارة، وليس منهم ملك إلاّ ومعه صبائر من الريحان ـ يعني حزماً من الريحان ـ من ريحان الجنة، فإذا هبطوا أحدقوا بولي الله، وجلس ملك الموت عند رأسه ونفث في وجهه سم الموت فصرعه ويقول له: يا ولي الله ارتحل من الدنيا فليست لك دار وليست لك بوطن ولا بد لك يا ولي الله أن تذوق كما ذاق إخوانك من قبلك، قال: فملك الموت ألطف باستخراج نفسه من الوالدة بولدها. فإذا أذنت نفسه بالخروج وكانت عند ذقنه أكب عليه الذين جاؤوا مع ملك الموت وهم خمسمائة ملك يخبرونه بالبشارة التي ارسلهم الله بها إليه، وليس منهم ملك إلاّ وهو يضع على كل طائفة من جسده من صبائر الريحان الذي جاؤوا به، فإذا خرجت نفسه لفها ملك الموت في ذلك الأبيض والمسك الأذفر، ثم يعرج بها إلى السماء وتثبت الملائكة الذين بشّروه عند جسده عند أهله.

[٢٨٨] ملائكة الرحمة

فإذا دنا من السماء تلقاه جبريل عليه السلام في سبعين ألف موكب من الملائكة فأخذ الروح منه جبريل عليه السلام فعرج به حتى يضعه بين يدي الجبار تبارك وتعالى، فيقول جل جلاله وتعالى ـ ليس كمثله شيء ـ لجبريل عليه السلام: اذهب فدع ولي الله في سدر مخضود وطلح منضود. فإذا حمل الرجل إلى سريره هبط خمسمائة ملك آخرون سوى الذين جاؤوا مع ملك الموت فيجلسوا صفين ما بين منزله إلى قبره يستقبلون جنازته بالاستغفار، وإذا أدلي في قبره وحثي عليه التراب وولى القوم جاءته الصلاة فكانت عن يمينه، وجاءه الصوم فكان عن شماله

وجاءه ذكر الله تعالى وتلاة القرآن فكانا عند رأسه، وجاءه مشيه إلى الجمع وإلى مجالس العلم وعيادة المرضى وإتباع الجنائز والصدقة فكانوا عند رجليه، وجاءه الصبر على ما يكره وعلى ما يحب فلم يجد مجلساً فيجلس في ناحية من نواحي قبره، فيخرج له من قبره عنق من العذاب فيأتي عن يمينه، فتقول له الصلاة: إليك عني لا سبيل لك عليه إنما استراح ولي الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة، ثم يأتي عن شماله فيقول الصيام: إليك عني لا سبيل لك إليه إنما استراح ولي الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة ثم يأتي عند رجليه فيقول له مشيه إلى الجمع وإلى مجالس العلماء وعيادة المرضى واتباع الجنائز والصدقة: إليك عنا لا سبيل لك عليه إنما استراح ولي الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة، قال: فلما لم ير شيئاً انقمع ودخل في الموضع الذي خرج منه فيقول الصبر لهؤلاء: أما إذا كفيتموني عذاب القبر فسأكفيكموه عند الميزان إذا نصب.

[٢٨٩] سؤال الملكين

قال: ثم يخرج الله إليه منكراً ونكيراً وهما ملكا القبر أسودان أزرقان يبحثان القبور بأنيابهما، ويطآن في أشفارهما. كلاهما مثل الرعد القاصف، وأبصارهما مثل البرق الخاطف، وأنفاسهما مثل لهب النار، وألوانهما مثل الليل المظلم. فيقولان له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي وديني الإسلام ونبيي محمد عليه الصلاة والسلام، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان له: قد علمنا أنك ستكون مؤمناً فيفتحان له باباً إلى النار فينظر إلى ما أعد الله فيها لأهل المعصية من النقمة والعذاب، قال: فيرفعان ذلك الباب دونه ثم يقولان له: لا تخف يا ولي الله من هذا الباب أبداً، ثم يفتحان له باباً إلى الجنة فينظر إلى ما أعد الله لأهل طاعته من الخير الدائم المقيم الذي لا زوال له ولا انقطاع فيقولان له: يا ولي الله هذا دارك وقرارك ومنزلك.

[٢٩٠] نعيم القبر

قال: فذلك الباب مفتوح إلى قبره إلى يوم القيامة يخرج من ذلك الباب إلى قبره ريح الجنة وروحها وبردها يوسعان له قبره مد بصره، ثم يقولان له: يا ولي الله نم فينام نوم العروس في حجالها حتى يبعثه الله تعالى يوم القيامة إلى أزواجه وحرمه، ألا ترى أيها الغافل عن طاعة ربه المصر على ذنبه إلى هذا الولي الذي

صار إلى قبره وخرج عليه نوع من عذاب ربه وأن أعماله الصالحة كانت جنوداً حوله فلم يجد العذاب دونها مدخلاً إليه؟ ولولا قيامها حواليه لكان عذاب الله واصلاً إليه، فلو لم يكن بطاعة الله عاملاً لم يجعل المولى بينه وبين عذابه حائلاً، ومن لم يكن بينه وبين النار حائل، فالهلاك والخزق له حاصل، والعذاب والذل إليه واصل، فكل من زعم أنه مؤمن بالله عز وجل ورسوله وكتابه ولم يجعل العمل الصالح وقاية بينه وبين عذابه فقد تعرض لهلاكه وعقابه، لأنه لم يجعل حائلاً بينه وبين جسده وكل موضع أمر الله سبحانه وتعالى باتقائه في كتابه، فإنما هو تحذير من عذابه. وأنشدوا:

المــوت أهنــأ للمطيــع وأصلــحُ ... والمــوت أطيــبُ للتقــيِّ وأنجــحُ
والمــوتُ أقــرب للجنــانِ طــريقــة ... والعبــدُ يكــرمــه الإلــه ويمنــحُ

[٢٩١] سليمان وملك الموت

ذكر في بعض الأخبار أن سليمان عليه الصلاة والسلام دعا الله تعالى وسأله أن يريه ملك الموت وأن يلبسه من القوة حتى يكلمه، فبينما هو قاعد ذات يوم على سريره إذ خرج رجل من جنب السرير ليس يراه أحد إلاّ سليمان لم ير سليمان قط أتم خلقاً منه، فقال: يا عبدالله ما أدخلك داري؟ قال: أدخلنيها ربها، أدخلني من هو أملك لها منك ومني، فعلم عند ذلك أنه من ملائكة الله، فقال له: من أنت من ملائكة ربي؟ قال: أنا ملك الموت. قال: فسمعوا من كلامه جلبة فصعق سليمان من خوفه ومن كان معه في البيت، فقال ملك الموت: يا رب إن عبدك سليمان ونبيك سألك أن تأذن لي بالدخول عليه وقد بلغ من خوفه ومن معه ما ترى فألبسه من القوة ما يطيق النظر إلي فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت أن ضع يدك في صدر سليمان ففعل فأفاق سليمان ومن معه بإذن الله تعالى، قال سليمان: يا ملك الموت أترى خلق الله في السموات والأرض مثلك؟ فقال ملك الموت: يا نبي الله والذي بعثك بالحق إن رجلي الساعة على منكبي ملك وذلك الملك هو الموت قد خرق قرناه السموات السبع وارتفع فوق ذلك مسيرة ألف عام ورجلاه قد جاوزا الثرى بخمسمائة عام فاتحاً فاه رافعاً صوته بالتهليل والتقديس والتسبيح باسطاً يديه لو أذن الله له أن يقبضهما إلى صدره لضم السموات وما فيهن وما عليهن ما خلا العرش، وأن فوقه ملكاً قائماً قد أدخل رجليه تحت منكبي هذا الملك وهذا من فوقه

مسيرة ألف عام فاتحاً فاه، وأن شفته العليا ملتصقة بالعرش والسفلى تحت الثرى لو أذن الله تعالى له أن يضع شفته العليا على السفلى لأطبق ما بينهما في جوفه، وأن لله ملكاً عنقه مثني تحت العرش ورجلاه قد جاوزتا رجلي هذين الملكين مسيرة ألف عام يخرج الريح من أنفه. لو أذن الله أن يتنفس لأدخل جميع ما خلق الله في السموات والأرضين في أنفه سوى العرش، وأن هؤلاء الملائكة الذين وصفت لك يكون خلقهم عند خلق غيرهم من الملائكة الذين فوقهم كجناح ذبابة عند الفيل، وأن لله ملكاً باسطاً كفه اليمنى منذ خلقه الله تعالى رافعاً صوته بالتهليل والتسبيح والتقديس والتحميد لو أذن الله له أن يقبض كفه لقبض جميع الخلائق ما خلا العرش. فقال سليمان ﷺ: يا ملك الموت أكفف عني فلقد وصفت أمراً أتخوف أن تطير روحي ولا تثبت نفسي ولا أطيق سماعه، فكف ملك الموت، فعندها قال سليمان عليه السلام: يا رب متى ألتقي مع الأحبة، يا رب قد أحببت لقاءك والراحة من الدنيا. فهذا كان سبب موت سليمان عليه السلام. وأنشدوا:

الموت مُرٌّ والعيشُ همٌّ ... فأي هذين لزم
وقد تعجبت إذ هنا لي ... عيش وعندي بالموت علم
أنقل رجلي من كل دار ... خوف المنايا والأرض سم
والروح مستوفز بجسمي ... له على الإنتقال عزم

فكأنكم والله بالموت قد فاجأكم وأزعجكم عن لذاتكم، ونغص عليكم شهواتكم، ونقلكم إلى بيوت الوحشة والضيق، حيث لا ينفعكم حميم ولا صديق، ولا أخ شقيق، ولا والد شفيق.

[٢٩٢] نداء الموت

روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: ما من يوم إلاّ وملك الموت ينادي يا أهل الدنيا عجِّلوا عجِّلوا لأن أهل القبور محبوسون من أجلكم، اتركوا ما جمعتم، وخربوا ما بنيتم، الويل لكم إن أدرككم الموت على هذه الحالة، زينتم الدور ونسيتم القبور. اذكروا القبر ووحشته، والموت وسكرته، والصراط ودقته. والموت سكرة في سكرة، وحيرة في حيرة وجذبة يا لها من

جذبة. فالمسكين يكابد غصص المنون، داهش العقل كالمحزون. فالله الله عباد الله أفيقوا من سكراتكم. وانتبهوا من نوماتكم، واستيقظوا من غفلاتكم، قبل نزول المنية، وحلول الرزية، ووقع البلية. حيث لا مال نافع، ولا حميم شافع، ولا فرح واقع، ولا رجاء طامع، ولا حسنة تزاد، ولا حياة تعاد، ويزودك أحبابك بالصراخ، ويكثرون عليك البكاء والنواح، فلا عثرة تقال، ولا رجعة تنال. وأنشدوا:

ألا إن أيـــام الحيـــاة مـــراحـــل ... طريق الفتى منها إلى الموت ساحلُ
يسـر بمـا يمضـي لمـا هـو آمـل ... ويأتي الردي (من) دون ما هو آملُ
ومـا يـومـه إلاّ غـريـمُ محكـمُ ... إذا مـا اقتضـاه نفسـه لا يمـاطـلُ
عجبت لمن يبغي السلامة جاهداً ... ومـر الليـالـي كلهـن غـوائـلُ
ونحـن بنـو الأيـام نظلـم نفـوسنـا ... ونـرجـع وهـي القـاتـلات الثـواكـلُ
ومـن لحـظ الـدنيـا بعيـنٍ بصيـرةٍ ... رأى عينهـا فـي نفسـه وهـو شَـائـلُ

[٢٩٣] عظةٌ من الغفلة

أيها الإنسان ـ وكلنا ذلك الإنسان ـ استيقظ من غفلتك، وهب من رقدتك. قد آن أن يدعى إليك الطبيب بجمع الدواء، فلا يرجى لك مما نزل بك الشفاء. ثم يقال: فلان قد أوصى وجميع ما له قد أحصى. قد تبرأ من الدنيا وعلائقها، وأقبل إلى الآخرة وحقائقها. ثم ضعف جنانك، وثقل لسانك، وانقطع عن كلامك فلا تكلم إخوانك، وكثرت خطوبك، وعظمت كروبك، إذا عرضت عليك عند كشف الغطاء ذنوبك، واشتدت الأحزان، وعلا صراخ النسوان، وحزن الصديق الودود، وفرح العدو الحسود، ثم يقال لك: هذا ولدك الصغير وهذا الكبير، وهذه بنتك الكبرى، وهذه شقيقتها الصغرى، فلا ترد عليهم جواباً، ولا يستطيع لسانك خطاباً، ثم اشتد بك النزع والسياق، إذا التفت الساق بالساق، وانتزع ملك الموت روحك الضعيف، وعرج به إلى مولاك الرب اللطيف، يجازيك على ما قدمت في سالف الأيام، ويسألك عما اكتسبت من الحلال والحرام. وأمر بك إما إلى جنة عالية، ذات نعيم وخلود، وإما إلى نار حامية ذات جحيم ووقود، وزودت من مالك حنوطاً وكفناً ونزلت في رمسك بعملك مرتهناً. وانصرف أهلك لقسمة ما خلَّفتَ من الأموال، وما سعيت فيه من الحرام والحلال. وانشدوا:

أبقيت مالك ميراثاً لوارثه فليت شعري ما أبقى لك المالُ؟
القوم بعدك في حالٍ يسرهم فكيف بعدهم صارت بك الحالُ؟
ملوا البكاءَ فما يبكيك من أحدٍ واستحكم القيل في الميراثِ والقال
مالت بهم عنك دنيا أقبلت لهم وأدبرت عنك والأيام أحوالُ

قال رجل من الصالحين: رأيت رجلاً قد مات وورائه يختصمون في ميراثه قبل أن تخرج جنازته، فقلت هذه الأبيات المتقدمة.

[٢٩٤] نداء الملك

ذكر في بعض الأخبار أن تحت العرش ملكاً ينادي كل يوم وليلة، الويل ثم الويل لمن ترك عياله بخير، وقدم على الله بشر. فالله الله ارحموا أنفسكم قبل أن لا ترحموا، وأكرموها قبل أن لا تكرموا. واذكروا الموت وما بعده من عظيم الأهوال، واستعدوا له بذخائر الأعمال وأنشدوا:

أرى الدهر لا يصفى إلى من لا يعاتبه وأعتب دنياه على من يثالبِه
ونحن نرجي الخلد في غير دارنا وأين خلود المرء إن مات صاحبه
كأنا عطاشى والمنيةُ منهلٌ نسير إليه والليالي ركائبه
كفى سالباً للمرء يومٌ وليلةٌ ومن يلبس الأيام فهي سوالبه
فلا تأمن الدهر الخئون فإنما هو اليومُ سلمٌ ثم حربٌ عواقبه

أيها الناس استعدوا لما خلقتم له فإن الله لم يخلقكم عبثاً، وإنما خلقكم لتعبدوه وتوحِّدوه وليميتكم ويبعثكم بعد الموت، وما رزقكم رزقه إلا لتستعينوا به على طاعته. وما خلق الدنيا إلا للزوال، وجعلها دار ابتلاء واختبار، وسجناً لأوليائه، وجنة لأعدائه. فراحة الأولياء الموت، وعذاب أعدائه الموت، لأن الأولياء إذا ماتوا صاروا إلى جنة النعيم، والعيش المقيم والأعداء إذا ماتوا صاروا

---

[٢٩٤] حديث «الويل كل الويل لمن ترك عياله...». أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٥/ ١٥٣). وذكره الحافظ الذهبي في الميزان (٣/ ٣٨٥) في ترجمة قتادة بن الوسيم ثم قال على هذا الحديث «هذا وإن كان معناه حقاً، فهو موضوع، رواه عن قتادة إبراهيم بن أحمد، العسكري، مجهول مثله». اهـ. وانظر كشف الخفا (٢/ ٣٤٦) والسلسلة الضعيفة (١٦٥٨).

إلى العذاب الأليم. فالله الله عباد الله لا يغرنكم بالله الغرور. وأنشدوا:

ومنتظرٌ للموت في كلِّ ساعةٍ ... يشيد ويبني دائماً ويحصنُ
له حين تبلوه حقيقةُ موقنٍ ... وأفعاله أفعالُ من ليس يوقنُ
عيان كأنكارٍ وكالجهلِ علمه ... بمذهبه في كلِّ ما يتيقن

[٢٩٥] حكاية عن واعظ

ذكر أن شيخاً من تيماء كان يجلس إليه أصحابه، فإذا كان عند قيامهم عنه قال: قوموا قيام من قد يئسوا من المعاودة حذراً من القاطف للنفس ملك الموت، ثم يبكي ويبكوا حوله. وأنشدوا:

وكن مستعداً لداعي المنو ... ن فكلُّ الذي هو آت قريب
وقبلك داوى المريض الطبيب ... فعاش المريض ومات الطبيب
يخاف على نفسه من يتو ... ب فكيف ترى حال من لا يتوب

ان من الشعر لحكمة!!.

[٢٩٦] خشية عيسى من الموت

روي أن عيسى عليه السلام كان إذا ذكر عنده الموت أو ذكره تقطر جسده ماء من خوف هوله! يا أخي يا غافل مثلي يا مسكين فعيسى صلوات الله عليه يخاف وهو على ما كان عليه من الطاعة لربه فكيف بك يا مسكين على ما أنت عليه من المعصية لمولاك؟؟ فالله الله يا إخواني لا تغتروا بصحة الأجسام، ومداومة الأيام، فإن الموت يأتي في ألهى ما أنت عليه في الدنيا وألذ ما كنت فيه، فلا الصحيح يدعه لصحته، ولا الصغير يرحمه لصغره، ولا الكبير يهابه لكبره. وأنشدوا:

وكم من صحيح بات للموت آمناً ... أتته المنايا بغتةً بعد ما هجعْ
فلم يستطع إذ جاءه الموتُ بغتةً ... فراراً ولا منه بحيلته امتنعْ
وقرب من قبر فصار مقيله ... وفارق من قد كان بالأمس قد جمعْ
فلا يترك الموتُ الغنيَّ لمالِهِ ... ولا معدماً في المال ذا حاجة يدعْ

[٢٩٧] حديث في ملك الموت

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن ملك الموت ينظر لوجه العباد في كل يوم

سبعين مرة، فإذا ضحك العبد الذي بعث لقبض روحه يقول له: يا عجباً لك يا فلان أمرت بقبض روحك وأنت تضحك» فالعجب كل العجب بمن الموت يطلبه، والمنية تعاجله وهو من ذلك على يقين، وهو يضحك ويلهو. وأنشدوا:

ضحك الفتى من عجبه جهالة ... والموت يطلبه حثيثاً مُسرعاً
والموت لا يدع الجهول لضحكه ... إلّا رماه بسهمه فتفجعَا
فتفلقت أوصاله لنزوله ... وتفتت العظم الصليب توجُّعَا
وبكى لفرقة ماله وعياله ... ومضى إلى دارِ البلى متضرعَا

فالله الله عباد الله لا يغرنكم طول الأمل، وجدوا واجتهدوا وكونوا من الموت على وجل، فإن للموت غاد ورائح، وماس وصابح، وأنت يا أخي منه على يقين وتحقيق، فلم تحد عن منهاج الطريق؟.

[٢٩٨] نداء للميت

ذكر في بعض الأخبار أن الميت ينادى إذا وضع على المغتسل: أين لسانك الفصيح ما أسكتك، أين صوتك الشجي ما أخرسك، أين ريحك العطر ما أنتنك، أين حركاتك ما أسكنك، أين أموالك الكثيرة ما أفقرك؟ الويل لك إن كنت عاصياً، والبشرى لك إن كنت طائعاً، وتناديه الملائكة إذا وضع في القبر: يا عبدالله أنت تركت الدنيا أم الدنيا تركتك أنت جمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك، أنت استعددت للمنية أم المنية عافصتك خلقت من التراب، وأعدت للتراب. وأنشدوا:

خلقت من التراب بغير ذنب ... وعدت إلى التراب ولي ذنوبُ
فمالي لا أجاهد في خلاصي ... بعزمٍ للمعاصي لا أتوبُ
ومالي أثقلت ظهري ذنوبٌ ... ومنها لا أملٌ ولا أنيبُ
ومالي لا أرقُّ لسوءِ حالِي ... ومن نفسي عليَّ غدا رقيبُ
ومالي مبعدٌ مقصى طريدٌ ... وفي كل القبائح لي ضروبُ
وكم بالبرِّ تسويفي ومطلي ... ولا أدري متى تأتي شعوبُ
فيا من ليس لي ربٌّ سواهُ ... عليمٌ بالذي أدعو يجيبُ
تجاوز يا إلهي عن ضعيفٍ ... بغفرانٍ لعلي عسى أتوبُ
وهب لي ذلتي وعظيم جرمي ... فأنت الواحد الفرد القريبُ

عباد الله لا تغفلوا عن ذكر الموت، وتفكروا فيه قبل الفوت، فوالله ما بين أحدكم وبين طول الأسف، والندامة على ما قد سلف، إلاّ أن تنزل به المنية، غدوة أو عشية، فعظ نفسك قبل حلول الرزية. وقيل في قول الله تعالى: **﴿وانفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب﴾** [المنافقون: ١٠] قيل الأجل القريب عند كشف الغطاء، يقول العبد عند الموت: يا ملك الموت أخرني يوماً أعمل فيه صالحاً لنفسي، فيقول ملك الموت: فنيت الأيام فلا يوم، فيقول: أخرني ساعة، فيقول: فنيت الساعات فلا ساعة، فيقول: اتركني أتكلم، فيقول: فرغ كلامك فلا كلام. فتبلغ الروح الحلقوم فيؤخذ بكظمه فتقطع الأوقات والأعمال، ويبقى عدد الأنفاس ليشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيحتد بصره، فإذا كان في آخر نفس زهقت نفسه فيدركه ما سبقت له من شقاوة أو سعادة.

[٢٩٩] سؤال الرجوع للدنيا

وقيل أول من يسأل الرجعة من لم يكن أدى زكاة ماله كقوله عز وجل: **﴿فأصَّدق وأكُنْ من الصالحين﴾** [المنافقون: ١٠] فالله بادروا قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل من صالح العمل، وفراغ الأنفاس، وورود الأرماس ولا ينفعك حبيب ولا حميم، ولا ولد ولا والد رحيم، قد أحاطت بك الخطوب، وكثرت عليك الكروب وأخذ الوارث مالك، ونكح العدو أو الصديق عيالك. وأنشدوا:

أرى الأزواج تنكح إن هلكت	ويقسم وارثي ما قد تركت
ولا يبقى الوداد بقلب خل	إذا انقطع الرجا مني ومت
وينساني الصديق فما يبالي	أمر به ويعرض إن ذكرت
ويشمت بي رجالٌ من سفاه	وما قد كنت قط بهم شمت
ولست بحاصل إلاّ على ما	من الأعمال في الدنيا عملت
فياذا العرش عفواً عن ذنوبي	وعن زللي وما كنت اجترمت
وشفع في نبيك حين أدعى	غداة العرض إن تفعل نجوت

روي عن رسول الله ﷺ أنه عرض عليه ما يصيب أمته من بعده فما رؤي ضاحكاً مستبشراً حتى قبضه الله تعالى.

[٣٠٠] ٤٨٠٠٠ قبيلة

ذكر في بعض الأخبار أن الله تعالى خلق في الأرض مما برأ وذرأ ثمانية وأربعين ألف قبيلة، فجعل في البحر ثمانية آلاف قبيلة، وجعل بين السموات والأرض أربعين ألف قبيلة تحملها الريح، ليس منها دابة صغرت أو كبرت في الأرض أو بين السماء والأرض إلاّ ومعها ملكان من قبل الله تعالى، فملك يهيء لها رزقها بإذن الله ويسوقها إليك، وملك آخر يقودها بإذن ربها إلى مستقرها ومنقلبها حتى الذرة والقملة والدودة والبعوضة والذبابة، فإذا استوفت أثرها ورزقها وبلغت أجلها قبض ملك الموت روحها. فسبحان من له الملك والتدبير.

عباد الله فالله الله لا تغفلوا عن طاعة مولاكم فإن الموت يطلبكم بالليل والنهار، والعشى والأبكار، فاجتهدوا في الحسنات، واجتنبوا في ليلكم ونهاركم السيئات. قبل نزول الموت والندم، فالموت لا يترك ملكاً ولا أميراً، ولا حاجباً ولا وزيراً. وأنشدوا:

قد صرف البواب والحاجُب ... وقهرمان الدار والكاتب
وأصبح الصاحب من بينهم ... بحيث لا جار ولا صاحب
واعتاضت الناهدُ من بعده ... ألفاً سواه وكذا الكاعب
وجد في تفريق ما لم يزل ... يجمعه وارثه اللاعب
فكن من الدنيا على أهبة ... يا زاهداً فيها ويا راغب
فإنها أم لأبنائها ... منها عدو قاتل سالب

[٣٠١] رحمة الله بالمسرفين

ذكر في بعض الأخبار أنه مات رجل من أهل المدينة وكان مسرفاً على نفسه فدعي لجنازته محمد بن المنكدر رحمه الله فأبى أن يحضر جنازته، ثم حضرها فعوتب في ذلك فقال: لقد استحيت من الله أن أرى أن رحمته تضيق عليه ولا تسعه فصليت عليه. يا مسكين مثلي اعلم أنه إذا نزل ملك الموت بالعبد المذنب فيرجع إلى مولاه بالذل والصغار. فنرجو إن شاء الله تعالى أن يعف عنه ويرحمه ويجعل الموت كفارة لذنوبه. وأنشدوا:

أفي كل يوم للمنية أقربُ ... وكل الذي آتيه يحصى ويكتبُ

فيا سوأتا قد آن وقت ترحلي وها أنا في الميدان ألهو وألعبُ
فإن لم تجد بالعفو منك عن الذي جنته يدي إني إذاً لمخيبُ

ذكر أنه كان بالبصرة فتى وكان مسرفاً على نفسه ما ترك ذنباً إلاّ ارتكبه، ولا شراً إلاّ اكتسبه، فلما مرض لم يعده أحد من جيرانه فدعا بعضهم وقال: إنه قد نزل بي ما ترى فإذا مت فادفني في زاوية من زوايا بيتي فقد أذيت جيراني في حياتي وما أحب أن أضر بالموتى بعد وفاتي. فرؤي بعد موته في المنام في حالة حسنة فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال: يا عبدي هجروك جيرانك حنقاً عليك، وضيقوا مسالك الرحمة بين يديك، فوعزتي وجلالي وجودي ومجدي وارتفاعي فوق علو مكاني ما ضاقت رحمتي عنك، عبدي هذه خلع مغفرتي ومنازل جنتي وخاتم أماني وسجل إحساني وأنا الغفور الرحيم.

[٣٠٢] حكاية عن الحسن

قال الحسن رحمه الله: قد علم الله منا قبل أن يخلقنا أننا نذنب ونعصيه ولم يمنعه ذلك منا أن جعلنا مسلمين. فالله الله يا أهل الذنوب مثلي بادروا قبل نزول السكرات، ووقوع الحسرات واجتهدوا فإن الموت آت، وكل آت فهو قريب. قد آن وكلما آن فقد حان. وأنشدوا:

أآمل أن أخلَّد والمنايا يثبن إليَّ من كل النواحي
ولا أدري إذا أمسيتُ حياً لعليَّ لا أعيشُ إلى الصباح

عباد الله أيامكم مراحل تقطعونها، وساعاتكم مناهل تردونها، والموت يطوف عليكم بالليل والنهار لا يؤخر من فقدت ساعاته، وفرغت أيامه وأوقاته.

[٣٠٣] حكاية عن بعض الصالحين

يحكى عن بعض السادة الأخيار أنه قال: خرجت يوماً لزيارة القبور فإذا بقوم يحملون جنازة فتقدمت إليها وصليت بهم ثم شهدت دفنها فنعست نعسة فأتاني آت فقال لي: قد غفر الله لهذا الميت على ظلمة ذنوبه، فانتبهت مرعوباً فأخبرت بذلك أم الميت فقالت: الحمد لله رب العالمين والله لقد كان مسرفاً على نفسه، فلما نزل به الموت بكى وقال لي: يا أماه ضعي خدي على الأرض والتراب ففعلت ذلك، فقال: ضعي قدمك على خدي وادعي الله واستوهبيني منه فلعله يرحمني وإقلعي

فص خاتمي وتصدقي بثمنه فعسى الله يرحمني. فقلت لها: قد غفر الله له ورحمه، ثم أخبرتها بالذي رأيت. فالله الله معشر المخلصين تضرعوا إلى ربكم قبل يوم موتكم فعساه أن يرحمكم ويتجاوز عن سيئاتكم. فذلك عليه يسير، وهو على كل شيء قدير وأنشدوا:

رأيتُ المرءَ تأكله الليالي ... كأكل الأرض ساقطة الحديدِ
ولا تجد المنيةَ حين تأتي ... على نفس ابن آدم من مزيدِ
فلا تغفل ـ فديتك ـ عن منونٍ ... تدور رحاهُ بالهولِ الشديدِ

فكأنكم بالأعمال قد انقضت، وبالدنيا قد مضت، فاستعدوا بذخائر الأعمال لما تلقوا من عظيم الأهوال، وقد نودي فيكم بالتحويل، وقد قرب منكم الرحيل.

[٣٠٤] شاب عاص غفر له

حكي عن بعض الخائفين أنه قال: كان في جواري شاب وكان يتشاغل بالبطالة والجهالة ما رأيته صاحياً من السكر قط وعهدي به البارحة وقد رفع صوته على أمه في ساعتي هذه. فأخبرتني أنه أصبح ميتاً من غير علة ولا مرض، وسألتني في كفنه فزجرتها وقلت: الحمد لله الذي أراحنا منه، فمضت مدحورة فرق لها قلبي وقلت: إن الرحمة لا تضيق على المذنبين من أمة محمد ﷺ فبعثت من ساعتي في طلبها وعزيتها وصبرتها واشتريت لها كفناً وحضرت جنازته. فعرفني بعض أصحابنا أنه رآه في المنام وأنه سأله ما فعل الله به؟ فقال: قدمت على الله تعالى وكنت قد دخلت قبل وفاتي الحمام، فرأيت شخصاً ميتاً مقعداً، فتوليت غسله ونظافته وحمله إلى بيته فقال: غفر الله لك ذنوبك كلها فصادفت دعوته إجابة فغفر الله تعالى لي وأنا في الجنة مع التعلق بالسنة غفر الله لنا أجمعين، وأماتنا مسلمين، وختم لنا بخواتم الصالحين، إنه على ذلك قدير. وأنشدوا:

لا تأسفنَّ على الدنيا وحليها ... فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
واعمل لدار يكن رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن عاليها
أرض لها ذهبٌ والمسكُ طينتها ... والزعفرانُ حشيشٌ نابتٌ فيها
أنهارها لبنٌ محضٌ ومن عسل ... والخمر يجري رحيقاً في مجاريها
والطيرُ تجري على الأغصان عاكفةٌ ... تسبِّحُ الله جهراً في مغانيها

أحمد دلالها والرب بائعها وجبريل ينادي في نواحيها
من يشتري الدار في الفردوس يغمرها بركعة في ظلام الليل يحييها
أين الملوك الذي عن حظها غفلت حتى سقاهم بكأس الموت ساقيها
أفنى القرون وأفنى كل ذي عمر كذلك الموت يفني كل من فيها
والموت أحدق بالدنيا وزخرفها والناس في غفلة عن ترك ما فيها
لو أنها عقلت ماذا يراد بها ما طاب عيشٌ لها يوماً ويلهيها
تلهو وتأمل آمالاً تسر بها شريعة الموت تطوينا وتطويها
والله لو قنعت نفسٌ بما رزقت من المعيشة إلاّ كان يكفيها
والله والله ايماناً مكررة ثلاثة من يمين بعد ثانيها
لو أن في صخرة صُماً ململمة في البحر راسية ملس نواحيها
رزقاً لعبد يراه الله لانفلقت حتى تؤدي إليه كل ما فيها
أو كان تحت طباق السبع مسلكها لسهل الله في المرقى مراقيها
حتى ينال الذي في اللوح خط له فإن أتته وإلاّ سوف يأتيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها
تلك المنازلُ في الآفات خاويةٌ أضحت خراباً وذاق الموت بانيها

[٣٠٥] عظة للاستعداد للموت

عباد الله قد آن وقت التحويل، إلى الوقوف بين يدي الملك الجليل، فأنفاسكم معدودة عليكم، وملك الموت قاصد إليكم، يركبكم بكلكله، ولا بد لكم من منهله. يقطع آثاركم، ويخرب دياركم. فرحم الله عبداً نظر لنفسه، وقدم لغده من أمسه، قبل حلوله في رمسه. وعمل في العمر اليسير، لليوم العبوس القمطرير، وسأل المغفرة من السميع البصير، الذي هو على كل شيء قدير، وهو مولانا ومولاكم ونعم المولى ونعم النصير.

[٣٠٦] الموت ينتقي الخيار

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا تقارب الزمان انتقى الموت خيار أمتي كما ينتقي أحدكم خيار الرطب من الطبق» فإنا لله وإنا إليه راجعون الذي ذهب عنا الأخيار وبقينا في غمار مع الأشرار فلا للموت نعمل قبل إتيانه، ولا أحد منا يقطع

عن عصيانه. ما هذه أفعال المؤمنين، ولا هذه سيرة الموقنين، قد أضلنا عدونا الشيطان اللعين، وخدعنا بمكره وأغوانا أجمعين.

[٣٠٧] عمل الملكين

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قبض الله روح عبده المؤمن صعد ملكاه إلى السماء فقالا: ربنا وكلتنا بعبدك المؤمن فلان نكتب عمله وقد قبضته إليك فأذن لنا أن نصعد إلى السماء، فيقول الله عز وجل: سمائي مملوءة بملائكتي يسبحوني، فيقولان: فأذن لنا أن نسكن الأرض، فيقول عز وجل: أرضي مملوءة من خلقي، فيقولان: يا ربنا أين نكون؟ فيقول عز وجل: قوما عند قبر عبدي فسبحاني وأحمداني وهللاني واكتبا ثواب ذلك لعبدي إلى يوم القيامة» فالحمد لله الذي جعلنا من أمة محمد المصطفى وحسبنا بهذا فضلاً، وكفى بكتاب مولانا لأمواتنا الحسنات، ويجعل الموت لهم كفارة لما سلف من السيئات. وأنشدوا:

على كل حالٍ وشريكون ... فقد مات مثلك في مثلها
فما لك تلعب بالترها ... ت وتخدع نفسك من عقلها
من الرشد في برها بالعقو ... ق وترضى بذلك من جهلها
وأنت تخالف فيها العذو ... ل وتطوي لسانك عن عذلها
وسيفُ المنيةِ قد سلَّها ... وأنت تنامُ على قتلها
ودولة ذي العز مقطوعةٌ ... وأنت تغفل عن عذلها

إلى متى هذا الصدود، عن طاعة الملك المعبود، والغفلة عن بحر الموت المورود، فارحموا أنفسكم قبل التلف، وأبكوا عليها قبل الأسف، فإن السفر بعيدٌ، وهول المطلع فظيع شديد، والزاد قليل، والهم والحزن طويل، وبعد ذلك اليوم العبوس الثقيل يا أخي لكل حي قوت وأنت يا مسكين قوت الموت، فاعمل للموت قبل الفوت. وأنشدوا:

---

[٣٠٧] حديث «إذا قبض الله روح عبده المؤمن...».

انظر جمع الجوامع للسيوطي (١٥٢٩) عن أبي هريرة.

وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٢٨) وقال: لا يصح.

أرانـــي فـــي انتقـــاص كـــلَّ يـــوم ولا يبقـــى علـــى النقصـــان شـــيءٌ
طـــوى العصـــران مـــا نشـــراه منـــي فـــأتلـــف جثتـــي نشـــر وطـــيُّ
فـــإن أكُ قـــد فنيـــت ومـــات بعضـــي فـــإن الحـــرص بـــاقٍ فـــيَّ حـــي
وطيـــرُ المـــوتِ حـــائمـــةٌ لقتلـــي مـــدلاةٌ علـــيَّ وفـــي عـــي

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من أكثر الفكرة في الموت هوَّن الله عليه سكراته، وجعله منه على حذر، ومن غفل عن ذكره يوشك أن يأتيه فجأة على غير أهبة ولا استعداد» فالله الله قد انصرمت عنكم أعماركم وأنتم لا تشعرون، فإن اتبعتم هموم الدنيا حتى تفرغ فإنها لا تفرغ أبداً ولو عشتم إلى أن تنقرض الدنيا. فتفرغ يا مسكين في اليسير من الأيام، ودارك أمرك مع مولاك قبل نزول الحمام.

[٣٠٨] المبادرة بالتوبة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أيها الناس بادروا بالتوبة قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الزاكية قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبينه بكثرة ذكركم إياه».

[٣٠٩] السني والزنديق

ذكر في بعض الحكايات أن رجلاً من أهل السنة لقي رجلاً زنديقاً قد نحل جسمه وتغير لونه وأذابه الخوف، وكان السني قوياً سميناً، فقال له الزنديق: يا هذا صف لي بعض ما تعتقده؟ فقال: أعتقد الموت وغصصه، وسكراته وأهواله. فلما سمع الزنديق مقالته صاح صيحة عظيمة ثم وقع على وجهه مغشياً عليه فمكث ما شاء الله ثم أفاق فقال له: زدني، فقال: ثم من بعد الموت القبر وظلمته واللحد وضجعته، ومنكراً ونكيراً قال: وما منكر ونكير؟ فقال: ملكان أسودان أزرقان يطآن في شعورهما، ويحفران الأرض بأنيابهما، وبيد كل ملك منهما عمود من حديد جهنم لو ضرب به جبال الدنيا لقلعها من أصولها يسألان العبد في قبره، قال: وثم ما بعد ذلك؟ قال: هول البعث والنشور والحساب والميزان والصراط، قال: وما الصراط؟ قال: هو جسر منصوب على جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف وأحر من الجمر عليه حسك وكلاليب قد تعلق بكل كلوب عدد نجوم السماء من الزبانية، لو أذن الله لواحد منهم أن يخرج إلى الدنيا لأحرق بحارها وجبالها وإنسها وجنها

وهوامها ودوابها من حر نفسه، قال له: وما الزبانية وما جهنم؟ قال الزبانية: خلقوا من النار هم ملائكة العذاب، وجهنم دار العذاب أوقد عليها النار أربعة آلاف سنة، السنة أربعة آلاف شهر، الشهر أربعة آلاف يوم، اليوم أربعة آلاف ساعة، الساعة أربعة آلاف نظرة، النظرة الواحدة مقدار سبعمائة ألف سنة من سنين الدنيا. وهي سوداء مظلمة من دخلها طال بلاؤه وحزنه. قال له الزنديق: لقد عجبت من قلة عقلك، هذا كله تعتقده وأنت سمين!! فوالله ما أصدق أنا بشيء من هذا الذي ذكرته إلّا بالموت وحده وقد أطال حزني وذاب جسمي، وإنما أنت من عداد الأنعام التي لا تعقل فالله الله إخواني اشكروا الله على ما به أنعم عليكم من جزيل نعمه إذ بعث إلى جميع خلقه محمد ﷺ، أخرجكم به من الضلالة، وأيقظكم به من سكرة الجهالة ثم أتحفكم بطيبات رزقه، وفضلكم على كثير من خلقه، فلا تستعينوا بنعمه على معاصيه فإن الموت لا بد منه وقد وعظكم الله.

وقال رسول الله ﷺ: «كفى بالموت واعظاً» فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليجعل الموت نصب عينيه، فإنه لا يدري متى يقدم عليه. وأنشدوا:

وللموت سلطانٌ عليك مسلطٌ ... إذا حم لم يصرف بنهي ولا أمر
ودارك إما شقوةٌ أو سعادة ... ومالك من بابٍ إليها سوى القبر
كفى عظة بالموت إنَّ ركابه ... على سفرٍ يهوي إلى حيث لا يدري

[٣١٠] رفق ملك الموت بالمؤمن

روي أن النبي ﷺ كان جالساً عند مريض فرأى ملك الموت عند رأسه فقال له: «يا ملك الموت ارفق بصاحبي» فقال له: يا محمد أنا بكل مؤمن رفيق. فالله الله لا تغفلوا عمن ليس يغفل عنكم ولا تنسوا الموت فإنه لا ينساكم، وفقنا الله وإياكم لحسن العمل والفعال وهدانا وإياكم لصالح الأعمال، إنه الجواد الكريم المفضال.

١٢

مجلس في ذكر القبور

[٣١١] قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾ [التكاثر: ١، ٢] السورة مكية، التكاثر يعني في الدنيا.

روت زينب بنت جحش عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قرأ قارىء ألهاكم التكاثر يدعى في ملكوت السموات والأرض بمؤدي الشكر لله».

[٣١٢] حكاية في الخوف من الله

روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان رجل باليمن **يقال له يعلى وكان مشركاً ليس له من الدنيا إلاّ قطيفة تواري عورته، ويأوي بالنهار إلى ظل شجرة، وبالليل إلى جحر كجحر الكلب، فسمع بخروج النبي ﷺ فأقبل إلى النبي ﷺ وكان شاباً، ترفعه أرض وتضعه أخرى حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وقعد مع أهل الصفة يطعم القبضة من العجوة والكسر من خبز الشعير، وكان لا يفارق مجلس النبي ﷺ حتى تعلم أربع سور من القرآن فسمع النبي ﷺ** يقول: «لا فاقة بعد القرآن، ولا غنى بعد النار» فقال: يا رسول الله زوجني. قال: «أعندك مال!!» قال: عندي أربع سور من القرآن، ومن كان عنده الوحي وكلام الله فهو غني، **قال النبي ﷺ: «صدقت فانطلق إلى بني سلمة** - حي من الأنصار - واستخر الله فأول جارية تستقبلك فهي زوجتك» فانطلق الشاب لا يدري إلى أين يتوجه فاستقبلته جارية جميلة، فقال: يا جارية أي حي هذا؟ قالت: بنو سلمة، قال الشاب: الله أكبر أنت أمرأتي تعالي، قالت: ما أسفهك! قال: لست بسفيه ولكن أمرني

---

[٣١١] حديث «إذا قرأ قارىء . . .».

أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٤/ ٢٢٠).

إذا دخلتموها. قال الفراء هذا تكرار التغليظ ويقال: ﴿لترون الجحيم﴾ [التكاثر: ٦] أي لترونها رؤية علم ﴿ثم لترونها عين اليقين﴾ [التكاثر: ٧] بالمشاهدة ﴿ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم﴾ [التكاثر: ٨] يسألون عن شكر ما كانوا فيه من النعم والحياة والنعيم، فزعم قومٌ أن الآية في الكفار وقال آخرون بل هي على العموم في المؤمنين.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس، الصحةُ والفراغ».

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له: ألم أصح جسمك وأروك من الماء البارد».

وعن محمود بن لبيد قال: لما نزلت: ﴿ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم﴾ [التكاثر: ٨] قال أصحاب رسول الله ﷺ: أي نعيم!! وإنما هما الأسودان التمر والماء وسيوفنا على عواتقنا. قال: «أما إنه سيكون» ابن مسعود وقتادة وسعيد قالوا: الأمن والصحة. مجاهد قال: الخبز والماء والملح. إبراهيم النخعي: من سمى الله تعالى على الطعام حين يأكل، ويحمد الله حين يفرغ فقد أدى شكره. الحسن قال: كانوا يعدون من النعيم في الدنيا أن يتغدى الرجل ويتعشى. علي رضي الله عنه: النعيم الرطب والماء البارد. أبو أمامة قال: النعيم خبز البر والماء العذب وقال النبي ﷺ: «طيب النفس من النعيم» أبو الدرداء رضي الله عنه قال: النعيم الشعير والماء العذب. محمد بن علي قال: النعيم العافية. وقال أبو عسيب مولى رسول الله ﷺ: مرَّ بنا رسول الله ﷺ ليلاً فدعاني فخرجت إليه، ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج إليه، ثم مرّ بعمر رضي الله عنه فدعاه فخرج إليه، ثم انطلق بنا

---

[٣١٣] حديث «نعمتان مغبون فيهما...»

البخاري: كتاب الرقاق، باب ما جاء في الرقاق (٦٤١٢) من حديث ابن عباس.

والترمذي: كتاب الزهد، باب الصحة والفراغ نعمتان (٢٣٠٤) من حديث ابن عباس.

(*) حديث «طيب النفس...».

ابن ماجه: كتاب التجارات، باب الحث على الكسب (٢١٤١) من حديث عبد الله بن خبيب.

والإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٧٢).

(*) حديث «مر بنا رسول الله...».

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥/ ٨١) من حديث أبي عسيب.

رسول الله ﷺ حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار فقال لصاحبه: أطعمنا بسراً فجاء بعذقٍ فوضعه فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه، ثم دعا بماء بارد فشرب وشربوا ثم قال: «لتسألن عن هذا يوم القيامة» فأخذ عمر العذق وضرب به الأرض حتى تناثر البسر، وقال له: يا رسول الله إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: «نعم إلاّ كسرة تسد بها جوعتك، وخرقة تلف بها عورتك، وجحر تدخل فيه من القر والحر» علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله تعالى: ﴿إنَّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾ [الإسراء: ٣٦] قال الله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ [التكاثر: ١] قيل معناها ألهاكم التكاثر في الدنيا بجمع الحطام، واكتساب الآثام، والتمادي في الإجرام. وأنشدوا:

أرضيــــت داراً لا بقـــاءَ لهـــا ... تعـــد الشـــرور وتنصـــب الفتنَـــا
مـــا يستقيـــم ســـرورُ صـــاحبهـــا ... حتـــى يعـــودُ ســـرورُه حـــزنَـــا
عجبـــاً لهـــا لا بـــل لمـــوطنهـــا الـ ... ـمغـــرور حيـــن يعـــدُّهـــا وطنَـــا
فـــالحمـــد لله اللطيـــفِ بنـــا ... ستـــر القبيـــحَ وأظهـــرَ الحسنَـــا
مـــا تنقضـــي عنـــا لـــه منـــنٌ ... حتـــى يجـــدِّد بعـــدهـــا مننَـــا

يا أخي اشتغلت باللذات، وافنيت عمرك بالترهات، وعصيت إله الأرض والسموات ونسيت بيوت الوحشة والحيرات. فيا له من بيت ما أظلمه، ومن صندوق ما أغمه. منزل الوحشة، وبيت الغمة والوحدة. وأنشدوا:

وربمـــا عـــوقـــص ذو صحـــة ... أصـــح مـــا كـــان ولـــم يسقـــمِ
يـــا واضعـــاً للميـــت فـــي قبـــره ... خـــاطبـــك القبـــر ولـــم تفهـــمِ

﴿حتى زرتم المقابر﴾ [التكاثر: ٢] بيوت الوحشة، ومنازل الضيق والغمة في ضيق وكربات، وغم وحسرات، وأهوال مقطعات. من ظلمات القبور، وسؤال منكر ونكير، والخلود في البرزخ إلى يوم النشور، فانظر لنفسك أيها المغرور، فإن القبر له شأن يتلوه شؤون وأنشدوا:

لا تغـــرنـــك الحيـــاة وقـــدم ... واحـــذر القبـــرَ إنَّ للقبـــر شـــانَـــا
إنَّ فيـــه لمَّـــا يحـــاذر ذو اللـ ... ـــب إذا كـــان ذا تُقـــى ومعـــانَـــا

بذلك رسول الله ﷺ. قالت الجارية: إن كان أمرك بذلك رسول الله ﷺ فسمعاً وطاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ ولكن حتى أسمع منه، فانطلق الشاب والجارية ليأتيا النبي ﷺ فإذا أبوها وأخوها فقالا: أين تذهبين؟ فقالت: إن الشاب تعلق بي وزعم أني امرأته فأنكرت ذلك عليه فقال: كذا أمرني رسول الله ﷺ، فأنا معه إلى رسول الله ﷺ حتى أسمع منه، فقالا: سمعاً وطاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ فانطلقوا جميعاً حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فتكلم والدها فقال: يا رسول الله زعم هذا الشاب الغريب إنك أمرته بما صنع بابنتي، فقال النبي ﷺ: «نعم فزوجه ابنتك على اسم الله وبركته» قال: قد فعلت، فزوجه الشيخ ابنته وأشهد النبي ﷺ وأصحابه، فقال النبي ﷺ: «يا معشر المسلمين أعينوا أخاكم» فجمعوا له أربعة أواق فضة، فقال النبي ﷺ: «لك أوقيتان ولزوجتك أوقيتان» فقال: يا رسول الله قد جعلت أوقيتي لها أيضاً، فقال النبي ﷺ للشيخ والدها: «جهزوا هذه الجارية للشاب من يومه هذا» قال الشيخ: سمعاً وطاعة لله عز وجل ولرسوله، فجاء الشاب إلى رسول الله ﷺ فأمره أن ينصرف إلى أهله، فجاء إلى منزله فدخل إلى فراش مفروش، وإلى بساط ممدود، وإلى زوجة جالسة، وإلى سراج يزهر، وإلى طعام قد هيىء له، فلما نظر إلى ذلك بادر إلى مكان في مجلسه فصلى فيه ركعتين شكراً لله عز وجل لما رأى، ثم قام وصلى ركعتين ثم رفع رأسه إلى السماء فحمد الله وأثنى عليه وشكر نعمته، ثم جعل يقوم في خلال ذلك فيصلي ركعتين ثم يقوم إلى مثل حاله من الثناء فالشكر لله عز وجل لما رأى، فلم يزل كذلك حتى أصبح، ثم غدا إلى المسجد فصلى مع رسول الله ﷺ الغداة والظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم رجع إلى منزله، فلما عاين أهله وما هيىء له بادر إلى مسجده فصلى مثل صلاته في الليلة الأولى وجعل يحمد الله عز وجل ويشكره بين كل ركعتين حتى أصبح فغدا إلى المسجد فصلى مع رسول الله ﷺ ففعل مثل ذلك حتى تمت له ثلاث ليال فجاء الشيخ في اليوم الرابع فدخل على ابنته فسألها عن زوجها وحالها معه! فقالت: لا أدري ما زوجي ما يعرف غير الصلاة وهو يقوم الليل كله يحمد الله ويثني عليه ويصلي، فجاء الشيخ إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فقال له رسول الله ﷺ: «ما منعك من أهلك!» فقال: يا رسول الله تذكرت شأني وكنت مشركاً باليمن لم يكن لي مأوى إلاّ جحر كجحر الكلب آوي إليه الليل والنهار أتبع ظلال الشجر

والحيطان حين أخرج من جحري فهداني الله للإسلام وعلمني أربع سور من القرآن فشرح الله صدري بها ونوَّر بها قلبي، فلما زوجتني هذه الجارية نظرت إلى فراشها وإلى حسنها وجمالها ولم أر فراشاً قط منذ كنت، ونظرت إلى سراج يزهر ولم يكن لي سراجٌ قط، ونظرت إلى هذه الحالة فتدبرت إحدى سوري الأربع فزهدني الله فيها وما عندها، فقال النبي ﷺ: «وأي سورة هي؟» قال: ﴿ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف﴾ [التكاثر: ١، ٢] ثم بكى وبكى رسول الله ﷺ وأصحابه، فلما هدؤوا قال الشاب: يا رسول الله خصني منك بدعوة، فقال: «اللهم اغفر له الكثير، وأشكره على اليسير، واغنه برحمتك» فلم تأت عليه جمعه حتى قيل للنبي ﷺ أن الشاب قد مات، فقال النبي ﷺ: «لا إله إلاّ الله إذا فرغتم من غسله أخبروني» فأخبروه ﷺ فقال ﷺ: «هنيئاً لك الجنة» ثم سأل زوجته هل نال منها شيئاً، قالت: لا والذي بعثك بالحق نبياً ما نال مني شيئاً.

[٣١٣] حكايات عن الصالحين في الخشية من الله

قال ميمون بن مهران: دخلت على عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وهو يقرأ: ﴿ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾ [التكاثر: ١، ٢] فقال: إنما يزورون المقابر بالموت، ولا بد لكل زائر أن يعود لوطنه من جنة أو نار.

وقال زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ [التكاثر: ١] يقول شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد عن ذكر الله وطاعته، واللهو ما شغل. وأكثر ما يقال في البطالة: ﴿حتى زرتم المقابر﴾ [التكاثر: ٢] بيوتكم. ويقال إن حيين من قريش تفاخرا وتعاددا بالأموات كان منا فلان وكان منا فلان، ﴿كلَّا سوف تعلمون﴾ [التكاثر: ٣] يقول سوف تعلمون إذا متم ﴿ثم كلَّا﴾ [التكاثر: ٤] يقول ثم كلا سوف تعلمون في قبوركم وهو وعيد مع وعيد فمعنى الأول غير معنى الثاني وليس ذلك بتكرير. قال الفراء: والكلمة قد تكررها العرب على التغليظ والتخويف. فهذا من ذلك. ثم قال: ﴿كلَّا﴾ أي كلا لا يؤمنون بالوعيد، ثم استأنف وقال: ﴿لو تعلمون علم اليقين﴾ [التكاثر: ٥] يقول محض اليقين، وهو الذي لا شك أعلمكم أنكم سترون الجحيم في الآخرة كقوله: ﴿وبرزت الجحيم لمن يرى﴾ [النازعات: ٣٦] فالتكرار في قوله تعالى: ﴿لترون الجحيم﴾ [التكاثر: ٦] في القيامة إذا برزت ﴿ثم لترونها عين اليقين﴾ [التكاثر: ٧]

إنني موقن بما في كتابي عاجلاً تسوني الأكفانا
فإذا ما وضعت في ظلمة اللحـ ـد وبدلت من مكان مكانَا
وإذا لم يدركني ربِّي بعفوٍ ألق في القبر ذلةً وهوانَا

[٣١٤] صفة القبر

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «القبر روضةٌ من رياض الجنة، أو حفرةٌ من حفر النار، ألا وإنه ليتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الظلمة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود» الله الله يا إخواني اعملوا لهذا الضيق، وجدوا في العمل باجتهاد وتحقيق. وأنشدوا:

كأني بإخواني على حافةِ القبر يهيلونه فوقي وأدمعهم تجري
عفى الله عنّي حين أترك ثاوياً أزار فلا أدري وأجفى فلا أدرِي

فانتبهوا عباد الله من نومة الغفلة، واعملوا ليوم النقلة، واستعدوا لظلمة القبر ما دمتم في فسحة ومهلة، ولا تقطِّعوا أيامكم بالمحال، وجنبوا أعماركم سوء الفعال، فإن الموت نازلٌ بكم، والقبرُ أمامكم. وأنشدوا:

إني أبثك من حديثي والحديث له شجون
ضيعت موضع مضجعي وقتاً ففارقني السكون
قل لي فأول ليلة في القبر كيف ترى أكون؟!

[٣١٥] أشد ما على الميت

قيل إنه لا يأتي على الميت في قبره أشد وأصعب من أول ليلة يبيت فيه، فمن تفقد ميته في أول ليلة بشيء من الصدقة، وإلاّ فليصل ركعتين وليهد ثوابهما لميته يرفع الله تعالى عن ميته ما يجد من الغم والوحشة، ويكتب الله للمصلين عبادة ستين سنة بقيامها وصيامها. وأنشدوا:

بالله يا عينُ بوحي وابكي عليَّ ونوحِي
غداً أوسّد قبري غداً أزور ضريحِي

---

[٣١٤] حديث: «القبر روضة من رياض الجنة».

الترمذي: كتاب صفة القيامة، باب (٢٦) (٢٤٦٠) من حديث أبي سعيد الخدري وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه.

غــــداً نـــــزوح الأحبـــــة وتمنعـــــي أن تـــــروحِــــي

ذكر أن الميت إذا وضع في قبره وقال المشيعون: انصرفوا آجركم الله يقول الميت ـ إن كان من أهل الشقاء ـ يا ليتني مع من انصرف لعظم ما يعاين من هول المطلع. يا أحبابي فإذا كان لأحدكم بيت ولم يبسط فيه على ما يجلس جلس على التراب والأرض، كذلك من لم يقدم لقبره عملاً صالحاً لنفسه بقي مستوحشاً وحيداً فريداً في رمسه. وأنشدوا:

أنـــا فـــي القبـــر رهيـــنٌ قـــد تبـــرَّا الأهـــل مِنّـــي
أسلمـــونـــي بـــذنـــوبـــي خبـــت إن لـــم يُعـــفَ عنّـــي
فـــارحـــم اليـــوم مشيبـــي وارحـــم اللهـــمَّ سنِّـــي
وارحـــم اللهـــم ضعفِـــي لا يخيـــب اليـــوم ظنِّـــي

[٣١٦] عظة للنبي ﷺ

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان النبي ﷺ يعظنا أحياناً فيقول: «تجهزوا لقبوركم فإن القبر ينادي كل يوم سبع مرات فيقول: يا ابن آدم الضعيف ارحم نفسك في حياتك قبل أن تلقاني، فإنك إذا لقيتني وكنت عاملاً بطاعة مولاك رحمتك ورأيت مني السرور، وإن لم ترحم نفسك لم أرحمك، أنا بيت الدود مع الندامة الطويلة، وأنا بيت الوحشة مع الجوع الشديد والشدة، أنا بيت العطش مع الظلمة، أنا بيت الضيق مع العقارب يا ابن آدم إياك أن تغرك الحياة الدنيا فإن ممرك عليَّ وأنا أول منازلك إلى الآخرة، فإن نجوت مني نجوتَ من كلِّ شدة تتخوف منها، يا ابن آدم أنا بيت الغضب لا أرحم شاباً لشبابه، ولا صغيراً لصغره، ولا كهلاً ولا شيخاً لكبره، ولا أرحم إلاّ من رحم نفسه. وأنشدوا:

عجبـــت لمـــن يتـــم لـــه السّـــرورُ بـــدارٍ كـــل مـــا فيهـــا غـــرورُ
وكيـــف يلـــذُّ ســـاكنُهـــا بعيـــشٍ ويعلـــم أن مسكنـــه القبـــورُ

يا ابن آدم لقد خلقت لأمر عظيم لو كنت تعقل لظهر قنوعك، ولبان خشوعك، وثارت دموعك، خوفاً من القبر ووحشته، ومن اللحد وضغطته، ومن هول المطلع وروعته. فامهد لنفسك يا مسكين بينما أنت حي وبينما يقبل منك

(كل) شيء قبل طي الكتاب، وغلق الباب، ونزول الحجاب، والرحيل إلى التراب. وأنشدوا:

لا تأتمن وإن أمسيت في حرمٍ ... إن المنايا تفاجيء كلَّ إنسانِ
واسلك طريقك واثبت غير منحرف ... حتى تلاقي الجزا من عند رحمنِ
فكل خل وإن أشفقت تتركه ... وكلُّ مالٍ وإن أكثرته فانِ
والخير والشر مقرونان في قرن ... بكل ذلك يأتيك الجديدانِ

ففكروا رحمكم الله في أحبابكم وجيرانكم وأصحابكم وإخوانكم وآبائكم وأمهاتكم وأخواتكم والأباعد والأقارب، وذوي المودة والأجانب. قد استوحشت من أنفسكم الديار، وانقطعت بينهم الآثار، وبقوا رهناً في الأحداث بالأوزار. قد هجرهم الحبيب وسلاَ عنهم القريب، قد ضيقت عليهم اللحود، وسالت عيونهم على الخدود، وتمزقت عنهم الجلود، ودبت في أجسادهم الهوام والدود، وبقيت أرواحهم في البرزخ إلى اليوم الهائل الموعود. لم ينفعهم ما جمعوا، ولا حصَّنهم ما بنوا وشيدوا، ولا منعهم كلما صنعوا. صارت القبور لهم قراراً وفرت الأحباب عنهم فراراً. فانتبهوا يا معشر الإخوان، واجتهدوا في طاعة الرحمن من قبل مفارقة الأحباب والأوطان. وأنشدوا:

هي الأحداث تطرق أو تعاد ... وكل للمنية في مهادِ
وما يبقى الحمام إذا يوافي ... شديد البطش جبار القيادِ
فكم أسرى إلى ليث هصور ... وجبارٍ من الأجناد عادِ
فقل لأخي السلامة عش ملياً ... فإن الكون داعية الفسادِ
وكن في العمر لقمان بن عاد ... وهاك حمامَ لقمان بن عادِ
فإن المرء في أيدي المنايا ... أسيرٌ ما له منهن فادِ

[٣١٧] العبرة بالقبور

يا أخي إذا أردت أن تدري كيف حالك من بعدك فأخرج إلى القبور وانظرها وقد عَفَت، ومثِّل قبرك بين القبور. ثم انظر ماذا تحتاج إليه في قبرك فأكثر منه لطول مدتك فيه وهو العمل الصالح، فاما ما سوى ذلك فما لك حاجة في شيء من أمور الدنيا فإنه يصير عليك وبالاً في قبرك وحسرة، وانظر حالك الذي أنت عليه

إن كان يصلح للموت والقبر فتمادى عليه، وإن كان لا يصح لهذين فتب إلى الله تعالى منها وأرجع إلى ما يصلح. وأنشدوا:

كم تناسى القبور يا مغرور حفر ما بها لعاص سرورُ
وتعامى عنها وأنت تراها ورحاها على الأنام تدورُ
فاتق الله حق تقواه واحذر كلَّ هول يخافه المقبورُ
ودع اللهوَ والبطالةَ واعمل للتي عاجلاً إليها تصيرُ
تلك دار البقاءِ فكلُّ تقيٍ في رُبَاها مكرّمٌ محبورُ
ولعاصٍ مصر إن لم تنله رحمةُ الله مبعدٌ مثبورُ

[٣١٨] دعاء لأهل القبور

كان بعض الخائفين إذا خرج إلى القبور لا ترقأ دمعته ولا يأكل ولا يشرب ثلاثة أيام ويقول: ترى يا أحبائي ما لقيتم في بيوت الحسرات، آنس الله غربتكم، ورحم الله وحشتكم وبرد الله مضاجعكم، وهوَّن ما قدَّر عليكم مولاكم إنه سميعٌ قريبٌ نعم المولى ونعم النصير. ثم يأخذ في البكاء والنحيب. فالله الله أبكوا قبل أيام البكاء، واندبوا قبل يوم الأسى. وأنشدوا:

لاهٍ بدنياه والأيام تنعاهُ والقبر غايته واللحدُ مأواهُ
يلهو ولو كان يدري ما أُعِدَّ له إذاً لأحزنه ما كان ألهاهُ
أو ما جنت يده لو قد تَعرَّفه ويلاه مما جنت كفَّاهُ ويلاهُ

اعلموا عباد الله أن القبور على الأموات توابيت مقفولة، والأعمال في أعناقهم قلائد مجعولة وأرواحهم بالغداة والعشي إلى الجنة أوالنار محمولة وأنشدوا:

يا أيها الرجل المزخرف قبره ولعلَّه في جوفه مغلولُ
يا أيها الرجل المقيمُ بمنزلٍ فيه الحوادثُ ما أقامَ نزول
ألاَّ يغرك ملكه ونعيمه فالملك يفنى والنعيمُ يزولُ
وإذا حملت إلى القبور جنازةً فاعلم بأنك بعدها محمولُ

يا إخواننا مضى الأخوان ونحن على آثارهم فإنا لله وإنا إليه راجعون، قد عميت أبصارنا عن حقائق الأمور، وغفلنا عن الحمام ونسينا القبور.

[٣١٩] حكاية عن الأصمعي

يحكى عن الأصمعي رضي الله عنه أنه قال: مررت بأعرابي وهو واقف على مقبرة فقلت له: يا أخا العرب ما هذا الموضع الذي أنت فيه؟ فقال:

هذي منازلُ أقوامٍ عهدتهم ... في رغد عيش نفيس ما له خطرُ
صاحت بهم نائباتُ الدهر فانقلبوا ... إلى القبور فلا عينٌ ولا أثرُ

عباد الله من كان مصيره إلى القبر ما للفرح إليه سبيل، والقبر يناديه كلَّ يوم يقول له: لا بُدَّ لك مني فماذا قدمت لي من عمل صالح؟ وأنشدوا:

أجارُ الدهر ليس له جوارُ ... وحسن الظَّنِّ بالدنيا اغترارُ
إذا ما رمت يوماً كان يوماً ... ونقص البدر غايته السرارُ
ودع حرص الجبان على حياةٍ ... وأجمل إنَّ عُمَرَكَ مستعارُ
وذو الآمال منها في غمار ... وعند الموت ينكشفُ الغمارُ
ويرجو المرء أن يبقى سليماً ... ويأبى الليلُ ذلكَ والنهارُ
وهل تخطي المنيةُ نفسَ حيٍّ ... وهاديها رواحٌ وابتكارُ

[٣٢٠] حكاية عن الحسين

قيل كان الحسين رضي الله عنه إذا رأى القبور قال: ما أحسن ظواهرها وإنما الدواهي في بطونها. فالله الله عباد الله لا تشتغلوا بالدنيا فإن القبر بيت العمل، فاعملوا ولا تغفلوا وأنشدوا:

يا من بدنياه اشتغلْ ... وغرَّه طولُ الأملْ
الموت يأتي بغتةً ... والقبرُ صندوقُ العملْ

أخي: لو رأيت الميت في قبره بعد ثلاثة أيام لاستوحشت من فقده بعد طول الأنس بناحيته، ولو رأيت كيف تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخرقه الديدان مع تغير الريح وبلاء الأكفان بعد حسن الهيأة وطيب الريح ونقاء الثوب. وأنشدوا:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجالُ فلم تنفعهم القللُ
واستنزلوا من أعالي عز معقلهم ... واسكنوا حفراً يا بئس ما سكُنوا

ناداهم صارخٌ من بعد ما دفنوا أين الأسِرَّةُ والتيجانُ والحللُ
أين الوجوهُ التي كانت محجبةً من دونها تضرب الأستارُ والكللُ
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتلُ
قد طال ما أكلوا دهراً وما نعموا فأصبحوا بعدَ طولِ الأكل قد أُكلُوا

فيا معشر الشباب، تأهبوا للغدو إلى التراب، فإن الشيخ يكفيه مصيبة الشيب فإنه يمهد للقبر. وأنشدوا:

ما للشيوخ وللغدِ وإلى الملاهي والبكور
وهم غداً أو قبله أو بعده حشو القبور

[٣٢١] نداء القبر لساكنيه

عباد الله، ما من أحد لا مؤمن ولا فاجر إلاّ وقبره يناديه بكرةً وعشيةً إما بالبشرى والسرور وإما بالويل والثبور، فمن فكر فيه وفي وحشته، وضيقةُ وغمته، كان عليه أوسع من الدنيا وأفرج منها، وأبدله الله خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله، وجعل القبر خيراً من داره فأكثروا ذكره في الآناء والأوقات، وأطيعوا جبار الأرضين والسموات، عساه يجعله لكم روضةً من رياض الجنات، ويقيكم فيه الذلّ والحسرات. وأنشدوا:

قف بالمقابر واذكر إن وقفت بها لله درك ماذا تستر الحفر
ففيهم لك يا مغرورُ موعظةٌ وفيهم لك يا مغرور معتبرُ
كانوا ملوكاً تواريهم قصورُهُم دهراً فوارتهم من بعدها الحفرُ
الدودُ يأكل أقواماً منعمةً نعم ومن دونها الألواح والمَدَرُ
أعن رضاه ذاك عنهم أم على سخط هيهات ضلّت وحارت فيهم الفكرُ

[٣٢٢] بكر بن حماد

يحكى عن بكر بن حماد رحمه الله أنه خرج يوماً إلى القبور وجعل ينظر إلى امتداد القبور ويفكر في الأحباب والإخوان، والأصحاب والجيران. ثم بكى حتى طال بكاؤه وبلّت دموعُهُ لحيتَهُ ثم جعل يقول:

زرنا منازلَ قومٍ لا يزورونَا إنا لفي غفلةٍ عما يقاسونَا

لـو ينطقـون لقـالـوا الجـد ويحكـم ... جـدوا الـرحيـل فقـد آوى المقيمـونَـا
المـوت أحـدق بـالـدنيـا وعـزتهـا ... وفعلنـا فعـل قـوم لا يمـوتـونَـا
فـابكـوا كثيـراً فقـد حـق البكـاءُ لكـم ... فـالحـاملـون لعـرش الله بـاكـونَـا

فالله الله جدُّوا في العمل فإن القبر أمامكم، والموتَ يطلبكم يفرق ما جمعتم ويخرب ما قد بنيتم بقطع الأنفاس، وينقلكم إلى ضيق اللحود والأرماس، فمن قدم إلى القبر عملاً صالحاً وجده روضة من رياض الجنان، ومن لم يكن له عملاً وجده حفرة من حفر النيران، فاستعدوا له يا معشر الأصحاب والإخوان.

روي عن محمد بن السماك رحمه الله أنه قال: مررت بالمقابر فإذا مكتوب على قبر:

تمـر أقـاربـي جنبـات قبـري ... كـأن أقـاربـي لـم يعـرفـونـي
وذو الميـراث يقتسمـون مـالـي ... ومـا يـألـون إن جحـدوا ديـونـي
وقـد أخـذوا سهـامهـم وراحـوا ... فيـا لله أسـرع مـا نسـونـي!

عباد الله أفيقوا من سكرتكم من دار الغرور، وطاعة الشيطان المثبور، واعملوا لضيق اللحود والقبور.

[٣٢٣] حكاية عن أحمد بن أبي الحواري

حكي عن أحمد بن أبي الحواري رحمه الله أنه قال: خرجت يوماً للقبور فذكرت الموت في نفسي والبلاء فرأيت شاباً بين القبور قد استفرغه الخوف والبكاء وهو بين القبور منصرف فقلت له: من أين أقبلت أيها الفتى، فقال: من هذا المبرز، قلت: وأي شيء قلت لهم، قال: قلت لهم متى ترحلون؟، فقالوا: حين تقدمون!. ثم ولى عني وهو يبكي فتبعته فقلت له أين تريد؟ فقال: ألتمس العيش، فقلت له: كيف تلتمس العيش بين القبور!، فقال: وأي شيء هو العيش عندكم؟ قلت المال والبنون وأشباه ذلك من اللذات بالنساء والصبيان، فولى عني وهو يقول: أف لعيش يعقب أحزاناً، وندامة وأشجاناً. فقلت: وأي شيء هو العيش عندكم؟ قال إنما العيش عندنا هو الإقرار بتوحيد الله، والوقوف بفناء الله، والخضوع بين يدي الله والتلذذ بحلاوة مناجاة الله، فهناك تزدحم عليك أعلام الفوائد من الله تعالى وجميل العوائد قلت له: أخبرني عن الصادق لله في حبه متى يشتاق إلى لقائه؟ قال: إذا نزع

الله حب الدنيا من قلبه، وتبرم ببقائه بين خلقه. فحينئذٍ يشتاق إلى لقائه. قال: قلت له: أخبرني عن غاية الزهد في الدنيا، قال: ترك الحلال حتى لا يقع في الحرام، قال: قلت: أخبرني عن غاية الرضا بالله تعالى قال: إذا كنت راضياً بكل ما قدر الله تعالى وقضاه، وأحكمه وأمضاه، وانه هو المتفضل، على المتقين بفضله، والخاذل لمن شاء بعدله، قلت له: أخبرني عن غاية العبادة؟ قال: تجمع الهموم فتجعلها هماً واحداً حتى يستوي عندك العمران والخراب، وتكون خائفاً من الله تعالى كأنك تراه، فإن لن تكن تراه فإنه يراك. قلت له: كيف النجاة من مخالفة الناس؟ قال: إنما الناس رجلان عاقل وجاهل، فالعاقل اشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره، وقام مجتهداً بطاعة ربه فهو لا يلتفت إليك ولا إلى غيرك، وأما الجاهل فلا يبالي كيف ما كان عليه. فعليك بالبراري والقفار، والاستئناس بالواحد القهار، قلت: فمن أين القوت؟ قال: تهرب إلى الله تعالى وقد فتح لك باب التوكل عليه، ويضيعك حتى تتهمه في رزقك إنه رؤوف رحيم لا يسلمك. ثم تصافحنا وتفرقنا ودعا لي فما رأيت أنور قلباً منه. ووجد على قبر مكتوب:

تناجيك أجداثٌ وهنَّ سكوتُ ... وسكانها تحت الترابِ خفوتُ
فيا جامعَ الدنيا لغيرِ بلاغةٍ ... لمن تجمع الدنيا وأنت تموتُ

عباد الله ارحموا أنفسكم قبل نزول العذاب فإن القبر لا يرحم من ليس له عمل، ولا يشفق على من غرَّهُ طول الأمل، ولا يحن على من ضيع أيام المهل. وأنشدوا:

ما حالَ من سكن الثرى ما حالهُ؟ ... أمسى وقد صرمت هناك حبالُهْ
أمسى ولا روحُ الحياةِ تصيبه ... يوماً ولا لطف الحبيب ينالُهْ
أضحى وقد درست محاسن وجهه ... وتفرقت في قبره أوصالُهْ
واستبدلت منه المحاسنُ غبرةً ... وتقسمت من بعده أوصالُهْ
ما زالت الأيام تلعب بالفتى ... والمالُ يذهب صفوه وحلالُه

[٣٢٤] عيسى والمدينة الخربة

روي أن عيسى بن مريم عليه السلام دخل مدينة خربة فدخل قصراً من قصورها فنادى: يا خراب الأخر بين أين أهلك؟ فأجابه شيء من آخر القصر، يا ابن

مريم بادوا. فاجتهد ولا تفرط، فإن العظام قد بليت وبقيت أعمالهم في رقابهم. وأنشدوا:

قف بالقبور وقل على ساحاتها ... من منكم المغموم في ظلماتِهَا
ومَنْ المكرم منكم في قفرِهَا ... قدْ ذاق برد الأمن من روعاتِهَا
أماالسكون لدى العيون فواحدٌ ... لا يستبين الفضلَ في درجاتِهَا
لو جاوبوك لأخبروك بألسنٍ ... تصف الحقائق بعد من حالاتِهَا
أما المطيعُ فنازلٌ في روضة ... يفضي إلى ما شاء من راحاتِهَا
والمجرمُ الطاغي بها متقلبٌ ... في حفرةٍ يأوى إلى حيَّاتِهَا
وعقاربٌ تسعى إليه فروحة ... في شدة التعذيب من لذعاتِهَا

عباد الله ما لكم لا تفيقون من غفلاتكم، وتنتهون من نوماتكم، وتصحون من سكراتكم وتملون من شهواتكم، وتدعون الكثير من لذاتكم. وتذكرون هول المقابر، والمصير إلى ضيق الحفائر، فإن ملك الموت لا يأتيكم إلاّ على ألذ ما تكونون من طيب عيشكم ولذة دنياكم فبادروا قبل مبادرته بكم. وأنشدوا:

بناء الفتى في لهوه وعنائه ... متبختر يختال في لذاته
قد غره الأمل الكذوب ... فهمه في كل ما يدنيه من شهواته
إذ جاءه ملك النفوس بسكرة ... تركَه ملقى الجسم بين ثقاته
فتقطعت أسبابه وتخرمت ... وتنكر المعروف في حالاته
لا يستجيب لمن دعاه ولا يرى ... شقَّ الجيوب عليه حين وفاته

[٣٢٥] ابن عباس وابن الخطاب

ذكر في بعض الأخبار أن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم قتل فقال: أبشر يا أمير المؤمنين، قال: بماذا؟ قال: آمنت برسول الله ﷺ حين كفر به الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، ومات رسول الله ﷺ وهو عنك راض، ولم يختلف في خلافتك إثنان، وقتلت شهيداً، فقال له عمر رضي الله عنه: أعد عليَّ ما قلت، فأعاد عليه فقال: والذي لا إله غيره لو أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت لاقتديت به من هول المطلع فإذا كان هذا قول عمر رضي الله عنه إمام السنة، وحبيب الأمة،

وسراج أهل الجنة في الجنة، قال هذا عند الفراق والانقطاع وأشفق من هول المطلع، فكيف بأهل اللهو واللعب، والبهتان والكذب، أمثالنا الذين قطَّعوا أعمارهم في الذنوب، وأفنوا أيامهم في معصية علاَّمِ الغيوب، وغفلوا عن القبور، ولم يتفكروا في هول يوم النشور؟! والله أعلم وأنشدوا:

أراني كلَّ يوم في انتقاص ... وبعد لا يزول وطول هجرِ
وأيامي تمر بغير شيء ... وعمر المرء في الأيام يسري
ألا خطوا على قبري كتاباً ... وقولوا قبرَ ذي ظلم وغدرِ
أتى الدنيا وفارقها فقيراً ... وكل فتى على ذا النهج يجري
وقولوا حين أدفن أي عبدٍ ... أتى مولاهُ في ذلٍّ وفقرِ

حكي عن داود الطائي رحمه الله أنه مرَّ على امرأةٍ تبكي على قبرٍ وهي تقول:

عدمت الحياةَ ولا نلتها ... إذا أنت في القبر قد ألحدوكَا
فكيف أذوق لذيذَ الكرى ... وأنت بيمناك قد وسَّدُوكَا

قال داود: فلمَّا سمعت تذكرت في الأحباب والأخدان، والأصحاب والأخدان، لا يرى لهم آثار، ولا على الأرض منهم ديار:

أمرُّ على القبور وأرتقيها ... كأني ليس لي فيها حبيبُ
وأكره أن أسائلها فإني ... أراها حين تسأل لا تجيبُ

[٣٢٦] عظة نفيسة

عباد الله ما مضى من مضى إلى القبور الحالية من الأمم الخالية لتبقوا بعدهم إلاّ النذر اليسير الذي بقي من أعماركم ثم تنتبهون إلى القبور، وتخرجون من سعة القصور والدور. والحمد لله يا معشر المؤمنين وجماعة إخواني المسلمين جدوا واجتهدوا، وبالعمل الصالح فاستعدوا، وقدموا لأنفسكم ما تجدوه في المقابر، وابكوا عليها قبل حلولها في الحفائر. وأنشدوا:

لكل أناس مقبرٌ بفنائهم ... فهم في انتقاصٍ والقبور تزيدُ
وفي محشر المَوتى أمام قبورهم ... فما منهم من للحياة يعود

[٣٢٧] وأنشدوا

المرء رهنُ مصائبٍ لا تنتهي حتى يوارى جسمه في رمسه
فمؤخرٌ يلقى الردى في أهله ومقدمٌ يلقى الردى في نفسه

تذكر أيها المغرور أباك وإخوانك، وتذكر أهلك وجيرانك، وتذكر أحبابك وأخدانك أين الذين كانوا لك في الدنيا أحباباً، وفي أيام حياتك أصحاباً؟ صحبتهم وصحبوك، وذهبوا عنك وتركوك، وأوحشوا الأهل والأحباب، وفارقوا القرابة والأصحاب، قد ضمت أجسادهم المقابر، وغيرت أبشارهم الحفائر، وبقيت أرواحهم تنتظر يوماً تبلى فيه السرائر فمنهم من يجازى بنعيم وخلود، ومنهم من يردُ النار وبئس الورد المورود، أين لقمان بن عاد، أين ثمود وشداد، أين فرعون ذي الأوتاد، وأين من طغى في البلاد وأظهر فيها الفساد، ذهبت والله تلك الأجناد، وصاروا إلى ظلم القبور على غير مهاد ولا وساد. تذكر أيها الغافل أين الملوك الأكابر، وأين الطغاة الجبابر، وأين الذين جمعوا الأموال والذخائر، وقادوا الجيوش والعساكر، وكانت الخطباء تذكرهم على المنابر حوَّلتهم والله النوائب إلى الحفائر، وبقوا مرتهنين بأعمالهم في ظلمات المقابر، ونزلوا على ما قدموا من ذخائر الأعمال قد قطعت الديدان أوصالهم، وغير البلاء أحوالهم. قد سالت العيون منهم على الخدود، وصارت لحومهم قوتاً للهوام والدود، وقسمت من بعد دفنهم في التراب أموالهم، ونكحت من عدوهم عيالهم وأنشدوا:

هل كان قبلك للذات مرتاحاً لو شفه ذكر ذنب قد مضى ناحَا
لله عبد جنى ذنباً فأحزنه فظل حيران يذري الدمع سفاحَا
فاسفح دموعك عن ذنب أصبت به فرب دمعٍ جرى للخير مفتاحَا
ورب عين رآها الله باكيةً خوف القبور ستلقى الرُّوحَ والرَّاحَا
مستعبرٌ قلقٌ مستيقظٌ فطِنٌ كأنَّ في قلبه للنورِ مصباحَا
يا صاحبيَّ دعا التسويف ويحكما واستبدلا بفساد الدين إصلاحَا
لا تأمنن وقوع الموت إنَّ له لأنفساً من جميع الخلق مجتاحَا
إن لم يبيتهم ناداهم سحراً وإن تأخر عن تبكيرهم راحَا
لا يترك الموت بيتاً حشوه فرح إلاّ أعاضهم ذلاً وأتراحَا
أهل القبور أبينوا عن قبورِكم هل تستطيعون لي بالرد إفصاحَا

مـاذا لقيتم ومـاذا بعـد قيـل لكـم ... لمـا فقـدتـم مـن الأجسـاد أرواحَـا
يعـزز علـيَّ بـأبـدان منعمـة ... أمسـى بها الـدودُ جـوّالاً وسـواحَـا
النـاس فـي غفلـة عمـا يـراد بهـم ... من كـان ذا بصـرٍ فـالصبحُ قـد لاحَـا

[٣٢٨] حكاية عن ابن السماك

حكي عن ابن السماك رحمه الله أنه حضر يوماً جنازة فلما نظر إلى القبور بكى وقال لأصحابه: معشرَ الإخوان ألا متأهب لموت يوصف له يراه أمامه، ألا مستعد ليوم فقره ونزوله إلى حفرته وقبره، ألا شاب عازم قد بارز لمنيته، ألا من ليس يغيره شباب متنه ولا شدة قوته، الا شيخ قد بادر لانقضاء مدته فشمر السَّيَر فيما بقي من رمقه، ماذا ينتظر من دَفَنَ أباه، وقرَّ أمَّه وأخاه؟ ما فرح من القبر مأواه؛ والتراب فراشه وغطاه. وأنشدوا:

ألا إنمـا الـدنيـا بـلاءٌ وفتنـةٌ ... وبينـا الفتـى فيهـا مهـابٌ مسـوَّدُ
إذا انقلبـت عنـه وزالَ نعيمُهـا ... فـأصبـح مـن تـربِ القبـورِ يمهـدُ
فكـن خـائفـاً للمـوت والقبـر بعـده ... ولا تـكُ ممـن غـره اليـوم أو غـدُ

حكي عن بعض الصالحين رحمه الله أنه قال: دخلت على مريض وهو في شدة السكرات فقلت له: كيف تجدك؟ فبكى ثم قال:

رحلتُ عـن الـدنيا وقـامـت قيـامتـي ... غـداةَ أقـلَّ الحـاملـون جنـازتـي
وعجـل أهلـي حفـرَ قبـري وصيَّـروا ... خـروجـي وتعجيلـي إليـه كـرامتـي
كـأنهـم لـم يعـرفـوا قـطُّ صـورتـي ... غـداةَ أتـى يـومـي علـيَّ وسـاعتـي

إخواني ما هذا لمن مضى، بل والله لمن مضى ولمن بقى، لا بد من القبر ووحشته، ومن الموت وسكرته، فانظروا لأنفسكم ما دام النظر ينفعكم، وتفكروا في وحشة القبر ما دام التفكر يباح لكم، من قبل وقوع السكرة ونزول الحسرة، وحيث لا تقال العثرة. فإن الأيام غرور، وهي طريق إلى القبور. وأنشدوا:

مـا للمقـابـر لا تجيـب ... إذا دعـاهـن اللبيـبْ
حفـر يستـرفـوقهـن مـن ... الجنـادل والكثيـبْ
فيهـن أطفـالٌ وولـ ... ـدانٌ وشبـانٌ وسيـبْ
كـم مـن حميـم لـم يكـن ... نفسـي بفـرقتـه تطيـبْ

غـــادرتـــه فـــي بعضهـــن مجنـــدلاً وهـــو الحبيـــبْ

[٣٢٩] حكاية عن بعض الصالحين

حكي أن رجلاً من الصالحين رحمه الله حضر جنازة، فلما وضعوها في قبرها وانصرف أهلها، وقف على قبر صديقٌ له فناداه: يا حبيب. يا فلان الصديق فلم يجبه أحد، فأنشأ يقول:

أحبيـبُ مـالـك لا تجيـب منـاديـاً   أنسيـت بعـدي جملـة الأحبـاب

فأجابه مجيب يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول:

قـال الحبيـب وكيـف لـي بجـوابكـم   وأنـا رهيـن جنـادل وتـرابِ
أكـل التـرابُ محـاسنـي ونسيتكـم   وحجبـت عـن أهلـي وعـن أحبـابـي
فعليكـم منـي السـلام تقطعـت   منـي ومنكـم عقـدةُ الأنسـابِ

يا مسكين فهذه صفتكم وصفة إخوانكم وأحبابكم وجيرانكم وأصحابكم فاعتبروا بهم وعظوا أنفسكم وأبكوا طول حياتكم، أيام وحشتكم، وبعد رقدتكم، وطول غربتكم وانفرادكم في قبوركم ووحدتكم، فعسى الله مولاكم أن يرحمكم فيؤنسكم فيها بأنس كرامته، وينورها بنور مغفرته، ويجعلها لكم أول منزلة من منازل الجنة، وينجيكم فيها من كل عذاب ومحنة، إنه المنان الكريم، المتفضل الرحيم.

[٣٣٠] موعظة ابن عباس

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ارحم ما يكون المولى جل جلاله بعبده إذا دخل قبره، وتفرق الناس وأهله، فمن أكثر من ذكره وجده روضة من رياض الجنة. وما من يوم إلاّ والأرض تنادي بخمس كلمات، يا ابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك إلى بطني، يا ابن آدم تضحك على ظهري وسوف تبكي في بطني، يا ابن آدم تفرح على ظهري سوف تحزن في بطني، يا ابن آدم تذنب على ظهري وسوف تعذب في بطني، يا ابن آدم تأكل الحرام على ظهري وسوف يأكلك الدود في بطني، يا ابن آدم كم من محسود في حياته يود إذا نزل في حفرته لو كان كل ما جمعه وخلفه لأعدائه وحساده، فكم من تارك لعياله ما يصلحهم لمعادهم

ويكون هو في قبره أو في رمسه مثبوراً. وأنشدوا:

أخلـــق المـــوتُ جـــدَّتـــي ... ومحـــا حسنـــي البلَـــى
صـــرت بيـــن النعيـــم فـــي ... منـــزل البعـــد والقِلَـــى
وجفـــانـــي أحبتـــي ... حيـــن غيبـــت فـــي الفـــلاَ

يا أخي تفكر في تلك الأكفان. وتغير الروائح وصولة الديدان، ونهش العقارب والحيات، والكون تحت أطباق الثرى والظلمات. وانظروا إلى أحبابكم في بسط الأرماس، كيف عدموا الأناس والحرَّاس، وانقطعت عنهم الحركات وسكنت منهم الأنفاس وأنشدوا:

أتعمـى عـن الـدنيـا وأنـت بصيـرُ ... وتجهـل مـا فيهـا وأنـت خبيـرُ
وتصبـح تبنيهـا كـأنـك خـالـد ... لقـد كـان فيمـا قـد بلـوت نـذيـر
متـى أبصـرت عينـاك أمـر ولـم يكـن ... يخبـرنـا أن البقـاءَ يسيـرُ
فـدونـك فـاصنـع كلمـا أنـت صـانـعٌ ... فـإن بيـوتَ المتقيـن قبـورُ

[٣٣١] حكاية عن الحسن البصري

يحكى عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه نظر إلى جنازة قد وضعت في لحدها فقال: يا لها من موعظة بليغة لو صادفت قلوباً حية، والله لقد فضح الموت الدنيا ولم يترك فيها لذي نسب فرحاً. ثم أشار إلى امتداد القبور فبكى وقال: هؤلاء أهل محلة قد كفى من جلس إليهم شرهم، وإن ترحم عبد عليهم وصل إليهم ما ترحم به. عباد الله اعلموا أن القبور منزلة بين الدنيا والآخرة فاعملوا لمثل هذا اليوم فإنما هم إخوانكم تقدموا وأنتم في الأثر، أيها المتخلف من بعد أخيه أنت الميت من بعده غداً والباقي بعدك هو الميت في أثرك، الأول فالأول حتى يتوفوا جميعاً فكأنا بكم قد عمكم الموت واستويتم جميعاً في سكراته، وحللتم جميعاً في القبور إلى يوم النشور. فالله الله تفكروا في طول البلاء في ظلمات بين أطباق الثرى. وأنشدوا:

أخـي مـا بـال قلبـك ليـس ينقـى ... كـأنـك لا تظـن المـوت حقّـا
أيـا ابـن الـذيـن فنـوا وبـادوا ... أمـا والله مـا بـادُوا وتبقَـى
ومـا أحـدٌ بـزادك منـك أحظَـى ... ومـا أحـدٌ بـزادك منـك أشقَـىَ

ومـا للنفـسِ عنـدك مستقـرٌ إذا مـا استكملـت أجـلاً ورزقـا

تفكروا في الملوك العتاة، والجبابرة والطغاة، الذين عمروا الدنيا وملكوها وأقطارها، وسكنوا المشيد من قصورها، كانوا أشد منكم قوة وآثاراً، وأقوى أجساماً وأطول أعماراً خلفوا ما كسبوا للأهل والأحباب، وعمر ديارهم من بعدهم الأصحاب، وانصرم عنهم الليل والنهار، ونزلوا على ما عملوا من الأوزار، فلو أبصرتموهم بعد قليل في ظلماتِ القبور وقد تقطعت منهم الجلود، وتمزقت الخدود، وضيقت على أبدانهم اللحود، واتخذ الخليل من بعدهم خليلاً وصارت أبدانهمْ للدود مقيلاً. فتفكر يا أخي وكن إلى التوبة مسرعاً عجولاً، ولا تطع الشيطان إنه كان للإنسان خذولاً، وكونوا أولياء الرحمن ولا تكونوا أولياء الشيطان، فعسى الله أن ينجيكم من عذاب النيران، ويدخلكم برحمته الجنان. وأنشدوا:

اعمـل لمثـواك فـي الضـريـح وانـدم علـى فعلـك القبيـحِ
ولا تقصـر وفيـك روحٌ فسـوف تبقـى بغيـر روحِ
واقـرح الخـد مـن دمـوع بـالجـد مـن قلبـك القـريـحِ
والتمـس الصفـح قبـل يـوم تنقـل فيـه إلـى الصفيـحِ
يـا نفـسَ إنِّـي غـداً طـريـح والتـرب يحثـى علـى الطـريـحِ
نـوحـي فلـو قـد حـواك قبـر لـم تقـدري فيـه أن تنـوحـي

أحبابي قوموا بنا إلى الحزن والبكاء وإلى طول الأسف والأسى، لعل الله يرحمنا في ظلمات القبر وعسى، فإن القبر ينادي في الصباح والمسا.

قيل وقف بعض الصالحين في المقابر وأنشأ يقول:

أغضـاب أحبـابنـا أم رقـود فـإلـى كـم يكـون هـذا الصـدودُ
إن تكـونـوا قـومـاً نيـامـاً فهبـوا كـم تنـامـوا عنـا ونحـنُ قعـودُ
أو تكـونـوا هجـرتمـونـا بـذنـب كـان منـا فـإننـا لا نعـودُ

حكي عن بعضهم رضي الله عنه أنه قال: مات لي صديق فاغتممت عليه لما كان فيه من الصلاح والخير وحسن الطريقة، فرأيته بعد موته في المنام فسألته عن حاله فأنشأ يقول:

أنــا لكــم إخــوتــي نــذيــر مــن هــول مــا ضمــت القبــورُ
عــاينــت مــا لــم تعــاينــوه وإنمــا يبتلــى الخبيــرُ
إنَّ الــذي حــلَّ بــي جليــل جِـداً فقــد أُعــذِرَ النــذيــرُ
فــإنمــا أنــت فــي غــرورٍ فــلا يغــرنَّــك الغــرورُ
فــإن قــدامــك المنــايــا والقبــرُ والبعــثُ والنشــورُ
إمــا إلــى جنــة وإمــا إلــى حجيــم لهــا سعيــرُ

فالله الله يا معشر الإسلام انتبهوا من ثقل هذا المنام، فإن أمامكم وحشةَ القبور بعد سكرات هول الحمام، فمن ضيع في البطالة، والجهالة أيامه، وكثرت في صحيفته أوزاره وآثامه فمقام الحسرة غداً في القبر مقامه. وأنشدوا:

أبصــر وتــب يــا رجــلُ قــد أزف التنقــلُ
إلــى محــل (ضيِّــق) تــذهــب فيــه الحيــلُ
مــالــك فيــه مــؤنــسُ إلاّ التقــى والعمــلُ
أي غــلامٍ قــام فــي محــرابــه يبتهــلُ
يقــولُ فــي سجــدتــه ودمعــه ينهمــلُ
يــا ظــاهــر يــا بــاطــن يــا مــالــك لا تعجــلُ
اغفــر ذنــوبــي كلهــا فشــأنــك التفضــلُ
وتــب علــيَّ تــوبــة فهــي المنــى والأمــلُ

[٣٣٢] نبَّاش القبور

روي عن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال: بينما نحن جلوس في مجلس ابن عباس رضي الله عنهما إذ وقف رجل بين يديه فقال: يا ابن عباس ما أذل العاصين بين يدي الله تعالى وما أحسن المبادرين إلى طاعة الله تعالى يا ابن عباس: ما أغفل المذنبين عن قرب الجليل، وأشد تخليط من لم يوفق بالرحيل. قال: ثم خرج. فقام إلى ابن عباس بعض جلسائه فقال له: يا ابن عباس إن هذا الفتى نبَّاشُ وإنما يتستر بهذه المقالة، فإذا جن عليه الليل خرج إلى المقابر فنبش فيعري الموتى من أكفانهم. قال ابن عباس: لا أصدق مثل هذا حتى أراه بعيني وألمسه بكفي. فقال له الرجل: إن شئت لأرينك ذلك. فقال: قد شئت. فلما هجم الليل إذا الفتى قد

أقبل وفي يده اليمنى قنديل وفي اليسرى غلٌّ حتى توسط المقابر، ثم رمى بطرفه شاخصاً وقال: سلامٌ عليكم أهل مضايق اللحود، ومطعم البلاء والدود، ما أبعد سفركم، وما أوحش طريقكم، فليت شعري ما حالكم ارتهنتم بأعمالكم وقطعتم دون آمالكم، بل ليت شعري أندم الحياة حل بكم، أم فرح البشرى بالقدوم على ربكم. سبقتمونا فلبيتم، وأجبتم قبلنا إذ دعيتم، ونحن للقدوم عليكم منتظرون، وللمنهل الذي وردتموه واردون، فبارك الله لنا ولكم على القدوم عليه، ورحمنا إذا صرنا إلى ما صرتم إليه. ثم نزل في قبر قد احتفره لنفسه فوضع خده على شفير اللحد وجعل ينادي، يا ويلتي إذا دخلت في قبري وحدي ونطقت الأرض من تحتي فتقول لي: لا مرحباً ولا أهلاً، ولا سعة ولا سهلاً بمن كنت أمقته وهو على ظهري، فكيف وقد صرت اليوم في بطني لأضيقن (عليك) أرجائي، ولأذيقنك مكروه بلائي. ويلي إذا خرجت من لحدي حاملاً وزري على ظهري وقد تبرأ مني أبي وأمي. بل ويل من طول كذبي إذا أسمعني منادي ربي أين فلان بن فلانة فأبرزت من بين جيرتي، وقد بدت إلى الناس سريرتي، وقمت عرياناً ذليلاً، وقاسيت كرباً طويلاً. ثم أساق إلى أرض القيامة للعرض، والوقوف بين يدي جبار السموات والأرض. ويلي إذا وقفت أمام ربي فقال لي: عبدي استترت بمعصيتي عن المخلوقين، وبارزتني بها وأنا عليك من أكبر الشاهدين، أفكنت عليك من أهون الناظرين إليك؟ ثم خرَّ مغشياً عليه فلما أفاق رفع رأسه إلى السماء فقال: يا ذخري ويا ذخيرتي ومن هو أعلم بطويتي وسريرتي، يا من عليه اعتمادي في حياتي، ومن إليه ألجأ بعد مماتي، لا تخذلني بعد الموت، ولا توحشني في قبري يا سامع كلَّ صوت، فلما سمع ابن عباس مقالته لم يتمالك أن سعى حتى وقف على شفير القبر وجعل ينادي، لبيك لبيك حبيبي ما أنبشك للذنوب والخطايا، هكذا تنبش الذنوب وتمزق الخطايا. ثم التفت إلى الذي سعى به وقال له: يا عبدالله هكذا فاصنع كلما علمت بمثل هذا النباش، فأرشده إلى ابن عباس، فما أحبه وآثره لديه، يا ليت كل النابشين مثله. وأنشأ يقول:

قف بنا بالقبور نبكي طويلاً ونداوي بالدمع داء جليلاً
فعسى الدمعُ أن يبرد منا بعض لوعاتنا ويشفى الغليلاَ
وننادي الأحباب كيف وجدتم سكرةَ الموتِ بعدنا والمقيلاَ

لـو أطـاقـوا الجـواب قـالـوا وجـدنـا سكــرةً تتــرك العــزيــزَ ذليــلاَ
بــدلــوا بعــد القصــور قبــوراً ثــم بعــد اللبــاس ردمــاً ثقيــلاَ

عباد الله اعملوا لظلمة القبر قبل فوات العمل، وبادروا بالتوبة قبل انقضاء الأجل، واشعلوا في قلوبكم نيران الخوف والوجل، وتزودوا للقبر بينما أنتم في فسحة ومهل، فإن الموت آت، والعمر فات، والطريق طويل، والزاد قليل، وهول القبر ثقيل. وأنشدوا:

تضــرع فــي دجــى الليــل إلــى مــولاك يكفيكَــا
ولا تــأمــن هجــوم المــو تِ إن المــوتَ يــأتيكَــا
كــأنِّــي بــالــذي يهــوا ك فــي القبــر يــدليكَــا
وقــد أفــردت فــي لحــدك فــرداً بمســاويكَــا
وأسلمــك الــذي قــد كــا ن فــي الــدنيــا يصــافيكَــا
فيــا ســؤلــي ويــا ذخــري وكــل الخلــق راجيكَــا
ويــا مــن ليــس منــا أحــدٌ يحصــى أيــاديكَــا
تجــاوز عــن مقــال ثــم حقــق أملــي فيكَــا

يا أخي قم بين يدي مولاك إذا دخل الليل البهيم، وأسأله لعله يكفيك في قبرك العذاب الأليم.

[٣٣٣] حكاية عن ابن الأسود

حكي عن الحجاج بن الأسود أنه قال: رأيت في المنام كأني دخلت في المقابر فإذا أهلها نيام قي قبورهم وقد تشققت الأرض عنهم، فمنهم النائم على التراب، ومنهم النائم على القباطي، ومنهم النائم على السندس، ومنهم النائم على الإستبرق، ومنهم النائم على الحرير، ومنهم النائم على الديباج، ومنهم النائم على الياسمين والريحان، ومنهم النائم كالمتبسم في نومه، ومنهم حائل اللون، ومنهم من قد أشرق نوره، ومنهم من قد اشتد كربه، ومنهم من قد اغتم في ضيق القبر ووحشته. فبكيت في منامي مما رأيت ثم قلت: يا رب لو شئت لسويت بينهم في الكرامة! فناداني مناد من بينهم: يا حجاج هذا الذي تراه من تفاضل الأحوال إنما هي منازل الأعمال، ولكل امرىء منهم ما قدم. فاستيقظت فزعاً مرعوباً. وأنشدوا:

تحـرك إن قـدرت وقـم طـويـلاً ... فسـوف يطـول نـومـك فـي التـرابِ
وحقـق مـا تقـول فـأنـت عبـدٌ ... تسـاءل ثـم تطلـب بـالجـوابِ
وكفـر مـا عملـت وكـن مُجِـدّاً ... وتـب لله تسعـد بـالمَتَـابِ

عباد الله ليس لكم دواء من جميع أمراض الشهوات إلاّ التوبة، والندم على ما سلف وحسن الأوبة لعل الله يغفر لكم ما عقدتم عليه من الضمائر، وما طويتم عليه خفيات السرائر، وينور لكم في ظلمات الأجداث وضيق القبور ووحشة الحفائر.

وأنشدوا:

نعت نفسهـا الـدنيـا إلينـا فـأسمعـت ... ونـادت ألا جـدوا الـرحيـل وودعـتْ
وزمـت مطـايـانـا إلـى بـرزخ البلـى ... وسـاقـت بنـا سـوقـاً حثيثـاً فـأسـرعـتْ
سـلامٌ علـى أهـل القبـور أحبتـي ... لقـد بليـت أجسـامهـم وتقطعـتْ
فمـا مـوَّت الأحيـاء إلا ليبعثـوا ... يقينـاً وتجـزى كـلُّ نفسٍ بمـا سعـتْ

عباد الله ما لكم تدعون إلى الرجوع إلى الله فلا تجيبون، والموت والقبر فلا تذكرون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب السامعون والواعظون. وبقي الجاهلون والغافلون. فلا سامع يعي ويسمع، ولا واعظ يداوي وينفع. كل قد شغل بالأماني والغرور، ونسي الرحيل إلى القبور. ووجد على قبر مكتوباً:

لا تثـق بـالحيـاة مـن بعـد قبـري ... كـلُّ حـي مصيـره كمصيـرِي
كنـت فـي نعمـة وفـي خفـض عيشٍ ... فمضـى وانقضـى كيـوم قصيـرِ
ثـم أفـرِدْتُ فـي القبـور وحيـداً ... وجفـانـي الصـديـقُ فـوق القبـورِ

[٣٣٤] حديث في منكر ونكير

روي أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام ليلة الإسراء: «كفى بالموت طامة» فقال جبريل عليه السلام: ما بعد الموت أطم منه وأعظم. فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك يا جبريل؟» قال: الملكان الأزرقان الأسودان يطآن في شعورهما، ويخرقان الأرض بأنيابهما، بيد كل واحد منهما عمودٌ لو ضرب به الجبال لقلعها من أصولها، أعينهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، يبتلي بهما كل مؤمن وكافر، فيأتيانه في قبره فيروعانه ويقعدانه ويعرضان عليه عمله، ويريانه مقعده من الجنة أو النار. فقال ﷺ: «أما الكافر لهما أن

يروعانه ويفعلان به ذلك، وأما المؤمن فكيف؟» قال جبريل عليه السلام: كذلك أمر ربك يا محمد فأما الكافر فلا يجد من عذاب الله فترة من حين يدخل قبره، وأما المؤمن فتكون له تلك الروعة كفارة لما مضى من ذنوبه في الدنيا فإذا خرج من قبره خرج مغفوراً له ثم لا يدري روعة بعدها أبداً.

[٣٣٥] غرور

ذكر أن بعض الملوك بنى قصراً وشيّده فأعجب بذلك وسرّ به، فلما كان في بعض الليل سمع قائلاً يقول:

كأني بهذا القصر قد باد أهله ... وأوحش منه أهله ومنازله
وصار مشيدُ القصر من بعد بهجة ... وملك إلى قبر عليه جنادله
ولم يبق إلاّ ذكره وحديثه ... تنادى بليل معولات حلائله
فخذ عدةً للموتِ إنك ميتٌ ... وإنك مسؤول فما أنت قائله؟

فأجابه الملك وهو يقول:

أقولُ بأنَّ الله حقٌ شهدته ... فذلك قول ليس تخفى فضائله

فأجابه الهاتف وهو يقول:

(فوالله يا فدم) إنك ميتٌ ... وقد أزف الأمر الذي أنت نازله

فأجابه الملك وهو يقول:

متى ذاك حدثني هديت فإنني ... سأفعل ما قد قلته وأعاجله؟

فأجابه الهاتف وهو يقول:

تقيم ثلاثاً بعد عشرين ليلة ... إلى منتهى شهر وما أنت كامله

قال: فلم يتم الشهر حتى مات. وقال بعض الشعراء في هذا المعنى:

تمنت نفسه قصراً مشيداً ... يلذ به ليعمره جديدا
فلما تم عاجله حمام ... فأخرجه إلى جدث فريدا
فقل لذوي الترجح في الأماني ... ولا يبغون في التقوى مزيدا
تهابوا الموت إن له مجالاً ... فما يبقى الكبير ولا الوليدا
ويختطف الملوك ذوي المعالي ... ولا يخشى الجيوش ولا الجنودا

[٣٣٦] الملك الزاهد

حكي عن عباد المهلبي أنه قال: كان رجل من ملوك البصرة ترك الدنيا وتعبد ثم بعد ذلك مال إلى الدنيا وغرورها فبنى داراً وشيَّدها وأمر بفرشها ففرشت الدار ونجدت، وأمر أن يصنع طعام ودعا الناس إليه فجعلوا يدخلون ويأكلون ويشربون وينظرون إلى بنائه ويعجبون منه ثم يدعون له ويتفرقون عنه، فمكث بذلك زماناً حتى فرغ من أمر الناس ثم أجلس نفراً من خاصة إخوانه فقال لهم: أترون سروري بداري هذه وقد حدثتني نفسي أن أتخذ لكل واحد من أولادي مثل هذه فأقيموا عندي أياماً استمتع بحديثكم، فأقاموا عنده أياماً يأكلون ويشربون ويلهون ويلعبون وشاورهم كيف يريد أن يبني، إذ سمعوا ذات ليلة هاتفاً يقول بصوت جهير:

يا أيها الرجلُ الناسي منيته	لا تأمنن فإن الموت مكتوبُ
على الخلائق إن سروا وإن كرهوا	فالموت حتم لذي الآمال منصوبُ
لا تبنين دياراً لست ساكنها	وراجع النسك كيما يغفر الحوبُ

قال فخرج وخرج أصحابه وراعهم ما سمعوا، ثم قال لأصحابه: هل تجدون ما أجد؟ قالوا: وما تجد؟ قال: أجد مسكة على فؤادي وما أراها إلاّ علة الموت، ثم أمر بالشراب فأهريق وأمر بالملاهي فأخرجت ثم قال: اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك ومن حضر من عبادك أني تائب إليك من جميع ذنوبي، نادم على ما فرطت في أيام مهلتي. ثم اشتد به الأمر فلم يزل يقول: الموت حتى خرجت روحه، وتفرق أحبابه عنه وأصحابه. وأنشدوا:

يا عجباً للناس لو أبصروا	وحاسبوا النفس وقد فكروا
واعتبروا الدنيا إلى غيرها	فإنما الدنيا لهم معبرُ
والموعدُ الموتُ وما بعده	حشرٌ فذاك الموعد الأكبرُ
عجبت للإنسان في فخره	وهو غداً في وحشة يقبر
ما بال من أوله نطفة	وجيفة آخرهُ يفخرُ!؟
أصبح لا يملك تعجيل ما	يرجو ولا تأخير ما يحذرُ
وأصبح الأمر إلى ربِّه	في كلِّ ما يقضي وما يقدرُ

لا فخـــر إلاّ فخـــر أهـــل التقـــى		غـــداً إذا ضمهـــمُ المحشـــرُ

[٣٣٧] موعظة للبهلول

حكي عن بعض السادات أنه قال: نظر إليَّ بهلول وأنا أبني داراً فقال: لمن هذا الدار؟، فقلت: لرجل من كبار أهل الكوفة، فقال: أرنيه فأريته إياه، فناداه: يا هذا لقد تعجلت الجناية قبل العناية، إسمع إلى صفة دار كونها العزيز أساسها المسك وبلاطها العنبر اشتراها عبد أزعج للرحيل كتب على نفسه كتاباً وأشهد على عقد ضمائره شهوداً هذا ما اشترى العبد الجافي من الرب الوافي اشترى منه هذه الدار بالخروج من ذل الطمع إلى عز الورع، فما أدرك المشتري من درك فيما اشتراه فعلى المولى خلاص ذلك. شهد على ذلك العقد وهو الأمن والخواطر وذلك في إدبار الدنيا وإقبال الآخرة، ولهذا الدار حدود أربع، فالحد الأول ينتهي إلى مبادىء الصفا، والحد الثاني إلى ترك أخلاق الجفا، والحد الثالث ينتهي إلى مدارج أهل الوفا، والحد الرابع ينتهي إلى السكون والتسليم والرضا في جوار من على العرش استوى، ولهذه الدار شارع ينتهي إلى دار الخلد والسلام وخيام قد ملئت بالولدان والخزام ليس فيها أسقام ولا ضر ولا آلام، ولا يذوق ساكن هذه الأماكن سكرات الحمام. يا لها من دار لا ينقضي نعيمها، ولا يبيد كريمها، دار أسست فجعل من الدر والياقوت شرف تلك الحدود، وجعل بلاطها من البهاء والنور، وملىء خيامها من جوار بهن كمل السرور، من العين الحور، ليس لهن سوى الدين والتقوى مهور، فترك الرجل قصره وتاب إلى الله عز وجل وهام على وجهه وجعل البهلول ينادي خلفه ويقول:

يـــا ذا الـــذي طلـــب الجنـــان لنفســـه		لا تهـــربـــن فـــإنـــه يعطيكـــا

وأنشدوا:

طـــاب المقـــام وطـــاب فيـــه نعيمـــه		فـــي دار عـــدن والجليـــل يـــراه

فالله الله يا عباد الله لا تغتروا ببناء الدور، وتشييد القصور، فعما قليل تخرب وتخرجون منها إلى ضيق اللحود وظلمات القبور وأنشدوا:

ســـلامٌ علـــى أهـــل القبـــور الـــداورس		كـــأنهـــم لـــم يجلســـوا فـــي المجـــالـــس

ولـم يشـربــوا مـن بـارِد المـاء شـربـةً ولـم يـأكـلـوا مـن كـلٍّ رطـب ويـابـسِ

فيا معشر أهل الدنيا تفقدوا أهل القبور بالدعاء الحسن وتلاوة القرآن.

[٣٣٨] حديث في هدية أهل القبور

فإنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من دخل المقابر وقرأ قل هو الله أحد عشر مرة وأهدى ثوابها للموتى، غفر الله تعالى للموتى وأدخل في قبورهم النور والسرور، ويكتب الله تعالى للقارىء بكل ميت مات من يوم أهبط الله آدم إلى الأرض إلى يوم القيامة عشر حسنات».

[٣٣٩] الصدقة والدعاء للميت

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أهدوا إلى موتاكم» قيل: وما نهدي يا رسول الله إلى الموتى؟ قال: «الصدقة والدعاء» وما من أهل بيت يموت منهم ميت يتصدقون عنه بعد موته إلاّ أهداها له جبريل عليه السلام على طبق من نور، فيقف على شفير القبر فيقول: يا صاحب القبر هدية أهداها إليك أهلك اقبلها، فتدخل عليه فيفرح بها ويستبشر ويحزن جيرانه الذين لا يهدى إليهم شيء فالله لا تغفلوا عن موتاكم ولا تنسوهم من الصدقة والدعاء فإنكم تدخلون عليهم بذلك السرور، ويغتبطون بها في القبور.

[٣٤٠] رجاء الأموات للأحياء

وقد جاء في الحديث أن الموتى يرجون الأحياء من الأحباب إلى رأس أربعين سنة، فمن أيأسهم أيأسه الله رحمته، ومن فرحهم أكرمه تعالى بتحيته. وفقنا الله وإياكم للأعمال الصالحة، وأعاننا وإياكم على طلب الرغائب والخيرات آمين برحمته فإنه مجيب الدعوات وقاضي الحاجات، ومقيل العثرات وصلى الله على من أخرجنا من الظلمات إلى النور المطهر من الآفات، المجتنى من أطيب الثمرات، وعليه منا أطيب السلام والتحيات، ما دامت الأرض والسموات، آمين آمين فهو مجيب الدعوات وقاضي الحاجات، وغافر الذنوب والزلاّت، آنس الله وحشتي ووحشتكم في القبور، وآنس روعتي وروعتكم يوم النشور وأحلنا وإياكم برحمته دار السرور. آمين آمين.

١٣

مجلس في فضل الصيام

[٣٤١] قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ [البقرة: ١٨٣] أيها الغافل عن الثواب الكثير، والساهي عن الملك الكبير، واللاهي عن لباس السندس والحرير، المتقاعد عن اليوم العبوس القمطرير، النائم عما أتى به محمد البشير النذير، الذي أنقذنا الله به من جهنم وحر السعير. يا غافل يا ساهي أتاك شهر رمضان، المتضمن للرحمة والغفران، وأنت مصر على الذنوب والعصيان، مقيم على الآثام والعدوان متمادي في الجهالة والطغيان، متكلم بالغيبة والبهتان، متعرض لسخط الرحمن، قد تمكن من قلبك الشيطان، فألقى فيه الغفلة والنسيان، فأنساك نعيم الخلد والجنان، فظللت تعمل أعمال أهل النيران فإن كنت يا مسكين كذلك فكيف ترجو الفوز بالرضوان، والحلول في دار الخلد والأمان، والخلاص من دار العقوبة والهوان. وأنت مطعمك حرام، ولباسك حرام، ولسانك لا يفتر عن قبيح الكلام وبصرك حديد إلى ما حرَّم من الحرام عليك ذو الجلال والإكرام، ويدك ممدودة إلى ما نهاك عنه الملك العلام، وقدمك تسعى إلى ما هو إثم وحرام، وأنت في جميع أمورك وأفعالك مخالف للقرآن والأحكام، تارك لسنة محمد عليه الصلاة والسلام. فجسمك من الجوع متعوب من الفجر إلى الغروب، ويلحقك النصب واللغوب، وصومك عن مولاك بالطرد محجوب وأخاف أن تكون في النار على وجهك مكبوب، لمخالفتك لعلام الغيوب. فخمص ويحك بطنك عن أكل الربا والحرام، وأحبس لسانك عن الوقوع في جماعة الإسلام، وغض طرفك عما هو عليك أعظم من أعظم الآثام، وهو النظر إلى ما لا يحل لك من حرم الأنام، وامتثل ما أمرك به أحكم الحكام، وقم بين يديه في الليل البهيم إذا هجع النُّوامُ، وتضرع إليه إذا أدهم

الليل بداجي الظلام. وحينئذٍ يصح لك القبول لشهر رمضان، وتفوز بالنعيم الأبدي في دار السلام، وتنجو من الأهوال والعذاب الغرام. فليكن ـ ويحك ـ بصرك من النظر إلى المحارم معدولاً، وسمعك عن سماع القبيح من القول معزولاً وبطنك من أكل الحرام محمولاً وقلبك بالفكرة في الحسنات والمعاد مشغولاً، وذكر مولاك وسيدك في لسانك مجعولاً، ومالك في طاعة العزيز الجبار مبذولاً: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾ [الإسراء: ٣٦] وقد أعلمك مولاك أن الشيطان كان للإنسان خذولاً، فلم خنت عهد مولاك وأمانته وكنت لنفسك ظلوماً جهولاً. وأنشدوا:

قل لأهل الذنوب والآثام	قابلوا بالمتاب شهر الصيامِ
إنه في الشهور شهرٌ جليلٌ	واجبٌ حقه وكيد الزمامِ
وأقلُّوا الكلامَ فيه نهاراً	واقطعوا ليلَهُ بطول القيامِ
واطلبوا العفو من إلهٍ عظيمٍ	ليس يخفى عليه فعلُ الأنامِ
كم له فيه من إزاحة ذنبٍ	وخطايا من الذنوب عظامِ
كم له فيه من أيادٍ حسانٍ	عند عبد يراهُ تحت الظلامِ
كم له فيه من عتيقٍ شهيدٍ	آمنٍ في القيام خزي المقامِ
إن دعاه مذلل بخضوع	وخشوع ودمعه (ذو سجامِ)
أين من يحذر العذاب ويخشى	أن يصلي الجحيم مأوى اللئامِ
أين من يشتهي التذاذاً بحورٍ	في جنان الخلودِ بين الخيامِ
التمس فيه ليلة القدر واترك	التماساً لها لذيذَ المنامِ
واجتهد في عبادة الله واسأل	فضله عند غفلةِ النُّوامِ
يا لها خيبة لمن خاب فيه	عن بلوغِ المنى بدار السلامِ
يا لها حسرة لمن كان فيه	ساتراً شَره بثوب الظلامِ
يا إله الجميع أنت بحالي	عالمٌ فاهدني سبيل القوامِ
وأمتني على اعتقاد جميل	واتباع لملة الإسلام

[٣٤٢] فضل رمضان

فالله الله عباد الله اغتنموا شهر المتاب، وما وعدكم فيه من جزيل الثواب، ومن العفو عن الأوزار وعتق الرقاب. وهو شهر لياليه أنور من الأيام، وأيامه

مطهرة من دنس الآثام، وصيامه أفضل الصيام، وقيامه أجل القيام. شهر فضل الله به أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، شهر جعله الله مصباح العام، وواسطة النظام، وأشرف قواعد الإسلام، المشرف بنور الصلاة والصيام والقيام، شهر أنزل الله فيه كتابه، وفتح للتائبين فيه أبوابه، فلا دعاء فيه إلّا مسموع، ولا عمل إلّا مرفوع، ولا خير إلّا مجموع، ولا ضرر إلّا مدفوع شهر السيئات فيه مغفورة، والأعمال الحسنة فيه موفورة، والتوبة فيه مقبولة، والرحمة من الله لملتمسها مبذولة، والمساجد بذكر الله فيه معمورة، وقلوب المؤمنين بالتوبة فيه مسرورة.

وأنشدوا:

أيـــن أهـــل القيـــام لله دأبـــاً ... بـذلـوا الجهـد فـي رضـا الجبـارِ
أنتـــم الآن فـــي ليـــالٍ عظـــام ... قـــدرُهـــا زائـــدٌ علـــى الأقـــدارِ
فـــاستـــزيـــدوا مـــن العبـــادة فيهـــا ... تـــأمنـــوا اليـــومَ مـــن عـــذاب النـار
أيـن مـن يـركـب الـذنـوب اغتـراراً ... لا يخـــافـــون سطـــوة القهـــارِ
قـــد أهـــل الهـــلالُ مـــن رمضـــان ... شهـــر زلفـــى وتـــوبـــةٍ وادِّكـــارِ
فـــاذكـــروا الله فيـــه ذكـــراً كثيـــراً ... واستجيـــروه مـــن عـــذاب النـــارِ
وارجعـــوا عـــن ذنـــوبكـــم بمتـــاب ... صـــادقٍ واقلعـــوا عـــن الإصـــرارِ
رب مـــن كـــان مســـرفـــاً مستمـــراً ... فـــي خطـــايـــاه مكثـــر الأوزارِ
ثـــم إن الإلـــه تـــاب عليـــه ... فـــاقتضـــى حمـــده سبيـــل الخيـــارِ
فـــاعملـــوا أيهـــا المسيئـــون وادعـــوا ... ربكـــم جهـــرة وفـــي الإســـرارِ
واحـــذروا غفلـــة القنـــوط وداووا ... داءهـــا بـــالـــرجـــوع للغفـــارِ
تجـدوا الله فـــي المعـــادِ كـــريمـــاً ... مـــاحيـــاً للـــذنـــوب والإصـــرارِ

إخواني هذا شهر ليس مثله في سائر الشهور، ولا فضلت به أمة غير هذه الأمة في سائر الدهور، الذنب فيه مغفور، والسعي فيه مشكور، والمؤمن فيه محبور، والشيطان مبعد مثبور، والوزر والإثم فيه مهجور، وقلب المؤمن بذكر الله معمور، وقد أناخ بفنائكم وهو عن قليل راحلٌ عنكم، شاهد لكم وعليكم، مؤذن بشقاوة أو سعادة، أو نقصان أو زيادة وهو ضعيف مسئول، من عند رب لا يحولُ ولا يزولُ، يخبر عن المحروم منكم والمقبول. فالله الله أكرموا نهاره بتحقيق الصيام، واقطعوا ليله بطول البكاء والقيام، فلعلكم أن تفوزوا بدار الخلد والسلام،

مع النظر إلى وجه ذي الجلال والإكرام، ومرافقة النبي عليه الصلاة والسلام، وأنشدوا:

ألا داع إلـــى الله المجيـــب ... بقلـب مـن معـاصيـه معيـبِ
ألا بـــاك لأيـــام تقضـــى ... بـلا عمـل ولا قـول مصيـبِ
ألا بـــاك علـــى أمـــد بعيـــد ... يـؤديـه إلـى أجـل قـريـبِ
فـإن المـوت ينـدبنـا ويبغـي ... نفـوسـاً ليـس تـألـم للـذنـوبِ
تنـادي للتـرحُّـلِ كـلَّ يـومٍ ... ولا تصغـي إلـى الـداعـي القريـبِ
كـأن يقيننـا بـالمـوت شـكٌ ... ونلغـي الحـق بـالإفـك المـريـبِ
وشهـر الصـوم شـاهـده علينـا ... بـأعمـال القبـائـح والـذنـوبِ
فيـا ربـاه عفـواً منـك وألطـف ... بفضلـك للمحيَّـر والكئيـبِ
وهـذا الصـومُ لا تجعلـه صـومـاً ... يصيـرنـا إلـى نـار اللهيـبِ
سـلامُ الله مـا هبـت عليـه ... قبـولٌ أو شمـالٌ أو جنـوبِ

عباد الله هذا أول الصوم قد أقبل عليكم بالمغفرة والرحمة، فلا تصرفوه عنكم بالسخط والنقمة. لأنه شهر عظيم، زكي مبارك كريم، من أطاع فيه الملك الجبار، واتبع فيه السنة والآثار، غفر الله له ما قد سلف من الذنوب والأوزار، وخاصة برحمته من عذاب النار، وأباحه بلطفه دار الرحمة والقرار، مع مجاورة النبي محمد المختار، صلى الله عليه وعلى آله السادة الأخيار، ومن عصى فيه الملك القهار، وخالف القرآن والآثار، وعمل بأعمال الفجار، ولم يوقر شهراً عظمه الإله الستار، غضب عليه مقدر الأقدار، ولعنه كل شيء يختلج بالليل والنهار، هكذا روي عن الصادق المصدوق محمد المختار، قال الله الملك الجبار:

[٣٤٣] تقسيم الصوم

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة: ١٨٣] الصيام ينقسم على أحد عشر ضربا، صيام الفرض وصيام الظهار وصيام النقل وصيام الوطء في رمضان وصيام كفارة اليمين. وصيام فدية الأذى وصيام التمتع والقران وصيام إفساد الحج وصيام كفارة قتل الصيد وصيام النوافل وصيام النذر.

والأيام المنهي عن صيامها ستة، يوم الفطر، ويوم الأضحية، وثلاثة أيام بعد أيام التشريق ويوم الشك.

[٣٤٤] الصوم اللغوي

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ [البقرة: ١٨٣] الصوم ضربان، صوم لغوي، وصوم شرعي، فالصوم في اللغة هو الإمساك وكل ممسك عن شيء فهو صائم. وذم أعرابي قوماً فقال: يصومون عن المعروف، ويفطرون على الفواحش. قال الله تعالى إخباراً عن مريم عليها السلام: ﴿فقولي إني نذرتُ للرحمن صوماً﴾ [مريم: ٢٦] يعني صمتاً. يقال صام النهار إذا ارتفعت الشمس ويقال صامت الخيل وهو قيامها من غير علف ولا حركة. قال الشاعر:

خيلٌ صيامٌ وخيل غيرُ صائمةٍ تحتَ العجاج وخيل تعلك اللُّجَمَا

أي خيل تصهل وخيل لا تصهل.

[٣٤٥] صيام الجوارح

وكذلك حقيقة الصيام ترجع إلى اللغة لأن ما من جارحة في بدن الإنسان إلاّ ويلزمه الصوم في رمضان وفي غير رمضان، فصوم اللسان ترك الكلام إلاّ في ذكر الله تعالى، وصوم السمع ترك الإصغاء إلى الباطل وإلى ما لا يحل سماعه، وصيام العينين ترك النظر والغض عن محارم الله تعالى لأن النبي ﷺ قال: «من نظر إلى امرأة نظرة حراماً حشا الله عينيه يوم القيامة بمسامير من نار حتى يقضي الله بين الخلق ثم يؤمر به إلى النار إلاّ أن يتوب» وعلى كل نظرة لفحةٌ من لفحات جهنم.

[٣٤٦] عقاب نظرةٍ في الحرام

ذكر عن بعض الصالحين أنه نظر على وجهه لمعة سوداء فسئل عنها فقال: نظرت يوماً إلى امرأة فتابعت النظرة بأخرى، فرأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وقد نشر الخلائق في صعيد واحد وجيء بجهنم ونصب الصراط على متنها وقال الله تعالى لي: جز يا عبدي فاقتحمت الصراط فخرج لسان من نار جهنم فأحرق وجهي فأثر فيه هذه اللمعة، فقال الله تعالى: يا عبدي نظرة بنظرة ولو زدت لزدناك. هذا في المنام من نظرة فكيف بمن تابع النظر، ولم يغض البصر؟ وصيام اليدين أن تقبضهما عما ليس لك بحق ولا ملك وأن لا تبسطهما إلاّ بما هو لله عز وجل

رضى. وصيام البطن أن تخمصه عن أكل الربا والحرام وعن أكل أموال اليتامى ظلماً. وصيام القدمين أن لا تسعى بهما في غير طاعة الله عز وجل لأنه قد قال رسول الله ﷺ: «من مشى في إفشاء عيب أو كشف عورة لمسلم كان أول خطوة يخطوها يضعها الله في النار، وكشف الله عورته يوم القيامة على رؤوس الإشهاد ثم يؤمر به إلى النار». وصيام الفرج القعود عن الفواحش لأن رسول الله ﷺ قال:

[٣٤٧] عقوبة الزنا

«من زنى بامرأة يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو مسلمة أو كائنة من كانت من النساء فتح الله في قبره ثلاثمائة باب من جهنم يخرج عليه منها حياتٌ وعقاربُ من نارِ جهنم وشهب من نار فهي تحرقه وهو معذب مما يلقى من حيات جهنم وعقاربها ويبعث يوم القيامة وهو يتأذى به الناس من ريح فرجه ثم يؤمر به إلى النار وهو يؤذي أهل النار مع ما هم فيه من شدة العذاب» وقال ﷺ: «من زنى بحليلة جاره المسلم لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام» وقال ﷺ: «عفواً تعف نساؤكم» من فسد به، وما من رجل زنى بأمرأة إلاّ جُلِدَ بين يدي الله تعالى يوم القيامة ثمانين سوطاً من نار من بين يديه ومن خلفه ثم هو في مشيئة الله عز وجل.

[٣٤٨] آفات الزنا

وقال ﷺ: «الزنا يورث صاحبه ست خصال ثلاث معجلات ـ يعني في الدنيا وثلاث مؤخرات ـ يعني في الآخرة ـ فأما التي في الدنيا فإنها تذهب بالبهاء، وتورث الفقر، وتقصر العمر، وأما التي في الآخرة فإنها توجب سخط الله، وسوء الحساب، والدخول في النار».

وقال ﷺ: «مررت ليلة أسري بي على أناس أمامهم موائدُ حسانٌ وعليها لحمٌ مشوي كأحسن ما يكون من الشواء، وحولهم جيفٌ أنتن ما يكون من الجيف وهم يأكلون في الجيف ويتركون الشواء، فقلت: حبيبي جبريل من هؤلاء، قال: الزناة من أمتك يا محمد تركوا ما أحلّ الله لهم، وأقبلوا على ما حرَّم عليهم، فاليوم يطعمون بما يكرهون، ويحرمون ما يشتهون» ألا وإنه لا أحد أغير من الله ومن غيرته حرم الفواحش وحدَّ الحدود وكذلك من عمل عمل قوم لوط حشره الله يوم

القيامة أنتن من الجيف يتأذى به أهل الجمع، ثم يؤمر به إلى النار، فإذا دخل النار أمر به فأدخل تابوت من نار فيسمر عليه مسامير فوق صفائح التابوت حتى يشد في تلك المسامير، فلو وضع ما على عرق من عروقه من الآلام والأوجاع على أربعمائة ألف أمة لماتوا جميعاً، وهو أشد من في النار عذاباً. ومن تاب ورجع في حياته فإن الله يغفر له ولا يسأله عن ذلك بعد وفاته. فهذا صيام الجوارح وهو فرض على كل مسلم أبد الدهر في رمضان وفي غيره.

فالله الله عباد الله صوّموا جوارحكم عن المنكرات، واستعملوها في الطاعات تفوزوا بنعيم الأبد في قرار الجنات، والتمتع بالنظر إلى جبار الأرض والسموات.

[٣٤٩] الصوم الشرعي

والصوم الشرعي هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع بنية من قبل الفجر، ويجوز صوم رمضان بنية في أوله. فهذا حد الصيام في اللغة والشريعة.

قال الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ [البقرة: ١٨٣] فيه أقوال كثيرة وأصحها... إن المعنى فرض عليكم الصيام كما فرض على الأمم الماضية التي سلفت من قبلكم، قال مجاهد: هم أهل الكتاب.

روي عن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾ [البقرة: ١٨٣] أنه كان كتب عليهم إذا نام أحدهم قبل الأكل لم يطعم شيئاً إلى الليلة المقبلة، وحرم عليهم أن يقربوا النساء تلك الليلة، ورخص الله تعالى في ذلك لهذه الأمة.

وقيل إشارة الله تعالى بقوله: ﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾ [البقرة: ١٨٣] إلى الأمم الخالية وهذه الآية مدح لأمةِ محمد ﷺ لأن ما من أمة ولا نبي إلاّ وقد فرض الله تعالى عليه وعلى أمته صيام شهر رمضان، فآمنت به هذه الأمة وكفرت به سائر الأمم. وقيل إشارة الله تعالى بهذا إلى النصارى وكانوا قد فرض عليهم إذا نام أحدهم من بعد غروب الشمس حرم عليه الطعام والشراب وكان وطء النساء عليهم حرام حتى بعث الله محمداً ﷺ رحمة لهذه الأمة وفرض عليهم شهر رمضان، فبقي الأمر على تحريم الطعام والشراب بعد النوم، وكذلك تحريم وطء النساء حتى وقع

أربعون رجلاً في الأمر منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جامعوا نساءهم بعد النوم.

[٣٥٠] حكاية الأنصاري

وجاء رجل من الأنصار يكنى أبا قيس واسمه صرمة بن قيس من بني النجار فصلى مع رسول الله ﷺ صلاة المغرب والعشاء ثم أتى منزله فقالت امرأته: على رسلك حتى أسخن طعاماً صنعته، فذهبت ثم عادت إليه وقد نام من تعبه فقالت له: الخيبة الخيبة، حرم عليك والله الطعام والشراب فبات طاوياً، وأصبح صائماً وعمل في أرضه فأصابه من التعب ما غشي عليه فرآه رسول الله ﷺ يهادي بين رجلين فقال له: «مالي أراك أبا قيس طليحاً؟» والطليح هو الضعيف ـ وفي لغة أخرى هو التمايل ـ فأخبره بخبره فرق له رسول الله ﷺ حتى دمعت عيناه، وكانت قصة الأنصاري أوّلاً، وكانت قصة عمر والأربعين رجلاً رضوان الله عليهم آخراً، فأنزل الله تعالى في قصة عمر وبدأ بها لأن الجناح في الوطء هو أكثر منه في الأكل.

[٣٥١] قصة عمر بن الخطاب وغيره

فأنزل الله في قصة عمر رضي الله عنه وفي الأربعين رجلاً الذين وقعوا في الوطء هذه الآية: ﴿**أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم**﴾ [البقرة: ١٨٧] إلى قوله: ﴿**وابتغوا ما كتب الله لكم**﴾ [البقرة: ١٨٧] وقال الله تعالى في قصة صرمة بن قيس: ﴿**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل**﴾ [البقرة: ١٨٧] وهذ رحمة من الله تعالى لأمة محمد ﷺ. وقيل إن النصارى فرض عليهم صيامُ شهر رمضان في الإنجيل فكانوا يصومون شهراً فمرض ملك من ملوكهم فجعل عليهم إن أفاق أن يزيدوا فيه عشرة أيام فبرأ فزادوا فيه عشرة أيام فكانوا يصومون أربعين يوماً، فهلك ذلك الملك وجاء ملك آخر فأكل لحماً فأوجع فاه فاشتكى فجعل عليه إن برىء يزيد في سبعة أيام فبرأ فزادوا فيه، ثم إنه هلك وجاء بعده ملك آخر فقالوا: اجعلوه في حين لا حر ولا قر فحجبهم الله تعالى عن فضل الشهر العظيم، للإله الكريم الحكيم، وجعلهم من أصحاب الجحيم، وجعل ثوابهم لأمة النبي الرؤوف الرحيم.

[٣٥٢] الأعرابي المجتهد

روي عن النبي ﷺ أنه جاءه رجل من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات في اليوم والليلة» فقال: هل علي غير هذا؟ فقال: «لا إلاّ أن تطوع» قال رسول الله ﷺ: «وصيام شهر رمضان» قال: هل علي غيره؟ قال: «لا إلاّ أن تطوع» وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة فقال له: هل علي غيرها؟ قال: «لا إلاّ أن تطوع» قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال النبي ﷺ: «أفلح إن صدق».

[٣٥٣] ثواب الصيام

وروي عنه ﷺ أنه قال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» فارغبوا رحمكم الله في هذا الثواب العظيم، والملك الجسيم، وصوموا واحتسبوا ثوابه عند الرب الرحيم، فإنه شهر أنزل فيه القرآن من عند الملك الرحمن على النبي محمد عليه الصلاة والسلام. فارغبوا في فضله، وسارعوا إلى القيام بحقه يا أولي العقول والألباب، ولا تعملوا أعمال من خالف السنة والكتاب فما تدرون أترون غيره أم لا.

[٣٥٤] فضل الصلاة على النبي

وقال رسول الله ﷺ: «أخبرني جبريل عليه السلام قال: يا محمد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فلم يغفر الله له فدخل النار أبعده الله. فقال النبي ﷺ آمين، ثم قال جبريل عليه السلام: من أدرك والديه أو أحدهما فلم يغفر له فدخل النار أبعده الله، فقال رسول الله ﷺ: آمين، ثم قال جبريل: يا محمد من أدرك شهر رمضان فلم يتقبل منه فمات فلم يغفر له فيه فدخل النار فأبعده الله فقال رسول الله ﷺ: آمين». فالله إياكم والموت أن يفجأكم وقد حيل بينكم وبين صيام غيره وقد فاز العاملون وخسر المبطلون.

[٣٥٥] صيام الدهر

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر كله» وفقنا الله وإياكم لأعمال البر برحمته. قال الله تعالى: ﴿يا أيها

الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ [البقرة: ١٨٣] سماهم باسمه ورسمهم برسمه، وشرفهم حين عرفهم فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ سهل عليكم بذلك موارد الخطاب. فلما أراد الله جل جلاله أن يكلفهم الصيام الشاق عليهم بدأ الله بأخص أسماء المؤمنين، وأجل صفات العارفين، وأعلا مقام المحبين، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ ثم زاد بياناً فقال: ﴿أياماً﴾ ثم زاد بياناً فقال: ﴿معدودات﴾ ثم زاد بياناً فقال: ﴿شهر﴾ ثم بين أي شهر فقال: ﴿شهر رمضان﴾ ثم بين ورقق ويسر فقال: ﴿كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ [البقرة: ١٨٧] ثم بين تمامه فقال: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ فكأنه سبحانه قال: كتبت عليكم الصيام أياماً في السنة ووعدتكم عليها المقام في الجنة، كتبت عليكم الصيام شهراً، ووعدتكم الثواب دهراً. كتب الله الصيام على عبيده وكتب الرحمة على نفسه، كتب الصيام أياماً معدودات، وكتب لكم على نفسه الحصول في الدرجات، كتب عليكم أن تصوموا شهراً وكتب لكم بالحسنة عشراً.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام رمضان في إنصات وسكون وكف سمعه وبصره ولسانه ويده وجوارحه عن الحرام والكذب والغيبة والأذى اقترب من الله تعالى يوم القيامة حتى تمس ركبته ركبة إبراهيم الخليل ولم يكن بينه وبين العرش إلّا فرسخ أو ميل» شك عطاء بن يسار في هذا الحديث.

وروي عنه ﷺ أنه قال: « لو أذن الله عز وجل للسموات والأرض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة» الإشارة في قوله تعالى: ﴿أياماً معدودات﴾ [البقرة: ١٨٤] كأنه سبحانه يقول: فريضتي عليكم معدودة، وعطيتي لكم (غير) محدودة، عبادتكم لي بارة ونعمتي عليكم بارة طاعتكم من الحين إلى الحين، وثابي لكم أبد الآبدين، صيامكم لي من العام إلى العام، وإباحتي لكم من الجنة أحسن المقام. اعلموا عباد الله أن مولاكم جل جلاله حياكم بشهر الصيام، وشرفكم بملة الإسلام، وجعلكم من خير أمة أخرجت للأنام، بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام. فلا تدنسوا شهركم بالإفك والزور، وأطيعوا مولاكم الكريم الغفور، تفوزوا في الجنان بالولدان والحور.

[٣٥٦] التوبة في رمضان

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلاّ باب التوبة فإن الله تعالى قد وكل به ملائكة لا يغلقونه ما دام الصائمون يصومون».

[٣٥٧] أحاديث عدة في فضل رمضان

وروي عنه ﷺ أنه قال: «للجنة باب يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون فإذا دخلوا غلق فلم يدخل منه أحدٌ».

وروي عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم. ويا باغي الشر أقصر».

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله ملكاً رأسه تحت العرش - عرش رب العالمين - ورجلاه في تخوم الأرضين، له جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب أحدهما من ياقوتة حمراء، والآخر من زبرجدة خضراء ينادي كل ليلة من شهر رمضان، هل من تائب فيتاب عليه، هل من مستغفر فيغفر له، هل من طالب حاجة فيسعف بحاجته. يا طالب الخير أبشر، ويا طالب الشر أقصر وأبصر».

فأين أنتم يا إخواننا من هذا النعيم المقيم، وهذا الثواب العظيم، من عند الإله الكريم!؟ ثم اجتهدوا في هذا الشهر تسعدوا في باقي الدهر، واجتهدوا في هذه الأيام القليلة، تفوزوا بالنعم الجزيلة، والراحة الدائمة الطويلة. اجتهدوا في شهر رمضان تفوزوا بجنات الرضوان مع الحور الحسان.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أتاكم شهر رمضان شهر خير وبركة يغشيكم الله فيه بالرحمة، ويغفر فيه الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، وينظر فيه إلى تنافسكم،

---

[٣٥٧] حديث «إذا دخل رمضان».

البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس (٣٢٧٧) من حديث أبي هريرة. والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل رمضان (٦٨٢).

ويباهي بكم الملائكة، فأدوا فيه أنفسكم خيراً فإن الشقيَّ كل الشقي من حرم فيه رحمة الله تعالى». فالله الله عباد الله إياكم والحرمان، والتمادي في العصيان، ولا ترضوا في أديانكم بالنقصان، في الشهر الفاضل شهر رمضان.

[٣٥٨] عظيم فضل رمضان

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لو يعلم الناس مالهم في شهر رمضان لتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان» فقالوا: يا رسول الله حدثنا به فقال: «إن الجنة لتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان، فإذا كانت أول ليلة من رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة فتصفق ورق الجنان وخلق المصارح فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه، فتتزين الحور العين ثم يقفن بين شرف الجنة فينادين، هل من خاطب لنا إلى الله فيزوجه؟ ثم يقلن: يا رضوان ما هذه الليلة؟ فيجيبهن بالتلبية يا خيرات حسان، هذه أول ليلة من شهر رمضان، فتفتحت أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد ﷺ، ويقول الله تعالى: يا رضوان افتح أبواب الجنان للصائمين والقائمين من أمة محمد ﷺ ولا تغلقها حتى ينقضي شهرهم هذا، فإذا كان اليوم الثاني أوحى الله تعالى إلى مالك خازن النار: يا مالك أغلق أبواب النيران عن الصائمين والقائمين من أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ولا تفتحها حتى ينقضي شهرهم هذا، فإذا كان في اليوم الثالث أمر الله جبريل عليه السلام أن أهبط إلى الأرض فصفد مردة الشياطين وعتاة الجن وغلهم في الأغلال ثم اقذف بهم في لجج البحار كي لا يفسدو على أمة محمد حبيبي صيامهم، فإذا غلقت في شهركم أبواب النيران، وفتحت أبواب الجنان، وصفد فيه الملعون الشيطان، فأولى أن لا يسكنكم مولاكم دار العقوبة والهوان، وأن يمنحكم بمنه وفضله دار الخلود والرضوان، كما فضلنا بشهر التجاوز والغفران، وهو الكريم المتفضل المنان.

[٣٥٩] الصيام والقرآن شفيعان

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: رب عبدك منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار شفِّعني فيه، ويقول القرآن: رب عبدك منعته النوم بالليل وتلاني وحرم النوم من أجلي فشفِّعني فيه فيشفعان».

ويا أخي إذا كان شهر رمضان في القيامة شفيعاً فكن لمولاك فيه عبداً سامعاً مطيعاً، وليكن قلبك عن معصيته رفيعاً.

[٣٦٠] الصيام باب العبادة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لكل شيء بابٌ وباب العبادة الصيام» وإذا كان الصيام لعبادة الرحمن باباً فأولى أن يكون بينكم وبين النار حجاباً. أين من يدل على طريق السعادة! عسى أصل بعد النقصان إلى الزيادة، وألزم نفسي الاجتهاد في العبادة. وأنشدوا:

ألا خيــراً لمقــترح النــواحِ ... أطيــر إليــه منشــور الجنــاحِ
فــأســألــه وألطفــه عســاه ... سيسلــي مــا بقلبــي مــن جــراحِ
ويجلــو مــا دجــا من ليـل جهلـي ... بنــور هــدى كمنسلــخ الصبــاحِ
ســأصــرف همتــي بــالكــل عمــا ... نهــانــي الله مــن أمــرِ المــزاحِ
إلــى شهــر الخضــوع مــع الخشــوع ... إلــى شهــر العفــاف مــع الصــلاحِ
يجــازى الصــائمــون إذا استقــامــوا ... بــدار الخلــد والحــور المــلاحِ
وبــالغفــران مــن رب عظيــم ... وبــالملــك الكبيــر بــلا بــراحِ
فيــا أحبــابنــا اجتهــدوا وجــدوا ... لهــذا الشهــر مــن قبــل الــرَّواحِ
عســى الــرحمــنُ أن يمحــو ذنــوبــي ... ويغفــر زلتــي قبــل افتضــاحــي

[٣٦١] فضل السحور

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «تسحروا فإن الله يحب المتسحرين والملائكة تصلي على المتسحرين وتستغفر لهم».

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور».

ذكر في بعض الأخبار أن العبد المؤمن إذا قام في رمضان إلى السحور فتوضأ وصلى ركعتين جعل الله تعالى خلفه سبع صفوف من الملائكة، فإذا فرغ ودعا آمنوا على دعائه، ويكتب الله تعالى له بعددهم حسنات، ويرفع له في الجنة بعددهم درجات، ويمحو عنه بعددهم سيئات، ثم لا يزالون يدعون ويستغفرون له إلى يوم القيامة. فالله الله اغتنموا في هذا الشهر المكرم هذا الثواب المعظم، ولا تقطعوا

نهاره بالغيبة وقبح الكلام، وتغفلوا في ليله عن طول القيام، وتفطروا فيه على السحت والحرام. وتصوموا بجارحة واحدة وتهملوا سائر جوارحكم في المعاصي والآثام، فاتقوا الله إن الله عزيز ذو انتقام. وأنشدوا:

أتعصي بعد شيب الرأسِ جهلاَ ... كما قد كنت تعصيه غلامَا
أراك من التهاون لا تبالي ... ولا ترعي الصلاة ولا الصيامَا
وتفرح بالفطورِ ولا تبالي ... حلالاً كان كسبك أم حرامَا

عباد الله اغتنموا بركة هذا الشهر العظيم، المخصوص بالتفضيل والتكريم الذي بلغنا الله إليه في صحة من الأجسام، وسلامة من عوارض الأسقام فالواجب على من عرف قدر هذه النعمة التي سوغها، وفضل هذه الأيام التي بلغها أن يحفظها من التخليط والالتباس، وأن يكف أذاه عن جميع الناس، وأن يحذر لغو الكلام، ولا يبطل فضل الصيام عند الملك العلام.

[٣٦٢] شدة العقوبة في رمضان

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «من سرق في رمضان أو زنا أو غصب أو انتهك حراماً أو شرب خمراً أو تعدى ظلماً لم يتقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولعنه هو وملائكته إلى مثله من الحول». فكل من يؤذي في رمضان ويظلم على مثل ما يقدم ويندم حيث لا ينفعه الندم. فكم من صائم عن الطعام مفطر بالكلام، دائب على القيام مؤذٍ للأنام، فهو من لسانه وفعله موزور وعلى صيامه وقيامه غير مأجور. أين من زاغ عن الهدى، ودالٍ على سبيل الردى، بل أين من رانت الذنوب على قلبه، ولم يبادر بالتوبة من ذنبه، ولم يخف من عذاب ربه، ويحك يا مسكين اغتنم شهر رمضان المتضمن بالرحمة والغفران وانظر لنفسك يا مسكين قبل أن تصل إلى حلقك السكين، وانتبه من نومك يا مغرور فإن ربك كريم غفور. إلى أي وقت تعانق حوبتك. ولأي يوم تؤخر توبتك، إلى حول حائل أو إلى عام قابل، كلا والله ما إليك الأقدار، ولا بيدك المقدار، لعلك إذا انقضى عنك شهر الصوم، لم يبق من عمرك إلّا يوم يا هذا إذا أنت صمت فلتصم جوارحك كلها، بطنك من الحرام، ولسانك من قبح الكلام، وبصرك ويدك وسمعك من الإجرام، واكتساب الآثام.

[٣٦٣] كفُّ الجوارح عن الشرور

عباد الله ينبغي لمن أصبح صائماً أن يقول للسانه: إنك اليوم صائمٌ من الكذب والنميمة، وقول الزور والباطل والغيبة، ولعينيه إنكما اليوم صائمتان عن النظر إلى ما لا يحل لكما، وللأذنين: إنكما اليوم صائمتان من الاستماع إلى ما يكره ربكما، ولليدين: إنكما اليوم صائمتان من البطش فيما حرم عليكما من الغش في البيع والشراء والأخذ والعطاء، وللبطن: إنك اليوم صائمة عن المطعم فانظري على ماذا تفطري وتجنبي المطعم الخبيث الذي تدعين إليه فإن الله طيب ولا يقبل إلاّ الطيب، وللقدمين: إنكما اليوم صائمتان من السعي إلى ما يكتب عليكما وزره ويبقى قبلكما تباعته وإثمه. ومن وقف لهذا وصبر عليه فقد أوفى بعهد نبيه ﷺ. ومخاطبة ابن آدم لجوارحه بما تقدم وصفه يجب على العبد استعماله أيام صومه وغيرها ما دام حياً، وهكذا كلما أصبح صباح أو أقبل مساء وفقنا الله وإياكم لاستعمال ذلك وأمثاله بتوبة صادقة مخلصة عاجلة بكرمه. فالله الله عباد الله امتثلوا في هذا الشهر المكرم وفي غيره لأوامر الله تعالى وانتهوا عن نواهيه.

[٣٦٤] أصل رمضان في اللغة

قال الله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ [البقرة: ١٨٥] فما جعله هدى فلا يكون ضلالة، وما جعله بياناً فلا يكون جهالة، وما ضعف فيه الأجر فلا تجعلوه بطالة.

شهر رمضان، قيل سمي شهر رمضان لشدة الحر فيه، وقيل أخذ من حرارة الحجارة لما يأخذ القلوب من حرارة الموعظة والفكرة والاعتبار بأمر الآخرة. قال الخليل: الرمضاء الحجارة الحارة، ورمض الإنسان إذا مشى على الرمضاء، فسمي رمضان بذلك لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها، وقيل سمي بذلك لأنه شهر يغسل الأبدان غسلاً، ويطهر القلوب تطهيراً. وهو مأخوذ من الرمض وهو مطر يأتي قبل الخريف. وقيل رمض ورفض بمعنى واحد وهو من الحروف المتعاقبة، يرفض قوماً إلى محل القربة والزلفى، ويرفض آخرين إلى محل البعد والسخطة. وقيل سمي شهراً لشهرته. وهو شهر الإيقان، وشهر القرآن، وشهر الإحسان، وشهر الرضوان، وشهر الغفران، وشهر إغاثة اللهفان، وشهر التوسعة على الضيفان،

وشهر تفتح فيه أبواب الجنان، ويصفد فيه كل شيطان، وهو شهر الأمان والضمان. شهر يخفف فيه عن المملوك. تزهر فيه القناديل، وينزل فيه بالرحمة جبريل، ويتلى فيه التنزيل، ويسمح فيه للمسافر والعليل، شهر رمضان للعباد مثل الحرم في أم البلاد الحرم يمنع منه الدجال اللعين، ورمضان يصفد فيه مردة الشياطين. شهر رمضان في الدنيا، مثل الجنان في العقبى، سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وملكه خلود، متصل ليس يبيد، وفي رمضان بذل المجهود، ورضى طلب المعبود، وحفظ الحدود، وإظهار الكرم والجود. أقبل الصوم يا مسكين، وكلنا مساكين، وأنت عاكف على ما يسخط الجبار، مصر على الآثام والأوزار، عامل بأعمال أهل النار، متشبه بالنساك والأخيار، وأنت في جملة الفساق والفجار، وقد أطلع على سرك وضميرك عالم الضمائر والأسرار. وشهر الصوم شاهد عليك، والملائكة تلعنك والله لا ينظر إليك، وهو جل جلاله بإعراضك عن الطاعة معرض عنك غاضب عليك، فلا تجعل أيها الصائم شهرك هذا كسائر الشهور. والله سبحانه ينظر من عبده إذا لم ير أثراً لشهر رمضان من ملكه لجوارحه، يقول جل جلاله: هذا عبدي لا يعرف لشهري هذا فضلاً، وأنا لا أعلم الآن له عندي فضلاً.

[٣٦٥] عظة بليغة

أفق يا ذا الغي والمحال، واستيقظ ياذا السهو والإغفال، وانتبه من السكرات الطوال. أترضى يا مسكين أن يرد صومك في وجهك من غير قبول من الله؟ أتستحسن أن تكون جائعاً عطشان وليس لك جاه عند الله؟ أين النية المجردة، أين التوبة المجددة، أين الندامة المؤكدة، أين الحلال من الطعام، أين اجتناب الطعمة الحرام، أين حجر الأوزار والآثام أين الرحمة لذوي الفقر والضعفاء والأيتام، أين الإخلاص للملك العلام، أين التزام شريعة الإسلام، أين الأسوة بالنبي عليه الصلاة والسلام؟؟ انظر يا مسكين إذا قطعت نهارك بالعطش والجوع، وأحييت ليلك بطول السجود الركوع، إنك فيما تظن صائم، وأنت في جهالتك جازم، وفي صلاتك دائم، وفي بحار سكراتك هائم. أين أنت من التواضع والخشوع، أين أنت من الذلة لمولاك والخضوع، أتحسب أنك عند الله من أهل الصيام والأمان الفائزين في شهر رضمان؟؟ كلاّ والله حتى تخلص النية وتجردها، وتطهر الطوية وتجودها،

وتجتنب الأعمال الدنية ولا تردها، وتكثر البكاء والحسرة، وتسيل الدموع والعبرة، وتلزم الفكرة والعبرة، وتسأل مولاك إقالة العثرة، فحينئذٍ يكون صيامك لك من الذنوب شفاء، ومن العيوب سترة وجلباباً. أين الصائمون، أين القائمون، أين الطائعون، أين العاملون، أين السابقون، أين الخاشعون، أين الذاكرون، أين القانتون، أين الصادقون، أين الصابرون، أين المتصدقون، أين الآمرون بالمعروف، أين المغيثون الملهوف، أين الناهون عن المنكر أين المستشعرون للفكر، أين السامعون للعبر، بادوا والله مع الصالحين، وانقلبوا مع المؤمنين، ونزلوا مع النبيين، وسكنوا مع الصديقين، وبقينا والله مع الجاهلين، وسكنا مع الفاسقين وتأسَّينا بالغافلين، واصطلحنا على معصية رب بالعالمين. فصيامك يا مسكين في وجهك مردود وأنت عن رشدك مغيب مفقود، وعن صلاحك ونجاحك غير موجود، وأنت عن باب مولاك مبعد مطرود، وأعمالك بالفسق موصولة، وجوارحك للعصيان مبذولة، وألفاظك في الغيبة مجعولة، وعزيمتك للطاعة محلولة، وعبادتك في هذا الشهر غير مقبولة، وفرائض مولاك بالمعاصي مهمولة. وأنشدوا:

الصومُ جنةُ أقوامٍ من النارِ والصومُ حصنٌ لمن يخشى من النارِ
والصومُ ستر لأهل الخير كلهم الخائفين من الأوزارِ والعارِ
والشهرُ شهر آله العرش من به (ربٌّ) رحيمٌ لثقل الوزر ستارِ
فصام فيه رجالٌ يربحون به ثوابهم من عظيم الشأن غفارِ
فأصبحوا في جنان الخلد قد نزلوا من بين حورٍ وأشجارٍ وأنهارِ

فهنيئاً لمن أطاع الملك الرحمن، في شهر الرحمة شهر رمضان، لقد فاز بالحور والولدان في دار السلام والرضوان. صبروا الأيام القليلة، فأعقبهم الراحة الطويلة، والنعمة الجزيلة كلما تعودت من الخير وما تعمل في هذا الشهر، جوزيت إلى آخر العمر، فإن الخير عادة، والشر لجاجة. أين أنت يا صائم يا قائم، أقبل على الخير تفوز بسرور دائم. تاجر مولاك فإنك تربح وعامله فإنك تفلح، واعتذر إليه فإنه يقبل عذرك، واستغفره فإنه يغفر ذنبك، وارغب إليه فإنه يكشف كربك، واسأله من فضله فإنه يوسع رزقك، وتب إليه فإنه يعظم حظك يا أخي هذا شهر تستر فيه القبائح والعيوب، وتلين فيه النفوس والقلوب، وتغفر فيه الأوزار

والذنوب، وينفس الله عن الحزين المكروب، يقول المولى جل جلاله لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى الألسن اليابسة كيف تبتل بذكري، انظروا إلى الأحداق الصلبة كيف تدمع من خوفي، انظروا إلى الأقدام المنعمة تنصب في المحاريب ابتغاء وجهي يا أخي متى أطعمت في هذا الشهر لله رب الأرض والسموات رفعت إلى الدرجات العالية في قرار الجنات، وحصلت مع مولاك مكسياً من الحسنات عرياناً من السيئات.

[٣٦٦] تقسيم الصوم والصائمين

والصوم ثلاثة، صوم الروح وهو قصر الأمل، وصوم العقل وهو مخالفة الهوى. وصوم الجوارح وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع. يا أخي من صام عن الطعام والشراب فصومه عادة، ومن صام عن الربا والحرام وأفطر على الحلال من الطعام فصومه عدة وعبادة، ومن صام عن الذنوب والعصيان وأفطر على طاعة الرحمن فهو صائم رضي، ومن صام عن القبائح وأفطر على التوبة لعلام الغيوب فهو صائم تقي، ومن صام عن الغيبة والبهتان وأفطر على تلاوة القرآن فهو صائم رشيد، ومن صام عن المنكر والإغيار وأفطر على الفكرة والاعتبار فهو صائم سعيد، ومن صام عن الرياء والانتقاص وأفطر على التواضع والإخلاص فهو صائم سالم، ومن صام عن خلاف النفس والهوى وأفطر على الشكر والرضا فهو صائم غانم، ومن صام عن قبيح أفعاله وأفطر على تقصير آماله فهو صائم مشاهد، ومن صام عن طول أمله وأفطر على تقريب أجله فهو صائم زاهد. قال الله تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدةٌ من أيام أخر﴾ [البقرة: ١٨٤] يا أخي هذه رحمة مولاك رضي أن ينقص من حقه لئلا ينقص من نفسك وهذه غاية اللطف من مولاك. رخَّص لك أن تفطر الأيام الطوال بالعذر، ورخّص لك أن تفطر متتابعاً، وتقضي إن شئت متفرقاً ليسهل عليك، وتصوم الأيام القصار عوضاً عن الأيام الطوال، وهذا الرفق.

[٣٦٧] تمثيل الشهور كأخوة يوسف

قيل الشهور الإثني عشر كمثل أولاد يعقوب عليه وعليهم السلام. وشهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته، فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب، كذلك رمضان أحب الشهور إلى علاَّم الغيوب.

[٣٦٨] نكتٌ في ذلك

نكتة حسنة لأمة محمد ﷺ، إن كان في يوسف من الحلم والعفو ما غمر جفاهم حين قال: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾ [يوسف: ٩٢] فذلك شهر رمضان فيه من الرأفة والبركات والنعمة والخيرات، والعتق من النار، والغفران من الملك القهار، ما يغلب حميع الشهور، وما اكتسبنا فيه من الآثام والأوزار.

نكتة حسنة، الإشارة فيه جاء إخوة يوسف معتمدين عليه في سد الخلل، وإزاحة العلل بعد أن كانوا أصحاب خطايا وزلل. فأحسن لهم الإنزال، وأصلح لهم الأحوال، وبلَّغهم غاية الآمال، وأطعمهم في الجوع، وأذن لهم في الرجوع، وقال لفتيانه: اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها، فسد الواحد خلل أحد عشر. كذلك شهر رمضان واحد والشهور أحد عشر وفي أعمالنا خلل وأي خلل، وتقصير وأي تقصير، وتفريط في طاعة العليم الخبير. ونحن نرجو أن نتلافى (في) شهر رمضان ما فرطنا فيه في سائر الشهور، ونصلح فيه فاسد الأمور، ويختمه علينا بالفرح والسرور، ونعتصم فيه بحبل الملك الغفور. إن شاء الله تعالى بمنه وإحسانه، وعفوه وغفرانه، إنه سميع بصير، وهو نعم أولى ونعم النصير.

[٣٦٩] أولاد يعقوب ورمضان

وإشارة أخرى، كان ليعقوب أحد عشرا ولداً ذكوراً وبين يديه حاضرين ينظر إليهم ويراهم ويطلع على أحوالهم وما يبدو من أفعالهم، ولم يرتد بصره بشيء من ثيابهم، وارتد بقميص يوسف بصيراً، وصار بصره منيراً، وصار قوياً بعد الضعف، بصيراً بعد العمى فكذلك المذنب العاصي إذا شمَّ روائح رمضان، وجلس فيه مع المذكرين وقرأ القرآن، وصحبهم بشرط الإسلام والإيمان، وترك الغيبة وقول البهتان، يصير إن شاء الله مغفوراً له بعد ما كان عاصياً، وقريباً بعد ما كان قاصياً، ينظر بقلبه بعد العمى، ويسعد بقربه بعد الشقا، ويقابل بالرحمة بعد السخط، ويرزق بلا مؤونة ولا تعب، ويوفق طول حياته، ويرفق بقبض روحه عند الوفاة، ويفضل بالمغفرة عند اللقاء، ويحظى في الجنان بدرجات الالتقاء.

فالله الله اغتنموا هذه الفضيلة، في هذه الأيام القليلة، تعقبكم النعمة الجزيلة، والدرجة الجليلة والراحة الطويلة إن شاء الله. هذه والله الراحة الوافرة،

والمنزلة السائرة، والحالة الرضية، والجنة السرية، والنعمة الهنية، والعيشة الرضية، لا تنال إلاّ بالوقار، لهذا الشهر الذي عظّمه الجبار، وفُضِّل به محمد المختار، ومن لا يوقره كان مصيره إلى النار.

[٣٧٠] رمضان في القيامة

روي عن النبي ﷺ أنه قال بمنى: «إذا كان يوم القيامة بينما أنا واقف عند الميزان فيؤتى بشاب من أمتي والملائكة يضربونه وجهاً ودبراً، فيتعلق بي ويقول: يا محمد المستغاث المستغاث بك، فأقول: يا ملائكة ربي ما ذنبه؟ فيقولون: أدرك شهر رمضان فعصى الله فيه ولم يتب فأخذه الله فجأة، فأقول: هل قرأت القرآن؟ فيقول: تعلمته ونسيته، فأقول: بئس الشاب بئس الشاب أنت، فلا هو يتركني ولا الملائكة يتركونه، ثم أشفع له من الله تعالى فأقول: إلهي شاب من أمتي، فيقول الله تعالى: إن له خصماً قوياً يا أحمد، فأقول: ومن خصمه يا رب حتى أرضيه؟ فيقول الله تعالى: خصمه شهر رمضان، فأقول أنا بريء ممن خصمه شهرُ رمضان. ومن يشفع لمن لم يعرف حرمة رمضان؟ فيقول الله تعالى: وأنا بريء ممن أنت بريء منه، فينطلق به إلى النار» فالله الله عباد الله لا تُهوِّنوا شهراً أعظم اللهُ حرمته وأوجب حقه وقد فضلكم به عن سائر الأمم، وهو هديةٌ من الله تعالى إليكم، وكرامة تفضل بها عليكم ليغفر لكم ذنوبكم، ويستر عن النار عيوبكم، ويغشيكم منه الرحمة، ويرفع عنكم فيه النقمة. ويفضلكم بجزيل النعمة، ويشرح صدوركم بنور الحكمة.

[٣٧١] خسران العاصي في رمضان

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «سمعت جبريل يقول: سمعت الله عز وجل يقول: يؤتى بشاب يوم القيامة باكياً حزيناً والملائكة تسوقه بمقامع من حديد ومن نار وهو يقول: الأمان الأمان ألف سنة ولا أمان له، ثم يساق فيوقف بين يدي الله تعالى فيأمر الله ملائكة العذاب أن تسحبه على وجهه إلى النار، قلت: يا جبريل من هو؟ قال: شاب من أمتك قلت: وما ذنبه؟ قال: أدرك شهر رمضان فعصى الله فيه ولم يستغفر الله ولم يتب إليه كي يغفر الله فأخذه الله بغتة» فالله الله عباد الله اسمعوا بآذانكم وتدبروا بقلوبكم فلعل الله يبلغكم مرغوبكم، ويغفر العظيم من ذنوبكم.

هذا شهر كريم وثوابه كريم والموقر له عند الله كريم، يكرمه الله بجنات النعيم، والمستخف بحقه عند الله لئيم، مأواه في قرار الجحيم، مع الشيطان الرجيم.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يؤتى يوم القيامة بشهر رمضان والناس في الموقف فيقولون: من هذا؟ نبي أم رسول أم ملك؟ ما رأينا مثل هذا ولا مثل جماله وحسنه!! فيقوم بين يدي الجبار جل جلاله فيقول: من كان له قبلي حق فليقم، فيقولون: من أنت؟فيقول: أنا رمضان، قال النبي ﷺ: فتقوم أمتي إليه وبيده قضبان من نور تضيء ما بين المشرق والمغرب، فمنهم من يعطي قضيباً يضيء له مسيرة شهر، وآخر يضيء له مسيرة جمعة، وآخر مسيرة يوم، وآخر مسيرة ساعة، وآخر موضع قدميه، فمن شاء فليوقره ومن لا يوقره فيُسامُ عذاباً يصيبه عند الأنوار من الحسرة والندامة» فيا معشر أهل رمضان وقرِّوا شهراً تنعموا فيه دهراً، ووقروا الخطر اليسير تجازوا بالملك الكبير، ووقروا الأيام القلائل تصيروا إلى الكرامة والفضائل، وقرّوا اليسير من الأيام تنظرون إلى وجه ذي الجلال والإكرام.

[٣٧٢] موعظة للحسن البصري

روي أن الحسن البصري مرّ بقوم يضحكون فوقف عليهم وقال: إن الله تعالى قد جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته، فسبق أقوام ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا فالعجب للضاحك اللاَّعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون، وخاب فيه الباطلون، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. فالله الله عباد الله اجتهدوا أن تكونوا من السابقين ولا تكونوا من الخائبين، في شهر شرفه رب العالمين. فالله الله اصرفوا ضيفكم رمضان بالكرامة، واحرصوا فيه على طلب طريق الاستقامة، إلى أن يقضي بكم إلى دار الكرامة، والخلد والمقامة، وسرمد العز والكرامة، وينجيكم من هول يوم الطَّامة.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أحب الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود عليه

---

[٣٧٢] حديث «أحب الصلاة».

البخاري: كتاب التهجد، باب من نام عند السحر (١١٣١) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص. وأبو داود: كتاب الصوم، باب في صوم يوم وفطر يوم (٢٤٤٨).

الصلاة السلام، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود عليه السلام، كان ينام من الليل نصفه، ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً».

[٣٧٣] الصيام باب العبادة

روي عن كعب الأحبار رضي الله عنه أنه قال: ليس في العبادات أفضل من الصيام لأنه باب العبادة. وقد جعل الله تبارك وتعالى هذا الشهر العظيم كفارة للذنب وليس في الذنوب إلاَّ عظيم،لأننا إنما نعصي بها الرب العظيم. وقد قالوا: لا تنظر إلى صغير ذنبك ولكن انظر من عصيت! تاب الله علينا حتى لا نعصيه. فالله الله عباد الله غضُّوا ابصاركم في هذا الشهر العظيم وفي غيره عن النظر إلى المحظورات، واحبسوا ألستكم عن أخذ أعراض المسلمين والمسلمات، وأكثروا فيه من الصدقة على أهل المسكنة من ذوي الحاجات، وقوموا في لياليكم فيه بكثرة الصلوات، واسكبوا من أعينكم واكف العبرات، وتضرعوا إلى الله في إقالة العثرات. عساه يبدِّل سيئاتكم بالحسنات.

فإن قيل ما الحكمة في فرض شهر رمضان؟ ففيه أقوال، أحدها أن الله تعالى أمرنا أن نصوم فيه ونجوع لأن الجوعَ ملاكُ السلامة في باب الأديان والأبدان عند الأطباء والحكماء. وقيل ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه، والحكمة ملك لا يسكن إلاّ في بيت خال.

[٣٧٤] فضل الجوع

روي عن يحيى بن معاذ رضي الله عنه أنه قال: من شبع من الطعام عجز عن القيام، ومن عجز عن القيام افتضح بين الخدام، وإذا امتلأت المعدة رقدت الأعضاء عن الطاعات، وقعدت الجوارح عن العبادات. وأنشدوا:

تجــوَّع فــإن الجــوع يــورث أهلــه عــواقــب خيرٍ عمّها الـدهـر دائـم
ولا تــك ذا بطــن رغيــب وشهــوة فتصبـح فـي الـدنيـا وقلبـك هـائـم

وروي عن ذي النون المصري رحمه الله تعالى عليه أنه قال: تجوَّع بالنهار وقم بالأسحار تر عجباً من الملك الجبار.

وروي عن يحيى بن معاذ رضي الله عنه أنه قال: لو كان الجوع يباع في

السوق لكان المريد محقوقاً إذا دخل السوق أن لا يشتري شيئاً غيره، والله تعالى قد فضلكم بدين الإسلام، ومنَّ عليكم بشهر الصيام، والله أعلم. وأنشدوا:

وربك لو أبصرت يوماً تتابعت ... عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدَا
لأبصرتم قد حاربوا النوم وارتدوا ... بأردية السُّهاد واستعملوا الكدَّا
وصاموا نهاراً دائماً ثم أفطروا ... على بلغ الأقوات واستقربوا البعدَا
أولئك قومٌ حسَّن اللهُ فعلهم ... وأورثهم من حسن فعلهم الخلدَا

قيل أمرهم المولى جل جلاله بالصيام لأنه ليس على أهل النار شيءٌ أشدَّ من الجوع وذلك أن الله تعالى يلقي عليهم حتى ينسوا كل العذاب من شدة الجوع. فيستطعمون مالك خازن النار فيأتيهم بطعام الغصة كما قال الله تعالى: ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غصةٍ وعذاباً أليماً﴾ [المزمل: ١٢] فيعبر في حلوقهم فيقولون: إنا كنا نبتلع الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون المهل كما قال تعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل﴾ [الكهف: ٢٩] الآية. فأمر الله تعالى أمة محمد ﷺ بصيام هذا الشهر ليصرف عنهم ذلك الجوع، وكذلك أمر الله تعالى بصيامه سائر الأمم، فآمنت به هذه الأمة وكفرت به سائر الأمم، وهذا من لطف الله تعالى على أمة محمد ﷺ. وأنشدوا:

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ... ولم يعص قلباً غاوياً حيث يممَا
قضى وطراً منه يسيراً وأصبحت ... إذا ذكرت أمثاله تملأ الفمَا

وقيل فرض عليهم صيامَ شهر رمضان لأن الزهد زهدان، زهدٌ في الحلال وزهدٌ في الحرام وأشرفها الزهد في الحلال، فأمرهم الله تعالى بصوم هذا الشهر حتى يعطيهم ثواب زهد الحلال والحرام. وقيل أراد الله تعالى بذلك انتباه الأغنياء ليعلموا حال الفقراء فيصوموا معهم وقيل حتى يذكروا بشدة الصوم شدَّةَ القيامة لأنه ليس على أهل القيامة أشد من الجوع، وليعلموا أنه إذا كانت في طاعة الله تعالى شدة، فإن الجوع في النار أعظم شدة. فالله الله عباد الله اجتهدوا في حفظ هذا الشهر العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم يفوز فيه الصائم، ويحشر فيه المتأني المتهاون الظالم، إذا عرضت عليه الأوزار والجرائم، وانتهاك المحذورات والمحارم.

[٣٧٥] سبب فريضة الصيام

فإن قيل لم فرض رمضان ثلاثين يوماً؟ فالجواب، أنه قيل إن الوقوف على الصراط ثلاثين سنة فإذا صمت ثلاثين يوماً أعانك الله في الموقف بالعافية والسلامة، والسعادة والكرامة ثلاثين سنة. فالله الله جدوا واجتهدوا في هذا الشهر بلا إفراط، وخذوا لأنفسكم بالإحتياط، واحذروا من المكث الطويل على الصراط.

[٣٧٦] رمضان رسول من الله

قيل مثل هذا الشهر كمثل رسول أرسله سلطان إلى قوم، فإن أكرموا شأنه، وعظموا مكانه، وشرَّفوا منزلته، وعرفوا فضيلته، رجع الرسول إلى السلطات شاكراً لأفعالهم، مادحاً لأحوالهم، راضياً لأعمالهم، فيحبهم السلطان على ذلك فيحسن إليهم كلَّ الإحسان. وإن استخفوا برعايته، وهونوا لعنايته، ولم ينزلوه منزلته من الإكرام، وفعلوا به فعل اللئام فيرجع الرسول إلى السلطان وقد غضب عليهم من قبيح أفعالهم، وسيء أعمالهم، فيغضب السلطان لغضبه. كذلك يغضب الله سبحانه وتعالى على من استخف بحرمة شهر رمضان. فيا أيها الإنسان هذا شهر رمضان، شهر التوبة والغفران، وهو رسول من عند الملك الديان، فمن أكرمه منكم حقيقة الإكرام، وحفظ فيه لسانه من قبيح الكلام، وبطنه من أكل الربا والحرام، وأموال الأرامل والأيتام، غفر له الملك العلام، وأدخله الجنة مع محمد عليه الصلاة والسلام.

[٣٧٧] أحاديث في فضل الصيام

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مؤمن يصبح صائماً إلاّ فتحت له الجنة، واستغفر له أهل السماء الدنيا حتى يتوارى بالحجاب فإن صلى ركعتين تطوعاً أضاءت له السموات نوراً، وإن سبَّح وهلَّل تلقاه سبعون ألف ملك يكتبون تسبيحه إلى أن يتوارى بالحجاب». فالله الله عباد الله، يا أهل الذنوب، يا أهل المعاصي والعيوب، يا من عصى مولاه علام الغيوب، اعملوا في بقية شهركم ليوم وفاتكم وفقركم، إذا وقفتم بين يدي ربكم .

روي أن النبي ﷺ كان يقول إذا دخل شهر رمضان: «إن الله فرض عليكم

شهر رمضان، وسننت لكم قيامه، فمن صامه وأقامه إيماناً واحتساباً خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه» وقال في حديث آخر: «ومن صامه وأقامه إيماناً واحتساباً وجبت له الجنة» فالله الله ارغبوا فيما رغبكم فيه نبيكم وما عرفكم به من ثواب ربكم ورحمته عسى أن يغفر لكم ربكم ويتقبل منكم سعيكم.

وروي أن النبي ﷺ كان يقول إذا دخل رمضان: «مرحباً بالمطهر» قالوا: يا رسول الله وما المطهر؟ قال: «مطهر من الذنوب والخطايا» اللهم اكتب لنا فيه براء من النار، وشريعة من الإيمان. فالله الله تطهروا من ذنوبكم للحلول في جوار ربكم، واحفظوا العهود في صيام شهركم فأدُّوا زكاة فطركم.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام رمضان ولم يؤد زكاة الفطر كان صيامه معلقاً بين السماء والأرض حتى يؤديها» فالله الله عباد الله اتبعوا ما أمركم به النبي الرسول، وأطيعوا رباً لا يحول ولا يزول، ولا تغيره الأيام ولا الدهور، لا إله إلاّ الله هو العزيز الغفور.

١٤

مجلس في تحريم الخمر وما جاء فيها

[٣٧٨] قال عبد الملك بن حبيب رحمه الله: ذكر الله سبحانه وتعالى الخمر في كتابه في ثلاث آيات فذمَّها في الإثنتين وحرَّمها في الثالثة. فالإثنتان الأولتان منسوختان، والثالثة الناسخة، وذلك أنها كانت تشرب في أول الإسلام حتى نزل تحريمها بالمدينة وبعد الهجرة، فالناسخة قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾** [المائدة: ٩٠] فهذا تحريم، وكذلك نهى الله في كتابه كله تحريم في كل ما نهى عنه، كما كل ما أمر به فرض مفترض ألا ترى أنه قرن تحريم الخمر بالأنصاب وهي الأصنام التي كانت تعبد من دون الله، وقد قال تعالى في آية أخرى **﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾** [الحج: ٣٠] فقد قرن في نهيه بين الخمر والأصنام التي كانت تعبد من دون الله تعالى فلما نزل تحريمها بعث رسول الله ﷺ مناد ينادي في المدينة: ألا إن الله قد أنزل تحريم الخمر، إن الله ورسوله يحرمان الخمر. فقال بعضهم - وهم يشربونها - صه صه حين سمعوا المنادي. يقول: اسكتوا حتى تسمعوا ما يقول هذا المنادي، فلمَّا تبينوا منه قوله قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فكفوا عنها وأهريقوا ما بقي عندهم منها، ثم ندموا على ما شربوا منها وتخوفوا أن يكون الله عز وجل قد سخط عليهم، فأنزل الله سبحانه **﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناحٌ فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات﴾** [المائدة: ٩٣].

[٣٧٩] تحريم الخمر

اعلموا أن أول ما عاب الله تبارك وتعالى الخمر في سورة النحل في قوله سبحانه **﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكَراً ورزقاً حسناً﴾**

[النحل: ٦٧]. قال الشيخ: وهذا ظاهره تعداد النعمة، وباطنه تعيير وتقريع وتوبيخ، يقول الله تعالى: رزقتكم ثمرات النخيل والأعناب فاتخذتم منه السكر وعدلتم عن الرزق الحسن. فالمفهوم من هذا القول أن الله تبارك اسمه عرفكم بمنّه ونعمه عليكم، ووبخكم بتغييركم لنعمه فكأنه تبارك وتعالى قال: **﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكَراً ورزقاً حسناً﴾** [النحل: ٦٧] فالمعنى تتخذون من الرزق الحسن سكراً، وبدلتم الطيب بالخبيث وهذه غاية الكفر بنعم الله تعالى أن تستعمل في معاصي الله تعالى، فلما نزلت هذه الآية وقد أعاب الله تعالى في الخمر، ثم امتنع ناس من شربها وبقي على شربها الأكثرون حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة.

[٣٨٠] حمزة عم النبي والخمر

فخرج حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه وقد شرب الخمر حتى سكر منها فلقيه رجل من الأنصار وبيده ناضح له، والأنصاري يتمثل ببيتين من شعر لكعب بن مالك في مدح قومه وذكر مفاخرهم وهما:

جمعنا مع الإيواء نصراً وهجرةً　　فلم يرجُ (حيٌّ) مثلنا في المعاشرِ
فأحياؤنا من خير أحياء من مضى　　وأمواتنا من خير أهل المقابرِ

[٣٨١] حمزة والأنصاري

فقال حمزة رضي الله عنه: أولئك المهاجرون، فقال الأنصاري: بل نحن الأنصار، فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الأنصاري فلم يمكن الأنصاريٍ أن يقوم به فانهزم وترك ناضحه فقصد حمزة إلى الناضح فضربه بالسيف فقطّعه، ومضى الأنصاري مستعدياً إلى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر حمزة وفعاله بالناضح، فأعطى النبي ﷺ الأنصاري ناضحاً.

[٣٨٢] عمر بن الخطاب والخمر

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أما ترى ما نلقى من أمر الخمر يا رسول الله؟! إنها مذهبةٌ للعقل متلفةٌ للمال، فأنزل الله تعالى بالمدينة **﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير﴾** [البقرة: ٢١٩] وقرىء كثير والمعنيان متقاربان ﴿ومنافعُ للناس﴾ [البقرة: ٢١٩] وعلى هذا معارضة لقائل أن يقول: أين

المنفعة؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرَّم عليها» فالجواب عن ذلك، أنهم كانوا يتبايعونها من الشام بالثمن اليسير ويبيعونها بالحجاز بالثمن الكثير، وكانت المنافع التي فيها من الأرباح. وكذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قل فيهما إثم كبير﴾ [البقرة: ٢١٩] فانتهى عن شربها قوم وبقي قوم على شربها حتى دعا محمد بن عبدالرحمن بن عوف الزهري قوماً فأطعمهم وسقاهم الخمر حتى سكروا فلما حضر وقت الصلاة قدموا رجلاً منهم يصلي بهم.

[٣٨٣] ابن أبي جعونة والخمر

وكان أكثرهم قرآناً رجل يقال له أبو بكر بن أبي جعونة وكان حليف الأنصار، فقرأ فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون فمن أجل سكره خلط فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون، وخلط أول السورة بخاتمتها حتى ختم السورة على ذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فشق عليه ذلك. فأنزل الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ [النساء: ٤٣] فكانوا يشربونها بعد صلاة العشاء الآخرة ثم ينامون، ثم يقومون عند صلاة الفجر فيصحون منها، ثم يشربونها بعدْ صلاة الصبح فيصحون منها عند صلاة الظهر ثم لا يشربون بعد ذلك حتى يصلون العشاء الآخرة.

[٣٨٤] سعد بن أبي وقاص والخمر

حتى دعا سعد بن أبي وقاص الزهري رجلاً لوليمة عملها على رأس جزور فدعا أناساً من المهاجرين فأكلوا وشربوا الخمر حتى سكروا منها فافتخروا، فعمد رجل من الأنصار إلى أحد لحيي الجزور فضرب به أنف سعد ففزره فجاء مستعدياً إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسرُ والأنصابُ والأزلام رُجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلَّكم تفلحون﴾ [المائدة: ٩٠] الآية فاختلف العلماء من أهل التفسير في موضع التحريم هل وقع في قوله تعالى ﴿فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة: ٩١] أو في غير هذا الموضع. وقال قوم من المفسرين إن التحريم وقع في قوله تعالى: ﴿فاجتنبوه﴾ [المآئدة: ٩٠] وقال الأكثرون منهم بل وقع في قوله تعالى: ﴿فهل أنتم منتهون﴾ [المآئدة: ٩١] واستدلوا على ذلك بقوله تعالى في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿أتصبرون﴾ [الفرقان: ٢] والمعنى اصبروا، وكذلك في الشعراء ﴿قوم فرعون ألا يتقون﴾

[الشعراء: ١١] والمعنى اتقوا. وكذلك في سورة يوسف ﷺ وعلى نبينا محمد وسلم قوله ﴿تزرعون سبع سنين دأباً﴾ [يوسف: ٤٧] والمعنى ازرعوا. وفي سورة الواقعة قوله ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها﴾ [الواقعة: ٨٩] يعني الروح والمعنى ارجعوها، وكذلك قوله في الخمر ﴿فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة: ٩١] والمعنى انتهوا فقالوا عند ذلك: انتهينا انتهنيا يا رسول الله، وهذه من الأخبار التي معناها الأمر. وقال بعض أهل العلم: إن تحريم الخمر في الآية التي في الأعراف قوله تعالى: ﴿إنما حرَّم رَبي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم﴾ [الأعراف: ٣٣] والاثم هي الخمر، قال الشاعر:

شربت الإثم حتى ضلَّ عقلي ... كذاك الإثم يذهب بالعقولِ

وقال آخر:

نشرب الإثم بالكؤوس جهاراً ... نترك الهتك بيننا مستعاراً

والهتك الأترنج. فهذه جمل تحريم الخمر وانتقاله في مواطنه، وأما تحريمها في الأنعام في قوله تعالى: ﴿قل لا أجد في ما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه إلاّ أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير﴾ [الأنعام: ١٤٥] فإنه رجس والدم رجس، والميتة رجس، والخمر رجس، بل الخمر أكثر رجساً، بل الميتة أحلت للمضطر ولم تحل الخمر لأحد، والخمر ما خامر العقل فغطاه وإذا غاب العقل حضر الجهل، وإذا حضر الجهل كفر العبد ولا يبالي. وأما قول الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧].

[٣٨٥] أحاديث في تحريم الخمر

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كلُّ مسكرٍ حرام» وما أسكر كثيره من جميع الأشربة فقليله حرام.

وفي حديث آخر قال ﷺ: «كل شراب أسكر فهو حرام» واعلموا أن أمكن ما يكون الشيطان من العبد إذا شرب المسكر، فإذا تمكن الشيطان من العبد أمره بالكفر وصده عن الإيمان وعن طاعة الرحمن، وأغلق في وجهه أبواب الخير كله. وأنشدوا:

الخمرُ داعيةٌ إلى العصيان ... والخمر قائدة إلى النيرانِ

والخمرُ شاربها يصدُّ عن الهدى ... ويبدل الطاعاتِ بالعصيانِ
والخمرُ شاربها حليفُ ضلالةٍ ... ويبدل الإيمان بالكفرانِ
شرب المدامةِ للإله عداوةٌ ... ومحبةٌ للماردِ الشيطانِ
فبادروا التوبة يا أهل الزنا ... وتقربوا للواحد الديانِ
وتباعدوا عن شرب مفتاح الردى ... ومغالق الخيرات في الإيمانِ
فهي المحرمةٌ التي تحريمها ... في محكمِ الآياتِ والقرآنِ

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الخمر جماع الإثم» وهذا الحديث يخرج منه قول النبي ﷺ «ليس بين العبد والكفر إلاّ ترك الصلاة» وشارب الخمر لا يقبل منه صلاة، فإذا لم يقبل الله منه حسنة واحدة واجتمعت عليه الآثام، فهي جامعة للآثام، قائدة إلى الحرام، قاطعة عن طاعة الملك العلام.

[٣٨٦] الخمر شرُّ كلُّه

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الخمر مفتاح كل شر وأن خطيئتها تعلو كل الخطايا كما أن شجرتها تعلو كل الشجر» فهنا قد قال رسول الله ﷺ: «الخمر مفتاح كل شر» وما كان مفتاحاً للشر كله، كان مغلاقاً للخير كله. فإذا شربتم القهوات، وعصيتم رب الأرضين والسموات، وانغلقت عنكم أبواب الخيرات، وانفتحت لكم أبواب المنكرات، وحلت بكم عظائم المصيبات، وغضب عليكم رب الأرباب وسيد السادات، عاقبكم بأشد العقوبات، في دار المصائب والحسرات، ومحل العذاب والبليات. وأنشدوا:

أهل الخمورِ من الرحمن قد بعدوا ... وفي العذاب على الخسران قد وردُوا
بشربهم من إله العرش قد بعدوا ... وفي الصدور مع الشيطان قد قعدُوا
دع المدامة لا تسلك طريقتها ... فأهلها لنعيم الرب قد جحدُوا
وقد تواعدهم رب السماء على ... شرب الخمور بنار جمرها يقدُ
غداً ترى أهل شرب الخمر كلّهم ... بدار ويل على النيران قد وردُوا

[٣٨٧] قول ابن عباس في السكران

روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: من بات سكراناً بات للشيطان عروساً، وللعروس حبيباً، فإذا كنت حبيب الشيطان فأنت عدوُّ الرحمن، وإذا كنت

عدُّو الرحمن فأنت من أهل الهوان، وفي سموم النيران. عباد الله مولاكم قد أمركم بأمره، ونهاكم بنهيه، ومنَّ عليكم برفقه، ووسع عليكم من سعة رزقه. وجعلكم من خير الأمم، وأسبل عليكم جزيل النعم، فلا تستعينوا بنعمه على معاصيه، فإنه ذو انتقام وعذاب، ورحمة وثواب، فأطيعوا مولاكم في جميع الأمور، ولا تهتكوا أستاركم بشرب الخمور، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. وأنشدوا:

يا شاربَ الخمرِ ترجو أن تنالَ بِهِ ... عفوَ الإلـهِ وأنت اليوم مطرودُ
وأنت تشرب طولَ الدهر منهمكاً ... وأنت عن طاعةِ الرحمنِ مفقودُ

شربتم الخمور، وعصيتم الرب الغفور، وهتكتم الستور، وركبتم الفواحش والفجور، وتهاونتم بصعاب الأمور، ولم تفكروا في العرض والنشور، والوقوف بين يدي من يعلم ما تخفي الصدور.

[٣٨٨] ثمن الخمر خسارة

ذكر في بعض الأخبار، ما من عبد أنفق درهماً في الخمر إلا محق الله تبارك وتعالى من رزقه سبعين درهماً، وجعل الله كل درهم ينفقه في الخمر سلسلة في عنقه من نار جهنم، وجعله ثعباناً يأكله في قبره إلى يوم القيامة، فإذا خرج من قبره خرج معه الثعبان فلا يفارقه حتى يلقيه في نار جهنم، وأعظم من هذا أن شارب الخمر لا يكتب له صاحب اليمين حسنة واحدة ولا ينظر الله إليه، وإنما يكتب له صاحبُ الشمال، لأن رأس العبادات هي الصلاة ولا يقبل من أحد حسنة حتى تقبل صلاته، وصاحب الخمر لا تقبل صلاته فإذا تاب تاب الله عليه ومحا الله من صحيفته كلَّ ذنب عمله في حال شربه، وكتب له بكل حسنة عملها ولم تقبل منه يثبتها الله تعالى وإذا مات من ساعته مات ولا ذنب عليه، ويكون أفضل ممن لم يشربها في الدنيا وأنشدوا:

لا تشرب الخمر يا مغرور إنّ لها ... وزراً عظيماً لدى الرحمن في الحشرِ
الخمر تبعد عن حق الإلـه وعن ... شرعِ الرسول الذي في محكم الذكرِ
إن الذي قطع الأيام يشربها ... له عذاب شديدٌ كاشفُ السترِ

روي أن النبي ﷺ أعار علياً بعيرين ليأتي عليهما بأذخر يستعين به على زفاف

فاطمة رضي الله عنها، فجاز بهما علي رضي الله عنه فأناخهما عند باب حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه واستأجر يهودياً ليخرج معه، ويأتي بالأذخر وكان حمزة يشرب، وغنت المغنية غناء تذكر فيه أكباد الإبل، فخرج حمزة فوجد البعيرين على بابه فنحرهما ودخل بأكبادهما، فجاء علي رضي الله عنه فوجد البعيرين نحيرين فمضى إلى النبي ﷺ فشكا إليه، فجاء معه صلوات الله عليه فلما رأى حمزة النبي ﷺ.

[٣٨٩] كيف سكر حمزة

وكان حمزة رضي الله عنه قد أخذت فيه الخمر قال: ألستم عبيدي؟! فتأخر رسول الله ﷺ وقال: «لست بعبد لأبيك» فقال عمر رضي الله عنه: اللهم إن الخمر مفسدة للعقل مذهبة للمال، فأنزل اللهم لنا في الخمر بياناً، فأنزل الله سبحانه **﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافعٌ للناس﴾** [البقرة: ٢١٩] إثم أي في تناولها، ومنافع للناس في ترك تناولها فإذا تركها عبد من عباد الله غفر الله له ما قد سلف.

[٣٩٠] قراءة السكران

فقال قوم: نشربها لما فيها من المنفعة، فحانت وقت الصلاة فقدم رجل سكران فصلى بأصحابه فقرأ يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وختم السورة على هذا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فشق عليه، فقال عمر رضي الله عنه: اللهم أنزل علينا بياناً في الخمر فأنزل الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾** [النساء: ٤٣] فكانوا يشربونها في غير وقت الصلاة حتى كان من أمر سعد بن أبي وقاص ما كان مع الأنصاري وقد تقدم ذكره فقال عمر رضي الله عنه: اللهم أنزل علينا في الخمر بياناً، فأنزل الله عز وجل: **﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان﴾** [المائدة: ٩٠] إلى آخر الآيتين إلى قوله: **﴿فهل أنتم منتهون﴾** [المائدة: ٩١] فقالوا بأجمعهم: انتهينا يا رسول الله انتهينا، فعند ذلك بعث النبي ﷺ منادياً ينادي في المدينة؛ ألا إن الخمر قد حُرِّمت. قال أنس بن مالك: فسمعت النداء وأناأسقي طلحة في رهط من الأنصار الفضيخ والبسر والرطب فوالله ما انتظروا حتى قالوا: يا

أنس أخرجها عنا فأهريقت في الحين فانتهوا. فإذا فعل هذا أصحاب رسول الله ﷺ وبادروا إلى التوبة وأطاعوا مولاهم ونبيهم ﷺ فمالكم لا تتأسوا بأفعالهم، وتقتدوا بأعمالهم وتقفوا آثارهم، وتسمعوا أخبارهم وتتركوا الخمر لوجه الله الكريم فعساه يجعل الجنة مأواكم ويكرم الآخرة مثواكم؟؟ فراقبوه فإنه يراكم ويعلم سركم ونجواكم والله أعلم. وأنشدوا:

لا يشرب الخمرَ إلاّ فاجرٌ بطرٌ ... قد خالف الله والقرآن والرسلاَ
بئس الشراب وبئس الشاربون لها ... لا يسلكونه إلى دنياهم سبلاَ
هي الدليل إلى دار الجحيم غداً ... بئس الدليل ولا يرجى لهم حولاَ
إلاّ يتوب عسى الرحمنُ يقبله ... فتب من الذنب لا تيأس وإن ثقلاَ

[٣٩١] من مات يدمن الخمر

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات وهو يشرب الخمر لم يشربها في الآخرة» وهي والله من ألذ نعيم الجنة كما قال تبارك وتعالى: ﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾ [محمد: ١٥] يا عدو نفسه يا مسكين حرمت نفسك اللذات، في قرار الجنات، وعصيت رب الأرضين والسموات، بشربك القهوات المحرمات، في محكم الآيات، ولم تستح من عالم السرائر والخفيات وأنشدوا:

أكثرت الخمر من عيوبي ... وزاد حزني مع الكروبِ
جلَّ مصابي وضاق ذرعي ... واسودَّ قلبي من الذنوب
يا ليتني تبت باجتهاد ... لعالم الجهر والغيوبِ
الخمر مفتاح كل شر ... لكل عاص لها شروب

[٣٩٢] عذاب شارب الخمر

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «بعثني الله تعالى رحمة وهدى للعالمين وأقسم ربنا بعزته وجلاله لا يشرب عبد من عبيده جرعة خمر إلاّ سقيته مكانها من حميم جهنم معذباً أو مغفوراً له، ولا يدعها عبد من مخافتي إلاّ سقيته إياها من حظيرة

---

[٣٩٢] حديث «بعثني الله رحمة».

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٥٦) من حديث أبي أمامة.

الفردوس» فيا معشر الإسلام، أطيعوا مولاكم الملكَ العلاَّمَ، ولا تخالفوا القرآن والأحكام، واقبلوا نصيحة نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام، يدخلكم ربكم برحمته دار السلام وأنشدوا:

إلى الله أشكو ضيق صدري من الضرِّ وعظم خطايا كالجبال وكالقطرِ
لعلَّ إلهي أن يجودَ بعفوه وينقذ عبداً عام في غمرة السكرِ
ظلوماً غشوماً لا يفارق محرماً ولا يستفيق الدَّهرَ من فتنة الخمرِ
فيا طول حزني ثم يا طول حسرتي لئن لم يجد لي عالمُ السرِّ والجهرِ

[٣٩٣] شارب الخمر في القيامة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي بعثني بالحق إن شارب الخمر يأتي يوم القيامة فيقول الله سبحانه وتعالى لملائكته: خذوه، فيبتدرون له سبعون ألف ملك فيسحبونه على وجهه فتستقبله الملائكة معها السلاسل فيضربون وجهه فيفتح فاه فيلقى فيه طعام مثل رؤوس الشياطين ولا يكاد يسيغه فيخرج الدود منه فيتعلق بلسانه ثم يقع في بطنه فهي تجري فيه مثل الوحوش في البرية» أيها المصرون على الجراع والآثام، المسرفون في شراب المسكر الحرام، أفنيتم أعماركم في الكذب والزور، وضيعتم أيامكم في الجهل والغرور، وقطعتم أوقاتكم في الفسق والفجور، واستعنتم على معصية الله بشرب الخمور، أما علمتم أن الخمر متلفةٌ للمال، مذهبة للبهاء والجمال، عاقبتها إلى وبال، ويؤول شاربها إلى شر مآل الخمر أولها لهو ومزاح، وآخرها بكاء ونياح، أمرأة شارب الخمر في كل وقت مطلقة وثيابه في كل حين ممزقة. شارب الخمر خليل الشيطان، شارب الخمر عدو الرحمن، شارب الخمر بعيد من الإيمان، شارب الخمر قريب من الضلال والخسران، شارب الخمر في بحار السخط عائم، شارب الخمر على عذاب النار حائم، شارب الخمر مخالف للتنزيل، شارب الخمر مخالف لسنة الرسول عدو للملك الجليل، شارب الخمر ملعون على لسان سيد المرسلين، شارب الخمر مخالف لسنة خاتم النبيين. أما علمت يا من بعد من الإحسان، وتقرب من الفسوق والعصيان، وحل في سخط المهيمن الديان، أن الخمر موقعة للعداوة والشقاق، قاطعة للخير والأرزاق، قائدة إلى أليم العذاب يوم التلاق. أما علمت أنها تحول بين شاربها وبين الرشاد، وتلقيه في الضلال والفساد، وتوقع العداوة والبغضاء بين

العباد، وتقود إلى العذاب الشديد يوم التناد. وأنشدوا:

الخمـــر ولأدةٌ للشــر أجمعـــه ... ومــن ولادتهــا العصيــان والكفــرُ
تعصـي الإلـه إذا مـا عشـت تشـربهـا ... وتبعـد الخيـر والإحسـان والشكـرُ
العبـد يشـربهـا واللعـن تـابعـه ... والخـزي شـاملـه والـويـل والعسـرُ

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن الخمر وشاربها وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبايعها ومبتاعها وحاملها والمحمول إليه وآكل ثمنها والدال عليه» يا أخي قد لعن الله كل من نسب إلى الخمر واللعنة هواناً للعبد، وإذا أبعد الله العبد من جواره أصلاه عذابه وحر ناره، فبادر يا شاربها إلى المتاب، فإن الله قد حرمها في الكتاب، وتواعد عليها أشد النكال والعذاب. وأنشدوا:

يا من يبيت على شرب الخمور ولا ... يخشـى الإلـه ولا يخشـى مـن النـارِ
تعصـي الإلـه ولا تقضـي فـرائضـه ... عـارٌ عليك ومـا في التوب من عارِ
فتب مـن الخمـر للـرحمن خـالقنـا ... وكـل ذنـب قـديـم العهـد أوتـارِ

[٣٩٤] الخمر جريمة عظيمة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من شرب شربة من مسكر لم يقبل الله له صلاة أربعين يوماً فإن تاب تاب الله عليه، والذي بعثني بالحق من شرب من الخمر ثلاث شربات لا يقبل الله تعالى صلاته مائة وعشرين يوماً، وكان حقاً على الله تعالى أن يسقيه من الخبال» قال عبدالله بن عمر رضي الله عنه: هو صديد أهل النار وقيحهم. وفي بعض الأخبار لو أن قطرة من الخبال ألقيت من السماء السابعة لمات أهل السموات والأرض من النتن، فإن لله وإنا إليه راجعون على من شرب الخمور، وهتك الستور، وعصى الملك الغفور، وبذل مهجته لعذاب الويل والثبور، وغره بالله عدوه الغرور. وأنشدوا:

تعصـى الإلـه وتـأتـي الخمـر تشـربهـا ... وتـرتجـي مـن إلـه العـرش غفـرانَـا
وأنـت تحـوي فعـال الخيـر أجمعهـا ... وقـد جمعـت مـن العصيـان ألـوانَـا
فتب ولا تتمـادى فـي الضـلال عسـى ... تلقـى إلَهـاً كثيـر العفـو رحمـانَـا

عباد الله أما تستحون ممن أخرجكم من بطون الأمهات، وأسبغ عليكم جزيل لنعم والخيرات، وهداكم بفضله إلى الصوم والصلوات، ووعد من أطاعه

بالخيرات في الجنات العاليات، وتواعد من عصاه بالخيبات وشدائد العقوبات. أما علمتم أن الخمر أم الجرائم والسيئات، ومفتاح الكبائر والخطيات، وباب المصائب والرزيات، وموجبة لغضب رب الأرضين والسموات، ومخربة الديار بوقوع الشتات. فلا تدنسوا أعمالكم بشرب الخمر الحرام فإنها أم الكبائر والآثام، ومن شربها فقد خالف القرآن والأحكام، وحل في سخط الملك العلام؛ أما تستحي يا مطرود من باب الله، يا مخالفاً لحدود الله، يا مؤالفاً لأعداء الله، من رب منَّ عليك بنعمة الإسلام، وجعلك من خير أمة أخرجت للأنام، وفضلك بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فعصيت يا مغرور مولاك، واتبعت غيك وهواك، ونسيت النعم التي أولاك، ولم تنته عمَّا عنه نهاك. أهذا جزاء من أحسن إليك، وسترك وأنعم عليك؟ بئس ما صنعت يا من ظل في المعاصي سراً وجهراً، يا من بدل نعمة الله كفراً، يا من هتك بعصيانه حجاباً وستراً، يا من حرم بذنبه توفيقاً ويسراً، يا من أورثه العصيان شراً وعسراً. أما تستحي يا مطرود يا من هو عن باب مولاه مردود، يا من خالف الأحكام والحدود، من رب أخرج لك من العدم إلى الوجود، عنباً حلالاً أخرجه من العود، تعصر منه خمراً تعصى به الملك المعبود؟ ما أجهلك بطريق المتقين، ما أبعدك عن سيرة خير المرسلين، يا قليل الدين، يا ضعيف الإيمان واليقين، يا خليل الشيطان اللعين، ستعلم غداً إذا وقفت بين يدي أسرع الحاسبين، وأمر بك إلى العذاب المهين، فحينئذٍ تقول بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين، اللهم تب علينا حتى لا نعصيك برحمتك يا أرحم الراحمين.

١٥

مجلس في فضل يوم عاشوراء وما جاء فيه

[٣٩٥] وفي صيامه من الفضل العظيم

اعلموا عباد الله أن الله سبحانه وله الحمد والمنة قد فضل هذه الأمة بفضائل خص بها أمة محمد ﷺ من سائر الأمم. الحكمة في ذلك أن الله تعالى لما جعل أمة محمد أقصر الأمم أعماراً، جعل لهم هذه الفضائل وهذه الدرجات، ورفع لهم بذلك الدرجات والمنازل في الجنة وهي كالأيام البيض من كل شهر وكيوم عرفة ورجب وشعبان والستة أيام بعد الفطر ومثلها كثير. فهذه أمة قد رفق الله بها وجعل لها من اليسير كثيراً، ووعد لها على ذلك في الآخرة أجراً كبيراً، فيوم عاشوراء يوم تغفر فيه الذنوب والخطيات، ويتقرب فيه بالصدقات، وأفعال الخيرات إلى عالم الخفيات، وصومه سنة مستحبة لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

[٣٩٦] ثواب صيامه

«من صام يوم عاشوراء أعطاه الله تعالى ثواب عشرة آلاف ملك وثواب عشرة آلاف شهيد، وثواب كل حاج ومعتمر في ذلك العام، وثواب تسبيح ملائكة السبع سموات ومن فيهن».

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام يوم عاشوراء كتب الله له عبادة ستين سنة صيام أيامها، وقيام لياليها، وكأنما حج واعتمر سبعين مرة». فالله الله عباد الله تقرّبوا إلى الله في يوم عاشوراء أيما استطعتم من نوافل الخير وسبل البر فإن يوم عاشوراء يوم يوصل فيه الرحم، ويضاعف الأجر للمؤمن السخي الكريم، ويجزي الله جل جلاله معطي الزكاة جنات النعيم، ويبذل فيه السخط على الشقي اللئيم،

الذي يمنع الزكاة المفروضة في القرآن الحكيم. فالله الله معشر المؤمنين، وجماعة الموحدين ارغبوا في هذه الفضيلة الجزيلة تفوزوا بالنعمة الدائمة الطويلة، التي ليس لها زوال ولا انقطاع، ولا لصاحبها عنها صد ولا امتناع.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أفطر عنده مؤمن في يوم عاشوراء فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد ﷺ وأشبع بطونهم، ومن مسح على رأس يتيم في يوم عاشوراء رفع الله له بكل شعرة على رأسه درجة في الجنة، ومن كسا فيه مسكيناً فكأنما كسا مساكين أمة محمد ﷺ وكساه الله سبعين حلة من حلل الجنة» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله صلى الله عليك لقد فضلنا الله عز وجل بيوم عاشوراء؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم يا عمر خلق الله السموات والأرض في يوم عاشوراء، وخلق الشمس والقمر في يوم عاشوراء، والنجوم كمثله، وخلق العرش والكرسي في يوم عاشوراء، وخلق القلم في يوم عاشوراء، واللوح كمثله، وخلق جبريل في يوم عاشوراء، وملائكته كمثله، وخلق آدم في يوم عاشوراء، وحواء كمثله، وخلق الجنة في يوم عاشوراء، وأسكن آدم الجنة في يوم عاشوراء، وولد إبراهيم عليه السلام في يوم عاشوراء ونجاه الله من النار في يوم عاشوراء؛ وهداه الله في يوم عاشوراء، وأغرق الله فرعون في يوم عاشوراء، ورفع عيسى في يوم عاشوراء، ورفع الله ادريس في يوم عاشوراء، وولد عيسى بن مريم في يوم عاشوراء، وتاب الله على آدم في يوم عاشوراء، وغفر ذنبه في يوم عاشوراء، واستوت سفينة نوح على الجودي في يوم عاشوراء، وأخرج يوسف من السجن في يوم عاشوراء، وتاب الله على قوم يونس في يوم عاشوراء، وأعطى سليمان الملك يوم عاشوراء، ويوم القيامة يوم عاشوراء». ويروى أن أول مطر ينزل من السماء يوم عاشوراء.

[٣٩٧] الغسل يوم عاشوراء

وقال رسول الله ﷺ: «من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض إلاّ مرض الموت، ومن اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم ترمد عيناه في تلك السنة كلها، ومن عاد مريضاً يوم عاشوراء، فكأنما عاد جميع ولد آدم عليه السلام وعلى جميع الأنبياء الكرام، ومن سقى مؤمناً شربة من ماء يوم عاشوراء فكأنما سقى جميع ذرية آدم وكانوا عطاشا، ومن صلى يوم عاشوراء أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة

الكتاب وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة غفر الله له خمسين عاماً ماضياً وخمسين عاماً مقبلاً، وبنى له الله ألف منبر من نور الله» عباد الله ارغبوا في فضل هذا اليوم المرغوب فعسى الله أن يغفر لكم ما أسلفتم من الأوزار والذنوب، ويستر عليكم ما أتيتم من القبائح والعيوب.

روي أن موسى عليه السلام قال: مكتوب في التوراة من صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله، ومن تصدق يوم عاشوراء فكأنما لم يترك سائلاً إلاّ أعطاه، ومن كسا فيه عرياناً فكأنما كسا جميع خلق الله، ومن مسح على رأس يتيم فكأنما مسح رؤوس اليتامى وغرس الله له بكل شعرة على رأسه سبعمائة شجرة تحمل من الحلي والحلل عدد نجوم السماء ومن أرشد فيه ضالاً دفع الله عنه ظلمة القبر وملأ قلبه نوراً، ومن كظم فيه غيظاً كتب من الراضين بقسم الله تبارك وتعالى، ومن شهد جنازة يوم عاشوراء فله بكل شيء خلقه الله وهو خالقه درجات في الجنة، ومن ترك فيه شهوة وأطعمها أخاه المسلم لم يقبض روحه ملك الموت حتى يطعمه من طعام الجنة ويسقيه من شرابها، ومن اغتسل في يوم عاشوراء كان عند الله طاهراً، ومن قرأ آية في كتاب الله في ليلة عاشوراء أو في يومها أعطي من الثواب مثل ما أعطي لإدريس عليه السلام، ومن أحيا ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله بعبادة الملائكة المقربين، ومن بكى يوم عاشوراء أو ليلة عاشوراء أو فاضت عيناه من خشية الله تعالى كتب الله له نصيباً في عبادة الخائفين، ومن أتى عالماً في يوم عاشوراء ليسمعه أو يتعلم منه مسألة في دينه وما ينفعه لآخرته أعطي مثل ثواب المهاجرين والأنصار وأوجب الله له الجنة ويكتب له الملكان الحسنات إلى يوم عاشوراء من العام الذي يأتي، ومن صام يوم عاشوراء محتسباً عالماً بفضله سخر الله له بكل ساعة من ليله ونهاره من ذلك اليوم الذي صامه مائة ألف ملك يدعون له إلى يوم القيامة، ومن أراد صيام يوم عاشوراء وأصبح فيه آكلاً وهو لا يعلم فليمسك عن الأكل في بقيته وله فضله كاملاً إن شاء الله تعالى.

[٣٩٨] النفقة على العيال

وتستحب النفقة في ليلة عاشوراء ويوم عاشوراء رجاء فضل الله وطلباً لمرضاته ولوجوب البركة فيه، فإنه روي «أن من أنفق فيه درهماً أخلف الله له

سبعمائة. وكل درهم ينفقه فيه في طاعة الله فهو عند الله تعالى أثقل من السموات والأرضين السبع».

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أكثروا خير بيوتكم في ليلة عاشوراء ويومه ووسعوا فيه على أهاليكم فيما يحل ويجمل، فمن لم يجد فليوسع خلقه ـ أظنه مع قرابته ـ وليعفُ عمَّن ظلمه.

[٣٩٩] بنو اسرائيل وعاشوراء

وكان يوم عاشوراء يصومه بنو اسرائيل ويعظمونه، وكانت قريش تصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر بصيامه إلى أن فرض شهر رمضان فجعل الله تعالى هذا الخير كله لأمة محمد ﷺ. فيوم عاشوراء يوم يتقبل الله فيه الحسنات، وترفع فيه الدرجات المرتفعات، وتخلف فيه النفقات، وتكثر فيه البركات. ويفرح فيه أهل الفاقة والحاجات. يوم عاشوراء يوم تظهر فيه الأعمال؛ ويوسع فيه على العيال، وتزكوا فيه الأفعال والأقوال، ويرحم فيه عبيده ذو الإكرام والجلال. يوم عاشوراء يوم توصل فيه الأرحام، وتربح فيه الكرام، وتخسر فيه اللئام، لمخالفتهم القرآن والأحكام، وعصيانهم الملك العلام. يوم عاشوراء تفرح فيه الأرامل والأيتام، ويرحم فيه ذو الجود والانعام، ويغفر فيه السيئات والإجرام، ويوجب لمن أطاعه دار الخلد والسلام فالله الله عباد الله إياكم أن يضرب الشيطان على قلوبكم الأقفال، ويصدكم عن سبيل الكريم المتعال، ويفتح في قلوبكم أبواب الفقر لتمنعوا الزكاة من أموالكم ويؤول بكم ـ إن أطعتموه شر مآل، يا أخي البخيل صاحب الشيطان الذليل، يمنع الزكاة، ويقل النفقات، ويفوت نفسه جميع الخيرات. فعيشه في الدنيا عيش الفقراء وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء فيا معشر المؤمنين كونوا كراماً ولا تكونوا لئاماً فإن الكرام في جنة الخلد والنعيم، واللئام في عذاب الجحيم فتقربوا إلى الله في هذا اليوم بأداء الزكاة، وتطوَّعوا فيه بالنوافل من الصلوات. فعسى الله أن يغفر لكم ما أسلفتم من الأوزار والسيئات.

---

[٣٩٩] حديث «لما قدم المدينة».

أبو داود: كتاب الصوم، باب في صوم يوم عاشوراء (٢٤٤٢) من حديث عائشة.

[٤٠٠] صيامهم له

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى افترض على بني اسرائيل صوم يوم في السنة وهو يوم عاشوراء العاشر من المحرم فصوموه ووسِّعوا فيه على عيالكم وأهليكم» فمن وسَّع على أهله من ماله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر سنته فمن صام هذا اليوم كان له كفارة أربعين سنة وما من أحد أحيا ليلة عاشوراء أو أصبح صائماً إلاّ مات ولم يذق طعم الموت، يا أخي إن العجوز لتغزل يوم عاشوراء لتبقى بركة غزلها إلى العام القابل فاعمل أنت في هذا اليوم من الطاعات لتبقى بركتها عليك ليوم القيامة، وما من عبد مؤمن أنفق في يوم عاشوراء درهماً أو مثقالاً إلاّ أخلف الله تعالى عليه في دنياه سبعين ضعفاً مثل ما أنفق، وجعل نفقته زاده إلى الجنة فالله الله يا عباد الله اصنعوا في هذا اليوم المعروف وأعينوا الضعيف وأغيثوا الملهوف، يغيثكم الرب الرحيم الرؤوف.

[٤٠١] كل معروف صدقة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كل معروف صدقة، والمعروف يقي سبعين نوعاً من البلاء ويقي ميتة السوء» والمعروف والمنكر منصوبان للناس في المحشر يوم القيامة، فالمعروف لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلى الجنة، والمنكر لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلى النار. أعاذنا الله وإياكم من النار. فالله الله احرصوا أن تكونوا من أهل الجنان، ولا تكونوا من أهل النيران، واجتهدوا في الخير والزيادة ولا ترضوا بالنقصان.

[٤٠٢] أهل المعروف

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنّ الله تبارك وتعالى جعل للمعروف وجوهاً من خلقه حبب إليهم المعروف وحبب إليهم فعاله، ووجَّه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه، كما يسر الغيث إلى الأرض المجدبة ليحييها ويحيي أهلها، وان الله

---

[٤٠٠] حديث «إن الله افترض على بني اسرائيل. . .».

ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص ٩٧). وقال: رواه ابن ناصر عن أبي هريرة مرفوعاً وساقه في اللآلىء مطولاً وفيه من الكذب على الله وعلى رسوله وهو موضوع بلا شك.

[٤٠٢] حديث: «إن الله تبارك وتعالى جعل للمعروف. . .» قال العراقي: رواه الدارقطني في المستجاد. إتحاف السادة المتقين (٨/ ١٧٨).

تبارك وتعالى جعل للمعروف أعداء من خلقه بغَّض إليهم المعروف وبغَّض إليهم فعاله، وحظر على طلاب المعروف الطلب إليهم وحظر عليهم إعطاءه كما حظر الغيث عن الأرض المجدبة، ليهلكها ويهلك أهلها، وما يغفر الله عز وجل أكثر فالله الله يا أولياء الله يا أهل المعروف. فكونوا من أهل المعروف، وأعينوا الفقير وأغيثوا الملهوف، فعسى الله أن يغيثكم يوم البعث إنه رحيم رؤوف.

[٤٠٣] إخراج الزكاة

وهذا اليوم المبارك الشريف يوم عاشوراء لما جعل الله فيه من الخلف والخيرات، واعلموا أنه لما عظَّم الله تعالى يوم عاشوراء وجعل فيه الخلف والخيرات استحب للمؤمنين فيه إخراج الزكاة، وما من أحد من المؤمنين والمؤمنات لم تجب عليه زكاة ماله فأعطى في يوم عاشوراء أو تصدق من اليسير الذي معه رغبة في فضل يوم عاشوراء إلّا كتب من أهل الزكاة ولم يخرج من الدنيا حتى يعطى مالاً حلالاً يزكى عليه. فإياكم يا معشر المؤمنين والمؤمنات أن يخدعكم الشيطان اللعين، لأنه قد جاء في الخبر أن العبد إذا هم بإخراج درهم لوجه الله تعالى فتح الشيطان في قلبه سبعين باباً من الفقر حتى يحول بينه وبين إخراجه، فإن مَنَّ الله تعالى على العبد وأعانه حتى يغلب عدوه وشيطانه كان كمن هزم عسكراً من المشركين وقتلهم. ويدل على صحة هذا القول أن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه كان إذا آن أوان الزكاة وعزم على إخراجها لبس درعه وتقلد بسيفه وأخذ رمحه وركب فرسه فتقول الصحابة رضي الله عنهم: مالك يا أبا الحسن لبست آلة حربك؟ فيقول: أنا خارج إلى محاربة الشيطان أخاف أن يمنعني إخراج الزكاة فجهاد الشيطان هو الجهاد الأكبر، والشيطان لعنه الله يريد أن يردك إلى فقر نفسك، ويصدك عما وعدك ربك جل جلاله حين قال عز وجل ﴿**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسعٌ عليم**﴾ [البقرة: ٢٦٨] والله واسع العطاء لأنه جل وتعالى لا ينقص من ملكه ما يخلف على العبد المؤمن الذي يؤدي الزكاة ويتصدق من فضل ماله. وقوله تعالى: ﴿**عليم**﴾ أي عليم بما يفعله العباد من الخير والشر، فمن أنفق من مال الله ووسع منه على عياله وعباد الله كان له الخلف من الله تعالى، يقول المولى جل جلاله ﴿**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**﴾ [سبأ: ٣٩] فالله الله عباد الله ثقوا بمولاكم

جل جلاله في الخلف ولا تطيعوا الشيطان الذي يعدكم الفقر والتلف.

[٤٠٤] اللعنة على مانع الزكاة

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينزل من السماء في كل يوم اثنان وسبعون لعنة على مانعي الزكاة من هذه الأمة وقد سمَّاهم الجليل جل جلاله كفاراً في قوله تعالى: ﴿وويل للمشركين الذين لا يأتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون﴾ [فصلت: ٦] وقد ذكر بعض العلماء أن الله تعالى لما أخرج الذرية من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام عزل منهم الأغنياء من أهل البدو الحضر وعزل أموالهم ثم قال جل جلاله: هذه أموال أعطيتها لكم وجعلتكم عليها أمناء فلا تشتغلوا بها عن أداء فرائضي وحقوقي، ثم قال عز وجل للفقراء من أهل البدو والحضر وحرر أرزاقهم على قدر آجالهم وأخرها وجعلها (وديعة) في أموال الأغنياء وقال لهم عز وجل: هذه أرزاق الفقراء من عبادي وديعة في أموالكم إياكم أن تقتروا وتمسكوا عنهم أموالهم وأرزاقهم فيحل عليكم غضبي وسخطي فإني قد ائتمنتكم عليها.

وقال رسول الله ﷺ: «ما من يوم إلاّ وملكان يناديـان تحت العرش المال مال الله والعباد عباد الله فإن جاع الفقراء عذّب الله الأغنياء». فالله الله عباد الله أوفوا لديه بالعهود، وارغبوا في دار النعيم والخلود، ومجاورة الملك المعبود.

[٤٠٥] من شبع وجاع جاره

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعاناً وجاره جائعاً» وقد جاء في الحديث «إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة ويقول: يا رب سل هذا الغني لم منعني معروفه؟ وسدَّ بابه دوني؟» وفي حديث آخر يقول: «يا رب سل هذا لم بات طاعماً وبت إلى جنبه طاوياً؟».

ومما يصدق هذا أن رسول الله ﷺ قال لأسامة بن زيد في وصيته: «يا أسامة

---

[٤٠٥] حديث «إن الجار الفقير».

ذكره الذهبي في ترجمة بشر بن زياد الخراساني مستشهداً به على أن بشر يأتي بالمناكير. انظر ميزان الاعتدال (١/ ٣٢٨). أورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣١٦١) من حديث أسامة بن زيد.

إياك وكل كبد جائعة تخاصمك عند الله فإنه يقول ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره طاوياً إلى جنبه».

وقال رسول الله ﷺ: «أيما رجل كان له جار مسلم بات جائعاً وهو يعلم بجوعه وعنده فضل ولم يشبعه فقد بريء من ذمة الله تعالى وذمة رسول الله ﷺ» فيا لها من خسارة لم نتدبرها بعقولنا، فكم بين أظهرنا من مسكين وضعيف، وزمن لا يمتلكون قيمة رغيف، فالله الله لا تغتروا بالعز والمال، وتضيعوا للفقراء وأهل الاقلال، فإن غاية كل شيء الانقلاب والانتقال، والنفاد والزوال. وقد ذكر في تفسير هذه الآية ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة﴾ [البقرة: ٦١] قيل يحرص العبد على جمع الحطام، والسحت والحرام، وكل من أدى زكاة ماله فهو كريم، قد بريء من وعد الشيطان الرجيم، ووثق بوعد العزيز الرحيم، ونجا من العذاب الأليم.

[٤٠٦] حديث في ذم الشح

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم». وأنشدوا:

صافي الكريم فخير من صافيته ... من كان ذا كرم وكان عفيفاً
إنَّ الكريم وإن تضعضع حالُه ... فالفعلُ منه لا يزالُ شريفاً

روي عن النبي ﷺ أنه كان يطوف بالبيت فإذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: بحرمة هذا البيت إلاّ غفرت لي. فقال رسول الله ﷺ: «ما ذنبك؟ صفه لي» فقال الرجل: هو أعظم من أن أصفه لك يا رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «ذنبك أعظم أم الأرضون؟» قال: بل ذنبي يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «ذنبك أعظم أم الجبال؟» قال: بل ذنبي يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «ذنبك أعظم أم السموات؟» قال بل ذنبي يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «ذنبك أعظم أم الله؟» قال: بل الله أعظم وأجل، فقال رسول الله ﷺ: «ويحك فصف لي ذنبك» قال: يا رسول الله إني ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتيني يسألني شيئاً فكأنما يستقبلني

---

[٤٠٦] حديث «أنه كان يطوف بالبيت».

قال العراقي: الحديث بطوله باطل لا أصل له. (إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٩٧)

بشعلة من نار قال رسول الله ﷺ: إليك عني لا تحرقني بنارك، والذي بعثني بالهدى والكرامة لو أقمت بين الركن والمقام، ثم صليت ألف عام وألف عام، حتى تجري من دموعك الأنهار، وتسقي بها الأشجار، ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله في النار، ويحك أما علمت أن البخل كفر والكفر في النار، وويحك أما علمت أن الله تعالى قال: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر: ٩]. وأنشدوا:

إن البخيل إذا ما مات يتبعه ... سوى الثناء ويحوي الوارث الإبلاَ

يرى البخيل سبيلَ المالِ واحدةً ... إنَّ الجواد يرى في ماله سُبُلاَ

[٤٠٧] عظة في الحض على الزكاة

فالله الله يا معشر المؤمنين كونوا من الأسخياء الصالحين، ولا تكونوا من البخلاء الفاسقين، فالبخيل هو شريك الشيطان اللعين، قال الله تعالى: ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً﴾ [الإسراء: ٦٤] فكل مال لا تؤدى زكاته فصاحبه خازن الشيطان، وكل مال أخرجت زكاته فصاحبه عدو الشيطان، حبيب الرحمن، وامل بالسنة والقرآن، وناج من عذاب النيران، وداخل في نعيم الجنان. فكل من مات وترك مالاً قد أدى زكاته فإن صاحبه لا تزال الملائكة تكتب له الحسنات إلى يوم القيامة، وكل من مات وترك مالاً لم يؤد زكاته فلا يزال وزره يجري عليه إلى يوم القيامة، وإن وصله وقع المال عند من يزكيه، وما من عبد أدى زكاة ماله بطيب من نفسه إلاّ جعل الله ذلك المال يوم القيامة طوقاً من نور الجنة يضيء لأهل الجمع من المؤمنين حتى يجوزوا الصراط ويدخل به الجنة، وما من عبد لا يؤدي زكاة ماله إلاّ طوّقه الله يوم القيامة بطوق من نار جهنم لو أن ذلك الطوق وضع في الدنيا لاحترقت الدنيا كلها وتقطعت جبالها وجفت بحارها. فوالله لو لم يكن فخر الكريم السخي إلاّ ذكر الله تعالى له في كتابه لكفي في قوله تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر: ٩] فاغتنموا هذا اليوم الفاضل فهو يوم تعرف فيه الكرام، وتفضح في اللئام. وهذا يوم عاشوراء يوم تواترت فيه الأخبار عن رسول الله ﷺ، وهو يوم النفقة في الله فيه مخلوفة،

---

[٤٠٧] حديث «أي الصدقة أفضل».

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤١٥) من حديث أبي هريرة.

والنفقة فيه في غير الله متلوفة. فإذا كان هذا اليوم تخلف فيه النفقات، فأولى أن تغفر فيه الخطيئات، وتتضاعف فيه الحسنات وينجي الله فيه المؤمنين من العذاب والعقوبات، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، وتظهر فيه السرائر والخفيات. وأنشدوا:

يا جامعَ المالِ يرجو أن يدوم له ... كل ما استطعت وقدم للموازين
ولا تكن كالذي قد قال إذ حضرت ... وفاته ثلثُ مالي للمساكين

روي أن النبي ﷺ: سئل أي الصدقة أفضل؟ فقال: «أن تتصدق وأنت صحيح حريص شحيح، تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا».

[٤٠٨] من خلف ثروة لبيت المال

ذكر أن رجلاً مات بالمدينة من أهل اليمن وخلّف مالاً كثيراً فأخبر بخبره رسول الله ﷺ فقال: «هل من وارث؟» فقالوا: لا يا رسول الله، فقال ﷺ: «من لا وارث له فماله لبيت مال المسلمين» فأمر رسول الله ﷺ أن يحضر المال، فجيء بالمال إلى المسجد فوضع حتى غاب رسول الله ﷺ من الجانب وغاب الناس من الجانب الآخر من حلي وذهب وورق وثياب. فقال رسول الله ﷺ: «ارفعوا المال إلي بيت مال المسلمين» فرفع كما أمر رسول الله ﷺ، فالتفت عبدالله بن عمر رضي الله عنه في المسجد فوجد فرصة من ذهب فيها قيراط فقال: يا رسول الله هذه من ذلك المال، فأخذها رسول الله ﷺ ووضعها في كفه وجعل يقلبها في يده ثم قال ﷺ: «لو تصدق بها في حياته حين كان صحيحاً شحيحاً يأمل العيش ويخشى الفقر كانت أحبَّ إليه من هذا المال كله يعطى من بعده في سبيل الله» فالله الله عباد الله اسمعوا صواب المقال، وبادروا إلى حسن الفعال، ولا تغتروا بالعز والمال. فإن المال يذهب، والدنيا تخرب، ونفسك تموت، والمرد غداً إلى الحي الدائم الباقي الذي لا يموت، واعلم يا أخي أنك مرتهن بالذنوب، وأنت محاسب مطلوب، مسئول بين يدي علاّم الغيوب، فاستعد للسؤال، وتهيأ للجدال، في يوم تشيب فيه الرؤوس، وتضيق من فظاعة هولة النفوس، ذلك يوم هائل عبوس. يوم تضع فيه الحوامل أحمالها، وتزلزل الأرض زلزالها، وتخرج

بأمر الله بعد ذلك أثقالها. يا مغرور يا مسكين، ظلمت الفقراء والمساكين، وتركت مالك للوارثين، ولم تخف من عقوبة رب العالمين، يوم يقتص للمظلومين من الظالمين. وأنشدوا:

ولا تكن كالذي قد قال إذ حضرت وفاته ثلثُ مالي للمساكينِ

روي أن النبي ﷺ: سئل أي الصدقة أفضل؟ فقال: «أن تتصدق وأنت صحيح حريص شحيح، تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا».

يا جامعَ المالِ لأولاده يخشى عليهم شمت حسادِهِ
ولا يبالي كيف كان الغني يغتر بالله وإيعادِهِ
اسمع مقالاً سوف تحظى به إن أنت لم تعمل بأضدادِهِ
بنوك إن لاذوا بمولاهم وتابعوا منهاج إرشادِهِ
فالله يكفيهم ويحميهم والله لا خلف لميعادِهِ
وإن يحيدوا عن سبيل الهدى وقابلوا الدين بإفساده
فقد يكن مالك عوناً لهم في طاعة اللهو وأجنادِهِ

قيل وقف رجل في حلقة منصور بن عمار في يوم عاشوراء فقال: أيها الناس رحم الله من تصدق من فضل، وأنفق من كفاف، وآثر في فاقة. فقال لهم منصور: معشر الناس ما ترك منكم أحداً. فلم يكن أحد في المجلس إلاّ واساه، قال منصور بن عمار: اللهم عجِّل لهم بالخلف في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة، قال منصور: فلقد افتقدت أهل مجلسي كلهم واحداً بعد واحد بعد ذلك بعام فما منهم إلاّ من قال: أخلف الله علي سبعين ضعفاً مما أعطيت. قال منصور: فأخذتني عيناي فنمت فرأيت قائلاً يقول: أبشر يا منصور قد غفر الله لجميع من كان في ذلك المجلس فأخبرهم بذلك، وقد غفرت لك فأنت الذي دللتهم على الخير فالله الله يا عباد الله تفضلوا على أنفسكم بأموالكم فليس أحد منكم أحق بها من نفسه.

[٤٠٩] تحذير من البخل

ذكر في بعض الأخبار أن ملكاً ينادي كل يوم تحت العرش، الويل ثم الويل لمن ترك عياله بخير، وقدم على الله بشر. وأنشدوا:

لا تـؤثـرن بمـا جمعـت سـواكَـا — المـوت لا تـدري متـى يغشـاكَـا
إن البنيـن مـع البنـات رأيتهـم — يتطلعـون ويشتهـون فنـاكَـا
مـن كـان يعلـم أن مـالـك مـالـه — بعـد الممـات فـلا يحـب بقـاكـا

فالله الله عباد الله اجتهدوا وارغبوا في ثواب يوم فضله الرحمن، ووعد من أدى زكاة ماله جنة الرضوان، وأناب مؤدي الزكاة إخلاص الإيمان، وذم مانع الزكاة وجعله من أهل الكفر والخذلان، وبين ذلك في القرآن. وأنشدوا:

يا جامعَ المالِ في الدنيا لوارثه — هل أنت بالمال بعد الموت تنتفعُ
قدِّم لنفسك قبل الموت في مهلٍ — فإن حظَّك بعد الموتِ ينقطعُ

[٤١٠] من أقرض الله فضاعفه له

ذكر أن رجلاً دخل بعض الأسواق في يوم عاشوراء فسمع سائلاً يقول: **﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم﴾** [الحديد: ١١] قال: فقام إليه رجل من التجار فأعطاه عشرة دنانير، فلما كان العام القابل إذا بالرجل السائل قد جاء وحوله فقراء يتبعونه وهو يفرق عليهم الصدقة؛ فقال الرجل الذي رآه حين أعطاه الرجل العشرة دنانير: يا أخي أقسمت عليك أما أنت الذي أعطاك فلان التاجر العشرة دنانير عام أول في يوم عاشوراء؟ قال: نعم، قال: قلت: ألم تك فقيراً ذلك اليوم؟ قال: بلى! قال: قلت له: فما أغناك؟ قال: لما علم الله صدق نيتي وأني ما أخذت الصدقة إلاّ وأنا محتاج، وعلم الله تعالى طيب نفس المتصدق بإعطائها بارك لي في تلك العشرة دنانير وأنماها لي حتى وجبت علي اليوم عشرة دنانير زكاة في مالي قال: فلما سمعت منه ذلك مضيت إلى الرجل الذي كان تصدق عليه بالعشرة دنانير فقلت: صف لي قصتك في العام الماضي في يوم عاشوراء إذ جاء الرجل الذي قال: **﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم﴾** [الحديد: ١١]، فقال الرجل المتصدق: إنه لما قرأ هذه الآية وقع في نفسي أن الله سبحانه سيخلف علي في الدنيا ويوفيني في الآخرة الأجر الكريم فبت على هذه النية فرأيت ربي جل جلاله في منامي وهو يقول: يا عبدي قد أنجزت الأمرين وقد أوجبت لك الجنة.

[٤١١] يوم عاشوراء وقتل الحسين

فالعجب كل العجب من بعض جهلة الناس الذين يذمون يوم عاشوراء ويسمونه يوم النحس لقتل الحسين رضي الله عنه فيه، وهذه غاية السخافة في الجهالة وفي معاندة الأخبار عن رسول الله ﷺ ومبالغة في الرد على صاحب الشريعة في قوله بفضائل يوم عاشوراء، ولولا البغي والعداوة لعدوا ذلك من فضائل الحسين رضي الله عنه إذا استشهد في مثل هذا اليوم الشريف كما أن الواحد منا يموت له قريب في ليلة الجمعة أو ليلة القدر أو يستشهد يوم الجمعة أو يوم عرفة فيكون من فضائله، أو يعد من مناقبه فكذا الحسين. هذا ورسول الله ﷺ أخبره جبريل عليه السلام بقتله.

[٤١٢] الحسين وجده

قالت أم سلمة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ مع الحسين في منزلي إذ دخلت عليهما فطالعتهما من الباب فإذا الحسين على صدر رسول الله ﷺ يلعب وفي يد رسول الله ﷺ قطعة من طين ودموعه تجري على خديه، فلما خرج الحسين دخلت إليه وقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله اطلعت عليك وفي يدك طينة والصبي على صدرك وأنت تبكي؟! فقال لها النبي ﷺ: إني لما فرحت به وهو على صدري يلعب إذ أتاني جبريل عليه السلام وناولني (الطينة) التي يقتل عليها الحسين، فلذلك بكيت».

[٤١٣] رؤيا ابن عباس لمقتل الحسين

وقيل رأى ابن عباس رضي الله عنه في منامه يوم قتل الحسين، رسول الله ﷺ وبيده قارورة وهو يلتقط شيئاً من الأرض قال: فقلت له: ما هذا يا رسول الله، قال: قتل ولدي الحسين ولم أزل منذ ذلك اليوم ألتقط دمه من الأرض وأجمعه في القارورة وأرفعه إلى الله تعالى. فكان كما رأى رضي الله عنه. وقيل لما خرج الحسين إلى العراق خوفه أهله وجزعوا فلما رأى جزعهم أنشأ يقول:

سأمضي فما في الموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نوى حقاً وحارب مجرمَا
وواسى الرجالَ الصالحين بنفسه ... وخالف مثبوراً ووافق مسلمَا
وجاهد في الرحمن حق جهاده ... كفى بك ذلاً أن تعيش فتغرمَا

فلما قدم الكوفة استقبله الفرذق فقال له الحسين: ما وراءك يا أبا فراس؟ قال: أصدقك أم لا؟ قال: الصدق أريد، قال: أما القلوب فمعك، وأما السيوف فمع بني أمية عليك. قال له الحسين: ما أراك إلاّ صدقت إن الناس عبيد للمال، فالدين نفق على ألسنتهم يحوطونه ما ردت به معائشهم، فإذا تحولوا للإبتلاء قل الديانون. ثم التفتت إلى أصحابه وقال: على الخبير سقطنا.

[٤١٤] آيات ظهرت لمقتل الحسين

وقال الحسن: لم نر هذه الحمرة في السماء إلاّ حين قتل الحسين ووجد على حائط قسطنطين:

أتــرجــو أمــةٌ قتلــت حسينــاً شفــاعــةَ جــدِّهِ يــومَ الحســاب

ويقال ناحت الجن على قتل الحسن سبعةَ أيام حتى سمعت من تحت السبع أرضين، وأبكت الملائكة أجمعين.

[٤١٥] حكاية غريبة

وقال الحذاء بن رباح القاضي: رأيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسين وكان الناس يأتونه ويسألونه عن ذهاب بصره؟ قال: فكان يقول: شهدت قتل الحسين ولكني لم أضرب بسيف ولم أرم بسهم، فلما قتل الحسين رجعت إلى المنزل وصليت العشاء الأخيرة ونمت، فأتاني آت في منامي فقال لي: أجب رسول الله ﷺ، فقلت: ما لي وله؟فأخذني وجذبني جذبة شديدة وانطلق بي إليه، فإذا رسول الله ﷺ جالساً في المحراب مغتماً حاسراً عن ذارعيه آخذاً بخده وبين يديه نطع وملك قائم بين يديه، وبين يدي الملك سيف من نار وكان لي تسعة من الأصحاب فقتل أصحابي التسعة كلما ضرب الملك أحداً التهبت نفسه ناراً، فكلما قام الملك صاروا أحياء فقتلهم مرة بعد أخرى حتى قتلهم سبع مرات، فدنوت من النبي ﷺ وحبوت إليه فقلت: السلام عليك يا رسول الله، والله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، فقال لي: صدقت ولكن كثرت السواد، أدن مني فدنوت منه فإذا طشت مملوء دماً من دماء الحسين، فكحلني من ذلك الدم فانتبهت أعمى لا أبصر شيئاً.

[٤١٦] حكاية عن قتلة الحسين

وقال الفضل بن الزبير: كنت قاعداً عند السدي فجاءه رجل فجلس إليه فإذا منه ريح قطران، فقال له السدي: أتبيع قطراناً؟ فقال: لا. قال له: ما هذه الرائحة؟ قال: شهدت عسكر عمر بن سعد فكنت أبيع منهم الأوتاد الحديد، فلما قتل الحسين يوم عاشوراء بت في العسكر فرأيت رسول الله ﷺ في النوم والحسين وعلي معهم وهو يسقي الماء من قتل من أصحاب الحسين، فاستسقيته فأبى أن يسقيني، قال: فقال لي: ألست ممن أعان علينا؟ فقلت: بل كنت أبيعهم أوتاد الحديد، قال: فقال: لعلي أسقه قطراناً، قال: فناولني قدحاً فشربت منه فكنت ثلاثة أيام أبول القطران، ثم ذهب ذلك عني وبقيت هذه الرائحة علي. قال: فقال له السدي: كل خبز البر وكل من كل النبات واشرب من ماء الفرات فما أراك تعاين الجنة ولا محمد أبداً».

[٤١٧] من استخف بالحسين

حكي أن رجلاً ممن شهد قتل الحسين يوم عاشوراء قال وعلى وجهه الاستخفاف ـ: ما أكثر ما يكذب أهل العراق ويقولون: إنه لم يشهد قتل الحسين أحد إلاّ أصيب ببلاء، وإني حضرت يوم قتله ولم يصبني بلاء ولا شيء، قال: وكان ضيفاً عند قوم فقام ليصلح السراج فتعلقت به شرارة من المصباح فاشتعل ناراً ومات على المكان.

[٤١٨] بر سليمان بن عبدالملك للحسين

وحكي عن الحسن البصري أنه قال: رأى سليمان بن عبدالملك في النوم أنه يبره ويلاطفه، فسأل الحسن عن ذلك فقال: لعلك فعلت إلى أهل بيته معروفاً؟ قال: نعم، إني وجدت رأس الحسين في خزانة يزيد بن معاوية فكسوته خمساً من الدِّيباج وصليتُ عليه في جماعة من أصحابي وقبرته. فقال الحسن: إن رسول الله ﷺ قد رضي عنك بسبب ذلك، فأحسن إلى الحسن البصري وأمر له بالجوائز. فعليكم بحفظ مقام الأشراف ولو كانوا في غاية الإسراف.

[٤١٩] في قتل الحسين

ورأيت في كتاب التعازي والعزاء من وضع أبي محمد عبدالله بن محمد البللوري أن الحسين رضوان الله عليه استسقى ماء حين قتل فمنع منه وقتل وهو

عطشان، وأتى الله حتى سقاه من شراب الجنة، وذبح ذبحاً وسبيت حرمه وحملن مكشفات الرؤوس على الأكف بغير وطاء حتى دخلن دمشق ورأس الحسين بينهن على رمح، إذا بكت إحداهن عند رؤيته ضربها حارس بسوطه، ووقف أهل الذمة لهن في سوق دمشق يبصقون في وجوههن حتى وقفن بباب يزيد، فأمر برأس الحسين فنصب على الباب وجميع حرمه حوله ووكل به الحرس وقال: إذا بكت منهن باكية فالطموها. فظللن ورأس الحسين بينهن مصلوب تسع ساعات من النهار وإن أم كلثوم رفعت رأسها فرأت رأس الحسين فبكت وقالت: يا جداه ـ تريد رسول الله ﷺ.. هذا رأس حبيبك الحسين مصلوب وبكت، فرفع يده بعض الحرس ولطمها لطمة حصر وجهها، وشلت يده مكانه وفي هذا يقول الأزدي:

لقد ضلَّ قومٌ أصبحوا في تلددِ ... سُباياهم في الحرب آلُ محمدِ
كما ضل سعي الناكبين بعجلهم ... فأعقبهم لعناً بدين التهودِ
وموسى وعيسى بُشِّرا بمحمد ... عليه سلامُ الله من متهجدِ
أيا أمة الإسلام يا أمةَ الذي ... هدى الله منا بالنبي كل مهتدِ
وثوب لأبناء النبي فلو ترى ... بنو اللعن إذ عنوا لهم بالتهددِ
بسوق دمشق يبصقون وجوههم ... فداء لها نفسي وما ملكت يدي
فما جرى دمعي يا حبيبي بناضب ... ولا زند ودي للحسين بمصلدِ

[٤٢٠] عمرو بن الليث

وقيل إن عمرو بن الليث عرض عليه جنوده يوماً فرأى كثرة عسكره وكان يحمل بين يديه إثنا عشر ألف عمود من ذهب، تحت كل عمود قائدٌ من حشمه تحت يده ألف فارس فلما رأى ذلك اغرورقت عيناه بالبكاء وقال في نفسه: يا ليتني وقت قتل الحسين بن علي مع هؤلاء فكنت أفديه بنفسي ومالي وحشمي، فرأى بعض الصالحين في منامه رسول الله ﷺ، فقال له: قل لعمرو بن الليث: اطلعنا على ما خطر بقلبك وقبلنا منك، وأعطاك الله تعالى على نيتك وقولك الثواب الجزيل. فجاءه فأخبره فبكى بكاء شديداً.

[٤٢١] من فضائل عاشوراء

ومن فضائل يوم عاشوراء ما ذكره وهب بن منبه، قال وهب بن منبه: أنزل

الله سبحانه وتعالى خاتم سليمان عليه الصلاة والسلام في يوم عاشوراء، وذلك أنّ الله تعالى أسكن آدم الجنة وختمه بخاتم العز وقال: يا آدم هذا خاتم عهدي فإذا نسيت عهدي يا آدم اخلعه منك ثم ألبسه من أنبيائي من لا ينسى عهدي وأورثه خلافتك، ففزع آدم وقال: يا ربي من هذا الذي تورثه خلافتي؟ قال الله تعالى: ولدك سليمان، أسلمه من الكبر وأجعله مثلاً للمردة من ولدك الذين يفسدون في أطراف الأرض ويسمون أنفسهم ملوكاً في أكنافها. فأخذه آدم عليه السلام فتختم به فكان يضيء لنوره أشجار الجنة، وتضحك حور الجنان، وتميل الخزنة لرؤيته عجباً منه ومن حسنه وجماله فسبحان من أكرمه واصطفاه ﷺ حتى عصى ربه ونسي عهده طار الخاتم من أصبعه طيراناً فزعاً مذعوراً حتى استجار بركن من أركان العرش وأنطق الله الخاتم فقال: إلهي وسيدي هذا آدم قد رفضني وأنت قد طهرتني به وجعلتني لأهل الطهارة، فقال الله جل جلاله: استقر فلك الأمان، وسنجعلك لمن نسلمه من الكبر ونعزه بك على أن لا يملكك أحد بعده أبداً، فلما اصطفى الله سبحانه سليمان عليه السلام بالخلافة والولاية وأحب أن يرى عباده قدرته جعل عن سليمان عليه الصلاة والسلام في ذلك الخاتم وأنزله الله سبحانه إليه يوم عاشوراء صبيحة يوم الجمعة، وسليمان قائم في محرابه وخلفه إثني عشر سبطاً في كل سبط إثني عشر ألفاً من العلماء والحكماء والقضاة من أهل التوراة والزبور ودراسة الكتب إلاّ أصحاب البرانيس والعكاكيز فقد أظلهم الطير من فوقهم فبينما سليمان عليه السلام في قراءة الزبور إذا ناداه جبريل عليه السلام.

[٤٢٢] خاتم سليمان

وقال له: السلام عليك يا سليمان هذه هدية الله إليك، خذ هذا الخاتم فتختم به، فسجد سليمان لله رب العالمين شكراً وسجد من خلفه من أول النهار إلى آخره تعظيماً لله عز وجل وتحميداً له حتى إذا رفع رأسه صعد كرسيه واستقبل الناس بوجهه ورفع إليهم الخاتم فلمع في يده كالبرق الخاطف فقال لهم: هذا خاتم جمع الله لي فيه سلطاني وعزتي وفضلني به على العالمين، وهو خاتم الطاعة لا يمسه إلاّ عزيز تقي نقي قالوا له: قد أدينا لك طاعتنا وأنت العزيز التقي النقي الأمين، وكان على تربيع الخاتم مكتوب على الجانب الأول؛ أنا الله لم أزل وعلى الثاني، أنا الله الحي القيوم، وعلى الثالث، أنا الله العزيز لا عزيز غيري وعزيز من

ألبسته إياه، وعلى الرابع آية الكرسي، محيط به لا إله إلاّ الله محمد رسول الله خاتم الأنبياء. فهذه صفة خاتم سليمان عليه السلام.

[٤٢٣] كيف نجا اسير

وحكي أن أسيراً كان بأيدي الكفار وكانوا يعذبونه، فلما كان في يوم عاشوراء قال: اللهم بحرمة هذا اليوم عليك إلاّ ما فرجت عني، قال: فلطف الله به وعطف عليه قلوب الكفار حتى خلصوه وأفرجوا عنه، وقيل خرج أسير في يوم عاشوراء من بلد الكفار فطلبوه، فلما رأى الفرسان خلفه وأيقن أنه مأخوذ مدرك رفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي وسيدي ومولاي بحرمة هذا اليوم أسألك أن تنجيني وتحفظني منهم، فأعمى الله أبصارهم عنه فنجا، وصام ذلك اليوم فلم يجد شيئاً يفطر عليه عند الليل فنام وأطعم وسقى في النوم لفضل يوم عاشوراء. فعاش بعد ذلك عشرين سنة لم يكن له حاجة إلى الطعام والشراب. وهذا رحمكم الله من فضل يوم عاشوراء فاعرفوا حقه وارغبوا في فضله، لا حرمنا الله فضله وغفر لنا فيه ما أسلفنا من الأوزار والذنوب، وستر علينا ما أتينا من القبائح والعيوب.

[٤٢٤] دعوات صالحة

اللهم كما تبت على آدم في عاشوراء فتب علينا، وكما نجيت عيسى من الأعداء فنجنا، وكما رفعت إدريس مكاناً عالياً فارفعنا، وكما لعنت فيه إبليس فأعذنا من سخطك وجنبنا معاصيك برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم ارزقنا الشهادة والسعادة كما فعلت بهابيل واجعلنا يا رب من أحبابك كما فعلت بالخليل.

اللهم برد علينا نار الآخرة كما بردت النار على خليلك إبراهيم، وأهلك أعداءنا كما أهلكت أعداء موسى في اليم.

اللهم نجنا من طوفان الشهوات والهوى، وانزل علينا السكينة والوقار في دار الدنيا.

اللهم اكشف عنا الضر والبلوى ورد علينا أبصار القلوب بعد التحير والعمى.

اللهم وإذا أخرجتنا من سجن الدنيا فأكرمنا بملك البقاء ورد علينا ما فات منا من طيبات التقى.

اللهم اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وما تأخر وما أعلنا وما أسررنا وما أنت أعلم به منا برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم يا عماد من لا عماد له ويا ذخر من لا ذخر له ويا حرز من لا حرز له ويا ناصر من لا ناصر له يا مؤيد قلوب العارفين ويا مستراح مذاهب المتوكلين ويا شاهد مجالس الخائفين ويا مقيل عثرة العاثرين ويا أرحم الراحمين أجب دعاءنا ولا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا.

اللهم اجعلنا ممن شملته رحمتك وناله عفوك وعد على ما تعلم من ذنوبنا برحمتك وعلى ما سلف من تقصيرنا عن طاعتك ما وعدتنا من الإحسان من نفسك يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم يا سيدنا كرمت أفعالك بنا فعصيناك ووجدناك كريماً فدعوناك ولقيناك رحيماً فسألناك.

اللهم فكما مننت علينا بالستر والعافية في حال الذنب والمعصية لا تحرمنا المغفرة والرحمة في حال التضرع والاستكانة سيدنا ومولانا ارحم في هذه الدنيا غربتنا وارحم عند الموت صرعتنا وآنس في اللحود وحشتنا، وارحم بين يديك ذل موقفنا، واغفر لنا ما خفي على الناس من أعمالنا.

اللهم انظر إلينا النظرة الرضا وأعذنا من نظرة الخزي والعلل.

اللهم لا تجعلنا ممن صرفت عنه وجهك، ومحوت عنه عفوك، وأغلقت عنه باب التوبة، وقطعت من يديه أسباب العصمة وطبعت على قلبه وأعميته لذنبه، ووكلته إلى نفسه، إنك على كل شيء قدير.

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

اللهم يا ربنا وسيدنا ومولانا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين واحفظنا واحفظ علينا ما رزقتنا وبارك لنا فيما أعطيتنا ولا تجعل لأحد من خلقك علينا سلطاناً ولا سبيلاً يا أرحم الراحمين.

اللهم يسرنا لليسرى وجنبنا للعسرى.

اللهم إنا نسألك من فضلك وعطياك رزقاً طيباً مباركاً فيه.

اللهم إهدنا للهدى وقنا بالتقوى واغفر لنا مغفرة واقية في الدنيا والأخرى.

اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلاّ غفرته، ولا ديناً إلاّ قضيته، ولا همَّاً إلاّ فرجته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا غائباً إلاّ أدنيته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة مما يصلحنا ويرضيك إلاّ قضيتها.

اللهم أدِّ دين المدينين، وفرج عن المهمومين والمكروبين، واكتب سلامة المسافرين في البر والبحر أجمعين، وجاز اللهم خير المحسنين.

اللهم إن نواصينا بيدك وقلوبنا في قبضتك تعلم منقلبنا ومثوانا وسرنا ونجوانا إليك مردنا ومصيرنا أنت فوق العباد بعزتك؛ أنت الخالق ونحن المخلوقون، وأنت المالك ونحن المملوكون أنت الرب ونحن العبيد، أنت الغني ونحن الفقراء إسمع دعاءنا ولا تقطع منا في كل ما سألناك ورغبنا إليك رجاءنا فإن ذلك عليك يسير، وأنت نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وهو حسبنا ونعم الوكيل وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

١٦

مجلس في قوله تعالى
﴿الله نور السموات والأرض﴾

[٤٢٥] مثل ضربه الله المولى البصير السميع، لقلب العبد المؤمن المطيع، وما أودعه من الإيمان، والمعرفة في القرآن، من نور الملك الرحمن. فقال خالق الطول والعرض، الذي عبد بالنوافل والفرض **﴿الله نور السموات والأرض﴾** [النور: ٣٥] أي بنوره جل جلاله يهتدي من في السموات والأرض. ثم قال تبارك وتعالى **﴿مثل نوره﴾** [النور: ٣٥] يعني النور الذي جعل في قلب المؤمن، وهذا قول جمهور المفسرين **﴿كمشكاة﴾** [النور: ٣٥] يعني قلب المؤمن، والمشكاة هي الكوة غير نافذة، وذلك أن الكوة إن كانت غير نافذة وكان فيها قنديل الزجاج ولا يقال للزجاجة قنديل حتى يكون فيها مصباح وهو السراج، فإذا كان المصباح في زجاجة صافية في كوة غير نافذة انضم النور واجتمع ولم يجد له منفذاً فتكون الكوة أكثر نوراً مما لو كانت نافذة، وهذه مبالغة من الله في وصف قلب المؤمن ثم إن الله تعالى خلق الخلق ضروباً مختلفة فإذا كانت أنوار المعرفة والإيمان في قلب العبد استدل ونظر بنور الله تعالى وأخذته الفكرة في خلق السموات والأرض وفي عظمة الله تبارك وتعالى، فإذا كان العبد كذلك تمكن من قلبه الخوف فعند ذلك يتبع القرآن والأحكام، ويتجنب الفواحش والآثام، من كثرة النور الذي جعله في قلبه الملك العلام. فهذا الصنف الذي أثنى عليه الله في كتابه العزيز. فقال الله تعالى: **﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾** [آل عمران: ١٩٠] ثم نعتهم المولى بالتذكير والتفكير فقال تعالى: **﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾** [آل عمران: ١٩١] إلى قوله: **﴿عذاب النار﴾** فلما جعل الله تبارك وتعالى نور الإيمان في قلوبهم أيقنوا أن الله عز وجل خلق السموات والأرض والليل والنهار والشمس

والقمر وعلموا بنور الهدى إنما خلق الله ذلك ليطاع ولا يعصى، وعلموا أن الجنة جزاء لمن أطاعه والنار جزاء لمن عصاه. فاستعملوا قلوبهم بالفكرة، وجالت أبصارهم في مصنوعات الله بالعبرة فلا يقدر واحد منهم أن يباشر شيئاً من المنكرات، ولا يضيع شيئاً من الطاعات.

[٤٢٦] النور هو الهدى

قال بعض أهل العلم: أراد الله تبارك وتعالى بهذا النور الهدى، وليس المراد به نور شعاع ولا ضياء لأن الله تبارك وتعالى لا يوصف بلون من الألوان، ولا يشبه بملك ولا إنسان، ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ [الشورى: ١١] وقال بعض العلماء: هذا مثل ضربه الله بارك وتعالى في وصف نور محمد ﷺ الذي هدى به المؤمنين، واستنقذهم به من موارد الهالكين، لأن الله تعالى رحم بمحمد ﷺ العباد، وأنقذهم به من جهنم وبئس المهاد. وأوجب لهم الاقتداء بنور الجنة، وأعظم عليهم به المنة. ثم قال تعالى ﴿**فيها مصباح**﴾ [النور: ٣٥] يعني سراجاً، ﴿**المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية**﴾ [النور: ٣٥] الآية. فشبه الله تعالى القنديل في شدة بياضه وتلألؤه بكوكب دري، يوقد ذلك المصباح بزيت من شجرة لا شرقية ولا غربية، أي لا بارزة للشمس كل النهار فتحرقها الشمس بحرها، ولا غربية أي ولا مستترة بالظل فيؤذيها الظل ببرده كل النهار، ولكنها شرقية غربية تصيبها الشمس بعض النهار، وإذا كانت الشجرة كذلك فهو أنضر لها وأجد لحملها وأنور لزيتها. ثم قال تعالى: ﴿**يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار**﴾ [النور: ٣٥] أي ولو لم يسرج به من شدة صفائه. تم الكلام، ثم ابتدأ تعالى فقال ﴿**نور على نور**﴾ [النور: ٣٥] يعني نور المصباح على نور الزجاجة وصفاء الزيت. وهذا مثل ضربه الملك الجبار، لقلوب المؤمنين الأبرار، قال سبحانه وتعالى: ﴿**أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربه**﴾ [الزمر: ٢٢] فنور الهدى إذا دخل القلب انفسح وانشرح وزالت عنه الأسباب المانعة عنه الضلالة والمعصية فعند ذلك ذكر الجوارح بالأعمال الموجبة لدار

---

[٤٢٦] حديث «إن في ابن آدم لمضغة».

البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢) من حديث النعمان بن بشير، مسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٥٩٩/ ١٠٧).

القرار، والمنجية من سخط الملك الجبار، ومدار ذلك كله على القلب والقلب هو سلطان البدن فإذا صلح صلح جميع الجسد، وإذا فسد فسد جميع الجسد، وصلاحه إنما هو بنور الإيمان، وبنظر الملك الرحمن، وفساده إنما هو بظلمة العصيان، ووسواس العدو الشيطان ولذلك ورد الخبر عن سيد البشر «إن في ابن آدم لمضغة إذا صلحت صلح الجسد وإذ فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب».

[٤٢٧] شجرة الزيتون

وقال الله تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين﴾ [المائدة: ١٥] وقال عز وجل ﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ [النساء: ١٧٤] وقال سبحانه ﴿ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ [الشورى: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ [النور: ٣٥] لا شرقية تطلع عليها الشمس كل النهار فتحرقها، ولا غربية يصيبها الظل كل النهار فيظلها، وهي أفضل ما يكون من الشجر. وهذا مثل ضربه الله تعالى في وصف نبيه محمد ﷺ، والنور الذي أنزل عليه هو القرآن. فالله تعالى قد وصف الشجرة بأنه سبحانه وتعالى حفظها من الشمس والظل فكذلك حفظ لنا القرآن فلم يقع فيه تحريف ولا بهتان، ولا زيادة ولا نقصان، ولو جعل الله حفظه إلينا وقع فيه التحريف والتبديل كما وقع في الكتب المتقدمة قال الله تعالى: ﴿بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾ [المائدة: ٤٤] ثم أخبرنا عنهم عز وجل أنهم حرفوا وبدلوا فقال تعالى: ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾ [المائدة: ١٣] وقال سبحانه ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم. ثم يقولون هذا من عند الله﴾ [البقرة: ٧٩] فأخبرنا الملك الرحمن في محكم القرآن، أنهم أوقعوا في كتبهم الزيادة والنقصان، والتحريف والبهتان. وخبَّرنا مولانا عن القرآن أنه الحافظ له بقوله ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩] وما حفظ الملك الديان فلا يقع فيه زيادة ولا نقصان، ولا تحريف ولا بهتان. فكتابنا قد حفظه الملك الجليل، فسلم من التحريف والتبديل، وكذلك حفظ نبيه محمداً ﷺ وعصمه وهداه فقال تعالى في عصمته لنبيه حبيبه وصفيه ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة: ٦٧] وقال تبارك وتعالى في هدايته لنبيه ﴿ويهديك صراطاً مستقيماً﴾ [الفتح: ٢] فاخبرنا مولانا العزيز الحكيم عن

محمد النبي الرؤوف الرحيم أنه قد هداه إلى الصراط المستقيم، وأعاذه من الشيطان الرجيم، وحفظه الملك الرحمن من الشرك والكفران، والعوج والبهتان، فقال له الديان في محكم القرآن **﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾** [الأنعام: ١٦١] فهداه الله تبارك وتعالى إلى الحق المعلوم وعلمه ما لم يكن يعلم من دقائق العلوم؛ فأدى رسالة ربه غير مقصر ولا مذموم، ولا مفرط ولا ملوم، فأخبرنا الحي القيوم، عن النبي الصادق المرحوم، أنه قد بلغ كتاب ربه المعلوم وقال له **﴿فتول عنهم وما أنت بملوم﴾** [الذاريات: ٥٤] وقد أخبرنا الملك الجبار أنه أمر نبيه المختار بتبليغ الرسالة ليستنقذ المؤمنين من النار فقال تعالى: **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾** [المائدة: ٦٧] فأمره تعالى بالتبليغ وأخبر عنه أنه قد بلغ. وما حفظ الملك القهار لقلوب المؤمنين الأبرار، فقوله تعالى: **﴿إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾** [الحجر: ٤٢] فصار المؤمن في عصمة الله تبارك وتعالى وحفظه، لما دخل نور الهدى في قلبه. فهذا مثل ضربه الله العزيز الحكيم، المنان المتفضل الكريم، لنبيه الصادق الأمين، ولكتابه النور المبين. ثم قال تعالى: **﴿ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾** [النور: ٣٥] فهو تعالى عالم بما كان وما يكون وما لم يكن ولا يكون، أن لو كان كيف كان يكون. ثم إن الله تبارك وتعالى أثنى على المؤمنين المحافظين على أداء الصلوات الذاكرين لله في المساجد في جميع الآناء والأوقات، الخائفين من عقوبة رب الأرضين والسموات، فقال رب الأرباب وسيد السادات في محكم الكتاب **﴿بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها﴾** [النور: ٣٦] الآية. أي يذكر فيها جميع ما أنزل المولى من أسمائه الحسنى وصفاته العلى، لا يذكر فيها زور ولا بهتان، ولا غيبة ولا عصيان، ولا نميمة على اللسان، وإنما جعلها الله تعالى للسنة والقرآن، وعبادة الملك الديان، لا يذكر فيها لغو ولا تأثيم، لأنها إنما جعلت لأداء فرض العزيز الحكيم.

[٤٢٨] المساجد لذكر الله

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا سمعتم الأصوات قد علت في المساجد في غير ذكر الله فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة».

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا علت الأصوات في المساجد في ذكر

الدنيا تقف عليهم الملائكة فيقولون لهم: اسكتوا يا أولياء الله، اسكتوا يا أعداء الله، اسكتوا عليكم لعنة الله» وقوله: ﴿**ويذكر فيها اسمه**﴾ [النور: ٣٦] يذكر فيها جميع ما أنزل العليم الخبير في كتابه المبين، وجميع ما أمر به الصادق البشير النذير. قال الله مولانا الذي بيده ضلالنا وهدانا ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ [الحشر: ٧] وقد نهانا محمد ﷺ عن فضول الكلام في كل مكان. فإذا كان فضول الكلام وبالاً على العباد في غير المساجد، فأولى أن يتحفظ العبد عن الكلام في غير ذكر الله في المساجد.

[٤٢٩] كلمة السوء

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة فينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**». فهذا ثناء من أسرع الحاسبين على عمار المساجد المؤمنين. وقد أثنى عليهم الملك الرحمن في محكم القرآن، حيث أوجب لهم الإيمان ﴿**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلاّ الله**﴾ [التوبة: ١٨].

وجاء في الخبر عن سيد البشر ﷺ أنه قال: «**إذا كان يوم القيامة يقول الجبار** تبارك وتعالى: أين جيراني؟ فتقول الملائكة: مولانا ومن ينبغي أن يكون جارك؟ فيقول الله تبارك وتعالى: يا ملائكتي أين عمار المساجد في الدنيا». وأنشد يحيى بن معاذ بعرفات:

إليك جئنا وأنت جئت بنا ... وليس شيء سواك يغنينا
فناك رحب وأنت ذو كرمٍ ... تدعو إلى بابك المساكينا

قال الله تعالى: ﴿**يخافون يوماً تتقلب فيه القلوبُ والأبصار**﴾ [النور: ٣٧] يريد أن القلوب يوم القيامة تعرف أمره يقيناً فتتقلب، وما كانت عليه من الكفر والشك في الحساب، والبعث والثواب والعقاب، والنعيم والعذاب، فترى الأبصار يومئذٍ ما كان عنها مغطى بقوله تعالى: ﴿**لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد**﴾ [قٓ: ٢٢] وقيل تتقلب الأبصار من الكحولة إلى الزرقة، ومن البصر إلى العمى، ومن بياض الوجه إلى السواد، والقلوب تتقلب من الشك إلى اليقين، ومن الأمن إلى الخوف، ثم لم يوقنوا بالبعث حتى عاينوه، ولم

يصدقوا بالعذاب حتى شاهدوه. ثم ضرب الله تبارك وتعالى مثلاً للكافرين فقال تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآنُ ماء﴾ [النور: ٣٩] يراه من البعد ﴿ حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ [النور: ٣٩] كذلك الكافر يحسب ما قدم من عمله في الدنيا ينفعه بل وجده بلاء وحسرة عليه لأن الله تبارك وتعالى محقه وأبطله بالنفاق والكفر، لأنه عمل لم يعمله لوجه الله تبارك وتعالى، ولا ينفع من الأعمال كلها إلا ما كان لوجه الله خالصاً، والكافر والمنافق لم يرد بعمله وجه الله تعالى فنعوذ بالله من النفاق والكفر بعد الإيمان، ومن زوال النعمة بعد الإحسان، ومن القطيعة والحرمان، ومن ترك الزيادة ولزوم النقصان، ومن ترك العز واتباع الهوان، وترك المولى الكريم وصحبة الشيطان.

ثم وصف الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه الرجال الذين يسبحون له بالمساجد فقال تبارك وتعالى: ﴿يسبح له فيها﴾ [النور: ٣٦] يعني المساجد ﴿بالغدو والآصال رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله﴾ [النور: ٣٦] فسبحان من لو سجدنا له على جمر الغضا وحرارة الرمضاء ما بلغنا جزءاً واحداً من فناء الإعداد من حق الملك الجواد الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، وفضلنا بمحمد عليه الصلاة والسلام، خير نبي وأكرم إمام، شاهداً علينا في جميع الأحكام، وجعل هذه الأمة شهداء يوم القيامة على الناس يوم تشقق فيه السماء بالغمام. فمن كانت هذه النعمة من بعض نعمه عليهم كيف تلهيهم تجارة أو بيع عن ذكر الله؟! وتجارتهم مع الله رابحة، ومحاسنهم لذوي الألباب لائحة. ثناؤهم عطر الأنام، فهو بين الناس كالأعلام، بهم يستمطرون الغيث إذا حجب، وفي جملتهم يحشر السعيد والنجيب ومن فاخرهم يخب، ومن حاربهم نكب، ومن أقلع إليهم بغير ريح عطب، بدعائهم يستمطر الغمام، فهو دواء الآلام وشفاء الأسقام وبهم يستنقذ المغلوب، وبهم يفرج الله عن المكروب، كروبهم كشف العمى عن القلوب، وبهم تغفر الخطايا والذنوب، من اقتدى بهم تجنب الآثام والذنوب، وأقلع عن القبائح والعيوب وبلغ من رحمة مولاه المنى والمرغوب، وبهم يتوصل إلى غاية المحبوب. وأنشدوا:

وربك لو أبصرتَ يوماً تتابعت ... عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهداَ
لأبصرت قوماً جانبوا النوم وارتدوا ... بأردية التسهاد واستقربوا البعداَ

وصاموا نهاراً دائماً ثم أفطروا   على بلغ الأقوات واستعملوا الكدا
أولئك قوم حَسَّنَ الله فعلهم   وأورثهم من حسن فعلهم الخلدا

رجال جالت قلوبهم في الملكوت، رجال تفكروا في العظمة والجبروت، رجال استقاموا على عبادة الحي الذي لا يموت، رجال خطرت على قلوبهم الأشجان، وأتعبوا النفوس والأبدان، وتسربلوا الخوف والأحزان، وأقبلوا على مولاهم كورود الظمآن. شربوا بكأس الزلال مع اليمين، وتأسوا بسيد المرسلين، وعملوا أعمال الصالحين، وأتبعوا سيرة المؤمنين واستقاموا على طريق الهدى والدين. رجال شربوا بكأس الوداد والحب، فكشف لهم حجب الغيب، وغفر لهم ما عملوا من ذنب، فأشعلوا في قلوبهم نيران خوف الملك الرب. رجال أقلقهم خوف الوعيد، وأنحل أجسامهم التفكر الشديد، رجال تجنبوا الفواحش والآثام ولذيذ الشراب والطعام، رجال ليلهم قيام، ونهارهم صيام، يطلبون رضا ذي الجلال والإكرام. وأنشدوا:

سُقوا كأس المحبة فاطمأنت   قلوبهم وهيجها اليقين
إلى ملك تحن إليه شوقاً   وليس لها إلى أحد حنين
يميل بهم هبوب القرب ميلا   كما مالت مع الريح الغصون

رجال كحلوا أعينهم بالسهر، وغضوها عمّا لا يحل من النظر، وشغلوا خواطرهم بالفكر، وأشغلوا قلوبهم بالعبر، رجال أزعجوا أنفسهم عن الأوطان، ولزموا مساجد الملك الرحمن، وجالت قلوبهم في علوم القرآن وما واعدهم وتواعدهم به الماجد الديان. وأنشدوا:

اختصم الطرف مع فؤادي   فيَّ وصارا إلى عنادِ
فقال طرفي أنا ابتليت   بطول ليلي وبالسهادِ
وقال قلبي أنا المقلا   بالكُرَب الصعبة الشدادِ
فقال جسمي: قتلتماني   أنا الذي ذبت في الجهادِ

[٤٣٠] الزهاد

رجال قد نحلت منهم الأبدان، وتغيرت منهم المحاسن والألوان، وخوف العذاب والنيران وشوقاً إلى نعيم الجنان. رجال صحبوا القرآن بحسن العمل، ولم

يغتروا بطول الأمل، ونصبوا لأعينهم تقريب الأجل، وسمت هممهم إلى الرفيع من المحل، واشتاقت نفوسهم إلى الملك الأعلى الأجل، فلو رأيتهم لرأيت قوماً يتلون كتاب الله بشفاه ذابلة، ودموع وابلة، وزفرات قاتلة، وأجسام ناحلة، وعقول زائلة، وخواطر في عظمته جل جلاله جائلة. وأنشدوا:

لله قــوم شــروا لله أنفسهــم ... فـأتعبـوهـا بـزجـر الله أزمـانـاَ
أمـا النهـار فقـد وافـوا صيـامهـم ... وفـي الظـلام تـراهـم فيه رهبـانـاَ
أبـدانهـم أتعبـت فـي الله أنفسهـم ... وأنفـس أتعبـت فـي الله أبـدانـاَ
ذابـت لحـومهـم خـوفَ العـذابِ غـداً ... وقطَّعـوا الليـلَ تسبيحـاً وقـرآنـاَ

رجالٌ إذا نظروا اعتبروا، وإذا سكتوا تفكروا، وإذا ابتلوا استرجعوا، وإذا جهل عليهم حلموا، وإذا علموا تواضعوا، وإذا عملوا رفقوا وإذا سئلوا بذلوا عوناً للوارد، وتفضيلاً للقاصد، حلفاء صدق، وكهوف ودق قد عملوا بالسنة والكتاب، ونطقوا بالحكمة والصواب، وحاسبوا أنفسهم قبل يوم الحساب، وخافوا من عقوبة رب الأرباب. رجال لزموا البكاء والعويل، ورضوا من الدنيا بالقليل، فأزمعوا إلى الآخرة التحويل، ورغبوا في ثواب الملك الجليل، وحنوا إلى النعيم الدائم الجزيل، وتمسكوا بالسنة والتنزيل، ومنعوا أنفسهم التسويف والتعليل، وأشفقوا من هول اليوم العبوس الثقيل، الهائل المنظر الطويل. وأنشدوا:

لله قــوم لــدارِ الخلــد أخلصهـم ... وخصَّهـم بجـزيـل الملـك مـولانـاَ
فلـو تـراهـم غـداً فـي دارِ ملكهـم ... قـد تـوجـوا مـن حلـي الكـونِ تيجـانـاَ
وقـد دعـاهـم إلـى الفـردوس سيدهـم ... إلـى الـزيـارة والتسليـم ركبـانـاَ
علـى نجـائـب دركـى تطيـر بهـم ... والخيـل مـن جوهـر والسـرج مرجـانـاَ
حتـى إذا جـاوزوا دار السـلام وقـد ... أبـدى لهـم وجهـه الـرحمـن سبحـانـاَ
خـرُّوا سجـوداً فنـاداهـم بعـزتـه ... إنـي رضيـت بكـم قـربـا وجيـرانـاَ
إنـي خلقـت لكـم دار النعيـم فـلا ... تـرون بـؤسـاً ولا تخشـون أحـزانـاَ
هـذا النعيـمُ الـذي لا ينقضـي أبـداً ... ولا تغيـره الأزمـان ألـوانـاَ
وهـو الجـزاء لكـم منـي علـى عمـلٍ ... أخلصتمـوه وكنتـم فـيَّ إخـوانـاَ

رجال ركبوا فلك السلامةِ، وجروا بريح الاستقامة، فقطعوا بحار العطب

والندامة، ونجوا من الأهوال يوم القيامة، فحظوا في دار المقامة، وأرسوا في سرمد الكرامة.

[٤٣١] خيار الأمة

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خيار أمتي الملأ الأعلى في الدرجات العلى» قوم ضحكوا جهراً من سعة رحمة الله، وبكوا سراً من خوف عذاب الله. هم بالغداة والعشي في بيوت الطيبة يدعون بألسنتهم رغباً ورهباً، ويسألونه بأيديهم خفضاً ورفعاً، ويشتاقون إليه بقلوبهم غدواً وعشياً. مؤنتهم على الناس قليلة، وعلى أنفسهم ثقيلة، يدبون على الأرض حفاة أقدامهم دبيب النمل بغير مرح، ولا ميل ولا ترح. يمشون بالسكينة والوقار، ويتقربوت بالوسيلة إلى الملك الجبار. يلبسون الخلقان ويعبدون الرحمن، ويتلون القرآن، ويشفقون من عذاب النيران، ويخافون يوماً يكثر فيه الويل والأحزان، قد تجنبوا كل ريبة وبهتان، ولم يأمنوا مكر الملك الديَّان، رجالٌ تعوقوا ريب المنون، وجزعوا من السابقة في الغيب المكنون، فحال بينهم وبين ما يشتهون، ينتظرون الخاتمة كيف تكون، أولئك أولياء الله الصالحون ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة: ٢٢] رجال المساجد مأواهم، والله جل جلاله معبودهم ومولاهم، تركوا المعاصي خوفاً من الحساب والسؤال، وبادروا إلى الطاعة وحسن الأعمال، وتنزهوا عن الغي واللهو والمحال، وحادوا عن طريق كل مطرود بَطَّال، وأشفقوا من عقوبة ذي المجد والجلال، وعملوا ليوم لا بيعٌ فيه ولا خلالٌ. وأنشدوا:

لله قوم أخلصوا في حبه	اختصهم ورضى بهم خُدَّاماَ
قومٌ إذا هجم الظلام عليهم	قاموا فكانوا سُجَّداً وقياماَ
يتلذذون بذكره في ليلهم	ونهارهم لا يفترون صياماَ
خمص البطونِ من الحرام أعفةٌ	لا يعرفون سوى الحلالِ طعاماَ
فسيفرحون بوردِ حوضِ محمدٍ	وسيسكنون من الجنان خياماَ

رجال تحولوا عن الدنيا تحويلاً، وبدلوها تبديلاً، ولم يشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً، وعلموا أن وراءهم يوماً عبوساً هائلاً ثقيلاً، وأن أمامهم من الموت خطباً جليلاً، وبدَّلت عيونهم وقلوبهم بكاءً ونوحاً وعويلاً، حين سمعوا مولاهم يقول ﴿كان وعده مفعولاً﴾ [المزمل: ١٨] رجل قطعوا الأيام والليالي بالتفكير، وخافوا

من هول يومٍ عبوس قمطرير، وجالت قلوبهم خوفَ العلي الكبير، فعما قليل ينجون من الفَزع الهائل الخطير، ويجاورون السيد النذير البشير، في جنة ليس فيها شمسٌ ولا زمهرير، رجال اطمأنت قلوبهم بِذكر الرحمن، ولزموا الطاعة وتجنبوا العصيان، وحفظوا ألسنتهم من العيب والبهتان، واتبعوا السنة وأحكام القرآن، ولم يقبلوا من خدع العدو الشيطان، وطلبوا الزيادة ولم يرضوا بالنقصان، فأثابهم الجبار بجنة الرضوان، ومتعهم بالحور الغنجات الحسان، كأنهن الياقوت والمرجان، فأخبرنا الجليل جل جلاله في محكم القرآن، عما أتاهم به من الجود والامتنان، فقال تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان﴾؟ [الرحمن: ٦٠] فالإحسان من العبد في الدنيا قول لا إله إلاّ الله، والإحسان من الله في الآخرة الجنة. فمن أحسن الرضا عن الله جل ثناؤه جازاه الله بالرضا عنه فقابل الرضا بالرضا وهذا غاية الجزاء، ونهاية العطاء.

[٤٣٢] صفة المؤمنين

روي أن النبي ﷺ قال لطائفة من المؤمنين: «ما أنتم؟» قالوا: نحن المؤمنون، فقال: «ما علامة إيمانكم؟» قالوا: نصبر عند البلاء، ونشكر عند الرجاء، ونرضى بمواقع القضاء. فقال: «مؤمنون ورب الكعبة» وقيل أحسن الأشياء أن يكون العبد رقيباً على باطنه وظاهره لأن الله تعالى رقيب عليه وهو قوله تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ [الرعد: ٣٣] فتكون أنت أيها العبد تراقبه في سرائرك وعلانيتك، وظاهرك وباطنك، وحركاتك وسكناتك، وتعلم أنه رقيب عليك، وتستحي ممن هو معك ولا تستحي ممن هو أقرب إليك من حبل الوريد. وقيل: المحمود من الدنيا المساجد والمحاريب، وذلك أن شركاءك فيها الملائكة والنبيون والصديقون وحسن أولئك رفيقاً. والمذموم من الدنيا البطن والفرج والكنيف والمزابل وشركاؤنا فيها اليهود والنصارى والمجوس والمشركون والزنادقة وغيرهم. فيدعوك الرب جل جلاله وهو قوله تعالى: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ [يونس: ٢٥] الآية. وتأبى أنت عليه فيقول الله سبحانه: يا عبدي لا تذنب في الدنيا، رأفة منه لعبده، فيقول العبد: لا بد لي من الذنوب، فيقول الرب جل جلاله: عبدي فتب إلي أقبلك على ما كان منك، فيقول العبد: لا أفعل لأنني مبتلي بالاهل والبطن والفرج، فيقول الرب جل جلاله: عبدي فكن مكانك حتى أوتيك

فيقول العبد: ربي أي شيء تؤتين؟ فيقول الله عز وجل: الجوع والفقر والعرى والمرض، فيقول العبد: لا حاجة لي في هذا. ثم يدعو ويتضرع ويصرخ إذا نزل به ذلك. قال: فتقول الملائكة عند ذلك: يا رب أما تستجيب لعبدك هذا أما ترحمه؟ فيقول الله عز وجل: سوف يحمدني عبدي إذا أدخلته الجنة. قال: فإذا قبض روح العبد على ذلك أدخله الجنة. فيقول العبد ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف: ٤٣] ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ [فاطر: ٣٤] الآية. فيقول الرب جل جلاله: الآن يحمدني عبدي وكان في دار الدنيا يلومني، ويشكو إلي نظري إليه وكان أصلح له مما كان يريده لنفسه. فالآن قد أبحت له الجنة وأدنيته مني ووصلته جنتي فادن مني يا عبدي بلا نهاية وعلى المزيد بمشاهدتي له والنظر إلى وجهي. لا أحرمنا الله النظر إلى وجهه الكريم، وأدخلنا برحمته جنات النعيم.

١٧

مجلس في قوله تعالى
﴿إنَّ الله وملائكته يصلون على النبيِّ يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلِّموا تسليماً﴾

[٤٣٣] اعلموا عباد الله وأحباب الله رحمكم الله أن الله تبارك وتعالى لطف بعباده المؤمنين وأمرهم بالصلاة على سيد المرسلين، ليستنقذهم بها من العذاب الدائم المهين، فصلى عليه ربنا ومولانا تشريفاً وتكريماً، وصلت عليه ملائكته تفضيلاً وتعظيماً، وأمر عباده أن يصلوا عليه ليبيح لهم من الجنة مقاماً كريماً، فقال من لم يزل سميعاً عليماً عليّاً عظيماً **﴿إنَّ الله وملائكته يصلُّون على النبي يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾** [الأحزاب: ٥٦] فاجتهدوا بنا يا معاشر الإسلام في الصلاة والسلام على محمد خير الأنام فعسى، أن يشفعه فينا يوم تشقق السَّماء بالغمام.

ذكر في بعض الأخبار أن ما من ملك ولا نبي ولا ولي ولا صفي ولا صديق ولا شهيد ولا تقي ولا سعيد إلاّ وهو يقول يوم القيامة: بحرمة محمد أن تنجيني من عذابك، وما من عبد سأل ﷺ وسأل الله مولاه حاجة له فيها رضي الله عنه إلاّ قضى الله حاجته، وصرف عنه عند صلاته على محمد ﷺ سبعين نوعاً من البلاء في بدنه وفي دينه وفي ماله وفي أهله. ورفع له سبعين درجة. اللهم صل على النبي محمد المختار، وسيد الأنبياء والأبرار، وزين المرسلين الأخيار، وأكرم من أظلم عليه الليل وأشرق النهار، أبي القاسم الأوَّاب المختار. أنشدوا:

صلَّى الإله وكلُّ عبدٍ صالح ... والطيبون على السراج الواضحِ
المصطفى خيرُ الأنامِ محمدٌ ... الطاهرُ العلم الضياءِ اللائحِ
زينُ الأنامِ المرتضى علمِ الهدى ... الصادق البر الوفي الناصِح
صلّى عليه الله ما هبَّت صبا ... وتجاوبت ورقُ الحمامِ النائحِ

وذكر في بعض الأخبار أن ما من بقعة يكثر فيها الصلاة على محمد ﷺ إلاّ تصير روضة من رياض الجنة، وحصناً وحجاباً بين المصلين وبين حجاب النار. فاجتهدوا في الصلاة على محمد يا معشر المؤمنين والمؤمنات، وتحصنوا بها من العذاب الشديد.

[٤٣٤] الصلاة على النبي وشفاعته

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أكثروا من الصلاة علي فإني أشفع لكم على قدر ذلك». وأنشدوا:

صلى الإله على قدر الحبيب ومن	وسط المدينة يعلو فوقه النورُ
رفعت قريش (هنالك) نعش سيدها	فثم ثكل التقى والبر مقبورُ
وثم خير عباد الله كلهم	وثم أكرم خلق الله محبورُ

عباد الله تحصنوا من العذاب والويل، بإكثار الصلاة على نبينا محمد في النهار والليل.

ذكر في بعض الأخبار أن على ساق العرش مكتوباً: من اشتاق إلى رحمتي رحمته، ومن سألني أعطيته، ومن لم يسألني لم أنسه، ومن تقرب إليَّ بقدر محمد ﷺ غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر. فالله الله يا أمة محمد ويا أحباب محمد من أصابته نائبة أو وقع في شدة فليتضرع إلى مولاه ويسأله بقدر محمد وبحرمة محمد ﷺ فإن قدره عند الله عظيم. فأكثروا عباد الله الكريم، يا معشر من آمن بالله العظيم، الصلاة على محمد الكريم والنبي السيد الرؤوف الرحيم، ينجيكم الله بها من العذاب الأليم، ويدخلكم جنات الخلد والنعيم، إنه هو الحكيم العليم.

[٤٣٥] الصلاة عليه في يوم الجمعة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى علي في يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة». فالله الله يا معشر المؤمنين والمؤمنات، أكثروا من الصلاة على حبيبكم محمد في جميع الأيام والأوقات، والأحايين والساعات، عسى الله أن يخلصكم من الأهوال والآفات، والعذاب والعقوبات، ويدخلكم الجنات العاليات، يوم تبدل الأرض والسموات. وأنشدوا:

صلُّوا على المصطفى زلفى تقربكم ... إنَّ الصلاةَ عليه خير ما اكتسبَا
أعلا الأنام على في جلالته ... وأشرف الخلق منسوباً إذا انتسبَا
وأسرع الناس يومَ العرض مغفرةً ... إذا العقاب بدا للخلق وانتصبَا

حكي عن الشبلي رحمه الله تعالى أنه قال: مات رجل من جيراني فرأيته في المنام فسألته عن حاله. فقال: يا شبلي مرت بي أهوالٌ عظام، وذلك أنه لما سئلت تلجلج لساني عند السؤال منه جاءني الملكان وأراد أحدهما أن يبادرني بالعذاب، إذا أنا بشخص جميل ما رأيت أجمل منه وجهاً فحال بيني وبينهما، فقلت له: من أنت؟ ـ من بعد ما لقنني حجتي ـ فقال: أنا ملك خلقني الله من ثواب الصلاة على محمد، وأنت كنت تكثر الصلاة على محمد ﷺ لأخلصنك بإذن الله من جميع الأحزان، ومن عذاب النيران، ولا أبارحك حتى أدخلك الجنة برحمة الله. فالله الله عباد الله لا تملوا من الصلاة على محمد ﷺ زين العبَّاد، الذي خلصنا به من حر جهنم وبئس المهاد. وأنشدوا:

من كان يكثر بالصلا ... ة مؤملاً فضل النبي
أعطاه ربُّ محمدٍ ... عوناً من اللطف الخفِي

أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى ﷺ، يا موسى إن أردت أن أكون إليك أقرب من لسانك إلى كلامك، ومن نور بصرك إلى عينك ومن سمعك إلى أذنك، فأكثر من الصلاة على حبيبي محمد ﷺ. وأنشدوا:

صلى الآله على النبي محمد ... خير الأنام وجاءه التنزيلُ
وبفضله نطق الكتابُ وبينت ... بصفاته التوراة والإنجيلُ
ذاك النبي الهاشمي المصطفى ... قد جاءه الترفيع والتفضيلُ
أسرى به المولى إلى أفق السما ... فوقَ البراقِ وعندهُ جبريلُ

[٤٣٦] عجيبة

روي عن محمد بن النعمان رضي الله عنه أنه قال: كنا عند النبي ﷺ فجاءه فتى من الأنصار في حاجة فوسع له رسول الله ﷺ بينه وبين أبي بكر الصديقَ رضي الله عنه، وقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر لعلك يشق عليك أن أجلست

هذا الفتى بيني وبينك؟» فقال أبو بكر رضي الله عنه: أي والله يا رسول الله إنه ليشق عليَّ أن يكون بيني وبينك أحد.

[٤٣٧] فضل المصلي وأبو بكر

فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر إن هذا الفتى يصلي عليَّ صلاة، ما يصليها عليَّ أحد من أمتي» فقال أبو بكر رضي الله عنه: كيف يقول يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «يقول اللهم صلّ على محمد عدد من صلَّى عليه، وصل على محمد عدد من لم يصلِّ عليه، وصلّ على محمد كما أمرت بالصلاة عليه، وصلّ على محمد كما تحب أن يصلى عليه، وصلّ على محمد كما ينبغي أن يصلى عليه» واعلم يا أخي علماً يقيناً لا شك فيه أنه ليس أحد أحظى عند نبينا محمد ﷺ ولا عند ربنا سبحانه بعد النبيين من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر بعده كذلك ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، وصلوات الله ورحمته عليهم وعلى العشرة وجميع الصحابة، لكن خص النبي ﷺ الفتى بإقعاده بينه وبين أبي بكر لما ألهمه الله من تلك الصلاة فأكرمه النبي كذلك صلوات الله وسلامه عليه ما حنّ مشتاق إليه.

[٤٣٨] حكاية الشافعي عن مؤمني الجن

فما يقوي ما ذكرناه من فضل الأركان الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين، ما روي عن محمد بن إدريس قال: رأيت بمكة أسقفاً وهو يطوف بالكعبة، فقلت له: ما الذي رغب بك عن دين آبائك؟ فقال: تبدلت خيراً منه، فقلت: كيف ذلك؟ قال: ركبت البحر فلما توسطنا انكسر بنا المركب، فعلوت لوحاً فلم تزل الأمواج تدفعني حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلا من الشهد، وألين من الزبد، وفيها نهر جار عذب فحمدت الله على ذلك وقلت: آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتيني الله بالفرج، فلما ذهب النهار خفت على نفسي من الدواب فعلوت شجرة من تلك الأشجار فنمت على غصن منها، فلما كان في جوف الليل فإذا بدابة على وجه الماء تسبح الله وتقول: لا إله إلاّ الله العزيز الجبار، محمد رسول الله النبي المختار، أبو بكر الصديق صاحبه في الغار، عمر الفاروق مفتاح الأمصار، عثمان القتيل في الدار، علي سيف الله على الكفار، فعلى

مبغضيهم لعنة الجبار، ومأواهم جهنم وبئس القرار. فلم تزل تكرر هذه الكلمات حتى (إذا) طلع الفجر، قالت: لا إله إلاّ الله الصادق الوعد والوعيد، محمد الهادي الرشيد، أبو بكر الصديق الموفق السديد، عمر بن الخطاب سور من حديد، عثمان القتيل الشهيد، علي ذو البأس الشديد، فعلى مبغضيهم لعنة الرب المجيد فلما وصلت البر فإذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه إنسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة، فخشيت على نفسي الهلكة فهربت بنفسي أمامها فوقفت فقالت: ما دينك؟ قلت: النصرانية، فقالت: ويلك ارجع إلى الحنيفية فقد حللت بفناء قوم من مؤمني الجن لا ينجو منهم إلاّ من كان مسلماً، قلت: وكيف الإسلام؟ قالت: تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، فقلتها فقالت: أتم إسلامك بالترحم على أبي بكر وعمر وعثمان علي رضوان الله عليهم أجمعين. قلت: ومن أتاكم بذلك؟ فقالت: قومنا حضروا عند رسول الله ﷺ فسمعوه يقول: «إذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق يا إلهي قد وعدت أن تشد أركاني، فيقول الجليل جل جلاله: قد شددت أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وزينتك بالحسن والحسين، ثم قالت الدابة: المقام تريد أم الرجوع إلى أهلك؟ قلت لها: الرجوع، فقال: أصبر حتى تجتاز مركب، وإذا مركب تجري فأشرت إليهم فدفعوا إلي زورقاً، فلما علوت معهم فإذا في المركب إثني عشر رجلاً كلهم نصارى، فأخبرتهم خبري فأسلموا عن آخرهم.

فالله الله عباد الله اشكروا الله على نعمة الإسلام، وعلى هدايتكم لسنة محمد ﷺ عليه أفضل الصلاة والسلام، ومحبتكم لأصحابه البررة الكرام، فقد فضلكم على جميع الأنام، قال الله ذو الجلال والإكرام، والطول والإنعام **﴿إن الدينَ عند الله الإسلام﴾** [آل عمران: ١٩] ونرجع إلى ما كنا فيه من الصلاة على خير الأنام، محمد رسول الملك العلام. وأنشدوا:

لهجت بذكرك مهجتي ولساني	وحللت من قلبي بكل مكانِ
فأنا بذكرك في البرية كلها	علمٌ وحبك آخذٌ بعناني
سلطان حبِّك في الهوى عينُ الهوى	وبه تعزَّزَ في الهوى سلطاني
أنت النبيُّ الهاشميُّ محمد	صلَّى الإلهُ عليك في القرآن
أنت الحبيب لأهل دينك كلهم	يومَ المعاد وموقفِ الخسران

أنت الشفيعُ لمن عصى ربَّ العلا　　أنت الدليلُ لجنةِ الرضوان
فلأذكرنك ما بقيت معمراً　　حتى الممات ولا يمل لساني
فصلاةُ ربي ماجدٌ ومهيمنٌ　　تترى عليك تعاقب الملوان

[٤٣٩] أوتاد المجالس

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن للمجالس أوتاداً جلساؤهم الملائكة إذا جلسوا لذكر الله حفت بهم الملائكة من لدن أقدامهم إلى عنان السماء بأيديهم قراطيس الفضة وأقلام الذهب يكتبون الصلاة على النبي ﷺ، يقولون: أكثروا رحمكم الله، فإذا استفتحوا في الذكر فتحت لهم أبوابُ الجنة، واستجيب لهم الدعاء، وتطلع عليهم الحور العين، وأقبل الله تعالى عليهم بوجهه الكريم، ما لم يخوضوا في حديث غيره ويتفرقوا» وأنشدوا:

إذا طيَّب الناسُ المجالسَ بينهم　　مداماً وريحاناً فذكرك طيبنَا
ولو كانت الدنيا نصيباً لأهلها　　فحبك من كلٍّ الأماني نصيبنَا
وإن كان حب الخلق بعضاً لبعضهم　　فأنت من الخلقِ الجميعِ حبيبنَا

إخواننا طوبى لمن رزق لساناً رطباً بذكر الله والصلاة على محمدِ رسول الله، طوبى لمن رزقه مولانا لساناً مشغولاً بذكر الإله الكريم. وبالصلاة على الرؤوف الرحيم.

[٤٤٠] صيغة الصلاة

روي عن النبي ﷺ أنه قال لرجل من أصحابه: «ما قلت البارحة من قول الخير؟» قال الرجل: يا رسول الله صلى الله عليك، قلت: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من الصلوات شيءٌ، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد حتى لا يبقى من البركات شيء وارحم محمداً وآل محمد حتى لا يبقى من الرحمات شيء. فقال رسول الله ﷺ: «لذلك رأيت البارحة الملائكة يحفُّون بأزقة المدينة» فأكثروا من الصلاة على سيد الأنبياء، وأفضل الأحباء وأكرم الأصفياء، وأجلّ من ولدت النساء، صلى الله عليه صلاة دائمة بلا انقضاء في الليل إذا يغشى، وفي النهار إذا تجلى، وفي الآخرة والأولى. وأنشدوا:

صلى الإلّه على خير الأنام ومن　　نرجو النجاة به في موضع العطبِ

فهو الشفيع لمن يرجو شفاعته عند الحساب وعند اللهو والكربِ

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أولى الناس بي أكثرهم عليَّ صلاة» فأكثروا من الصلاة عليه يا معشر الإسلام، وتحصنوا بها من العذاب الغرام واطلبوا بها رضا الملك العلام، وأنشدوا:

يا خيرَ مولودٍ تعاظم فخره وأتى بأشرف ملةٍ وكتابِ
صلَّى الإلّه عليك يا خير الورى ما أنهل في الآفاق قطرُ سحابِ
يا خيرَ مبعوثٍ إلى خيرِ أمة وأكرم من يدعو لسُبلِ صَوابِ

[٤٤١] ثلاثة تحت ظل العرش

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثة يوم القيامة تحت عرش الله يوم لا ظل إلاّ ظله» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «من فرَّج عن مكروبِ أمتي، ومن أحيا سنتي ومن أكثر الصلاةَ عليَّ» فاجتهدوا رحمكم الله في التفريج لهموم المكروبين، وفي إحياء سنة خاتم النبيين، وفي الصلاة على سيد المرسلين وأكرم الخلق على رب العالمين. وأنشدوا:

صلُّوا على خير الأنام كرامةً وجلالة يا معشر الإسلامِ
فهو النبي المصطفى علمُ الهدى وأدل من يدعو لسُبل قوامِ
نطق الكتابُ بفضلهِ وجلالِه وبفضله ننجو من الأسقامِ
صلُّوا على خيرِ البرية كلِّها ما لاح بدرٌ تحت جُنحِ ظَلامِ
فهو السبيلُ لدارِ كلِّ كرامةٍ وهو الدليلُ لجنةٍ وسلامِ
وهو الشفيعُ لمن يدين بدينهِ ولمن يلوذُ بملةِ الإسلامِ

[٤٤٢] للصلاة رائحة طيبة

روي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أنهم قالوا: ما من مجلس يصلى فيه على النبي ﷺ إلاّ نمت له رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة: هذه رائحة مجلس صلي فيه على النبي محمد ﷺ.

اللهم صل عليه كما تحب أن يصلى عليه ﷺ. وأنشدوا:

تتعطر الأنفاس ما ذكرت أخباره في المجلس العطرِ

سبحـــان بـــاريـــه وخـــالقـــه ... نـــوراً تصـــور أجمـــلِ الصـــورِ
المســـكُ منحـــدرٌ بيـــردتـــه ... والـــوجـــهُ منـــه طلعـــةُ القمـــرِ
يـــا صـــادقـــاً فيمـــا يخبـــرنـــا ... بشهـــادةِ الأسمـــاعِ والنظـــرِ
سبحـــانَ مـــن أنشـــاكَ مـــن بشـــرٍ ... يـــا سيـــداً للخلـــقِ والبشـــرِ
القـــولُ تتبعـــه شـــواهـــده ... والخيـــرُ مقـــرونٌ مـــع الخبـــرِ
أنـــت النبـــي بـــلا مـــدافعـــة ... والمصطفـــى مـــن خيـــرة البـــدرِ

[٤٤٣] الإمام الشافعي

روي عن أبي جعفر الطحاوي أنه قال: قال: عبدالله بن عبدالحكم رأيت الشافعي رضي الله عنه في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: رحمني وغفر لي وزففت إلى الجنة كما تزف العروس إلى زوجها، فقلت له: ما الذي بلغك هذه المنزلة؟ قال لي: بما في آخر كتاب الرسالة من الصلاة على محمد ﷺ؛ فقلت له: وكيف ذلك؟ فقال لي: وصلى الله على سيدنا محمد ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون. قال: فلما أصبحت طلبت كتاب الرسالة فوجدت الأمر كما ذكر. وأنشدوا:

صلُّـوا علـى خيـر الأنـام ومـن بـه ... تنجـو العبـادَ بمـوقـف الأهـوالِ
إنَّ الصـلاةَ علـى النبـيِّ حبيبنـا ... مـن أفضـل الأفعـال والأعمـالِ
فهـو النبـيُّ المصطفَـى علـمُ الهـدى ... الطيـب الأقـوالِ والأفعـالِ

معشر المسلمين تحصنوا من عذاب النار، وخففوا عن ظهوركم ثقل الأوزار، بكثرة الصلاة على النبي المختار.

[٤٤٤] أبخل الناس

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «حسب المؤمن من البخل إذا ذكرت عنده فلم يصلِّ عليّ» أعوذ بالله من اللئيم البخيل. الذي يبخل بالصلاة على رسول الملك الجليل، الذي خصَّهُ الله بالكرامة والتفضيل، وائتمنه على الإيضاح عن بيان التأويل في جميع التنزيل. وأنشدوا:

---

[٤٤٤] حديث «حسب المؤمن من البخل إذا . . .».
رواه ابن السني (٣٨٤) من حديث علي.

صلُّوا على القمر المنير إذا بدا … في موكب من حسنه وجمالهِ
لم يخلق الرحمنُ خلقاً مثله … في فضله وبهائه وكمالهِ
ختم النبوة طيبه فختامُهُ … مسكٌ تكوَّن من نسِيمِ جلالهِ
صلُّوا على العلم الذي من أمَّهُ … نال المنى وجرى السرور ببالهِ
صلوا على بدرِ التمامِ محبةً … وكرامةً وجلالةً لجلالهِ
إنَّ الصلاةَ على النبي سلامةٌ … وتفضُّلٌ وتوسلٌ بجمالهِ
وتوددٌ وتحننٌ وتشوقٌ … وتوسلٌ وتقربٌ لنوالهِ

عباد الله صلوا على رسول الله صلوا علٰى سيدنا وحبيبنا محبة وكرامة، فهو الشفيع لنا يوم القيامة.

[٤٤٥] أنجاكم أكثركم صلاة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومن مواطنها أكثركم عليَّ صلاة» عباد الله الملك الديان، يا أهل الإسلام والإيمان، صلُّوا بنا على سيدنا محمد رسول الملك الرحمن، لعله يخلصنا من عذاب النيران. وأنشدوا:

صلُّوا على ماجد جلَّت مآثره … وأكثرالخلقِ إفضالاً وإحساناً
أتى العبادَ وقد ضلَّت مسالكهم … فأوضح الحقَّ تبياناً وبرهاناً
وبيَّن الدينَ بالتذكيرِ مجتهداً … وأظهرَ الشرعَ أحكاماً وقرآناً
وأنقذَ الخلقَ من نارِ السموم لظى … وأوردَ الناسَ جناتِ ورضْوَاناَ
لا تبغ طيباً إذا ما كنت ذاكره … ولا ترد بعده روحاً وريحاناً
فيه الجنانُ وفيه الحسنِ مجتمعٌ … والنبلُ والظرفُ أشكالاً وألواناً
فالحمد لله إذ كنا له تبعاً … لقد تفضلَ بالخيراتِ مولاناَ

[٤٤٦] ثمرة الصلاة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلّى عليَّ صلاة تعظيماً لحقي خلق الله تعالى من ذلك القول ملكاً جناحه بالمشرق والآخر بالمغرب ورجلاه مغروزتان في الأرض السابعة السفلى وعنقه ملوي تحت العرش يقول الله تعالى له: صل على عبدي كما صلى على نبيي محمد فهو يصلي عليه إلى يوم القيامة» أحبابي تحصنوا

من أليم العذاب، وارغبوا في جزيل الثواب، بالصلاة على النبي الصادق الأواب.

اعلموا عباد الله أنّ الله تبارك وتعالى لما اتخذ محمداً ﷺ حبيباً أقسم بحياته فقال تعالى: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [الحجر: ٧٢] فهذه غاية المحبة. ولما أحب الله تعالى أن يصلي العباد على محمد النبي الحبيب بدأ بالصلاة عليه الملك القريب، ثم ثنى بملائكته البعيد منهم والقريب، ثم عرف عباده المؤمنين أنه يصلي على محمد هو وملائكته، ثم أمر بالصلاة عليه أهل الإيمان، لينجيهم بها من عذاب النيران، فقال الملك الرحمن في محكم القرآن ﴿إنّ الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً﴾ [الأحزاب: ٥٦] فكأنه قال جل وتعالى: عبدي قد أعلمتك أني أصلي على محمد حبيبي وملائكتي تصلي عليه، فمن أكثر الصلاة على محمد الحبيب، جعلت له من الجنة أوفرَ نصيب، وكان رفيقاً وجاراً لأبي القاسم الحبيب. وأنشدوا:

صلّى الإلٰهُ بعظمه وجلالهِ ... ثم الملائكةُ الكرامُ على النبيِ
فهو الحبيبُ لربناً ربّ العلا ... وهو الدليلُ لجنةٍ لا تختبي

[٤٤٧] الملائكة تستغفر للمصلي

ذكر في بعض الأخبار أن العبد المؤمن أو الأمة المؤمنة إذا ابتدأ بالصلاة على محمد ﷺ فتحت له أبواب السموات السبع والسرادقات حتى العرش، فلا يبقى ملك في السموات إلاّ صلَّى على محمد ﷺ، ويستغفرون لذلك العبد أو الأمة ما دام العبد، أو الأمة يصلي على النبي ﷺ. وأنشدوا:

صلُّوا بنا يا معشرَ الإسلامِ ... على النبي الواضح الأحكامِ
نطقَ الكتاب بفضله وجلاله ... وبفضله ننجوا من الإجرامِ

[٤٤٨] مقام الشبلي

حكي عن بعضهم أنه قال: كنت عند أبي بكر بن مجاهد جالساً إذ أقبل الشبلي فقام أبو بكر إليه فعانقه وقبل بين عينيه، فقلت: يا سيدي تفعل هذا بالشبلي وأهل بغداد يقولون عنه إنه مجنون؟! فقال: قد فعلت به كما رأيت رسول الله ﷺ يفعل به، وذلك أني رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقد أقبل الشبلي فقام النبي ﷺ فعانقه وقبله بين عينيه، فقلت له: يا رسول الله تفعل هذا بالشبلي؟! فقال ﷺ: نعم

لأنه يقرأ في آخر كل صلاة ﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم﴾ [التوبة: ١٢٨] الآية. ثم يتبعها بالصلاة علي. وأنشدوا:

صلاةُ ربٍّ كريم ماجدٍ صمدِ ... على النبي الذي قد نال تفضيلا
صلَّى عليه إلٰهُ العرشِ خالقنَا ... جاء الكتابُ بذا وحياً وتنزيلا
فهو الدليلُ لأهلِ الخيرِ كلِّهم ... لمن أراد (إلى) الفردوس تحويلا
ومن أرادَ فراراً عن تمردهِ ... ومن أراد (له) الرحمنُ توصيلا
هذا بيانُ لأهلِ الفضلِ كلهم ... يعجِّلون لدارِ الخلدِ تعجيلا

عباد الله ارغبوا في هذا الملكِ الجليل، والنعيم الدائم الطويل، بإكثار الصلاة على محمد الأصيل، النبي السيد النبيل، الذي جاء بالوحي والتنزيل، وأوضح بيان التأويل، وجاءه الأمين جبريل، بالتكريم والتفضيل، وأسرى به الجليل، في الليل البهيم الطويل، كشف له عن أعلا الملكوت، وأراه أسنى الجبروت، ونظر إلى قدرة الحي الذي لا يموت. فلقد رأى في ليلة الإسراء من آيات ربه الكبرى، وانتهى إلى سدرة المنتهى. وأنشدوا:

صلُّوا على خير الأنام محمدِ ... فهو الدليل إلى السبيل المرشدِ
صلَّى عليه الربُّ ما دام الدجى ... ومضى النهارُ وفي الظلامِ الأسودِ

[٤٤٩] إبلاغ الصلاة إلى الله

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أعطى ملكاً من الملائكة أسماء الخلائق فهو قائم على قبري إلى يوم القيامة، فليس أحدٌ من أمتي يصلي علي إلاّ قال ذلك الملك: يا محمد فلان بن فلان يصلي عليك صلى الله عليك، وضمن لي الرب عز وجل أن من صلى علي صلاةً صلى الله عليه بها عشراً، وإن زاد زاده الله» فأين أنت يا من أراد النجاة من سموم الحميم، والفوز والخلد في جنات النعيم، فأكثروا من الصلاة على النبي الكريم، والرسول الرؤوف الرحيم.

[٤٥٠] صلاة الملائكة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلَّى عليَّ صلت عليه الملائكة، ومن

---

[٤٤٩] «إن الله تعالى أعطى ملكاً من الملائكة».
رواه البزار وأبو الشيخ عن عمار بن ياسر.

صلَّت عليه الملائكة صلى عليه ربُّه؛ فليقل العبد أو ليكثر» واعلموا أن الفاجر الشقي الذي يسمع هذه الفضائل على الصلاة على النبي ﷺ وقد حبس لسانه عنها فيجب أن يتعوذ بالله منه. نعوذ بالله من لسان جامد، عن الصلاة على النبي ﷺ رسول الملك الماجد، العزيز الفرد الصمد الواحد. وأنشدوا:

صلــوا علــى النــور البهــي محمــد | إنَّ الصــلاة عليــه تنجــي مــن لظَــى
فهــو الــدليــلُ إذا اهتــديــتَ بنــورِهِ | وهــو الــرســولُ فــذاك مصبــاحُ الهــدى

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الله تعالى وهب ذنوبكم عند الاستغفار فمن استغفر الله تعالى بنية صادقة غفر له، ومن قال لا إلّه إلاّ الله رجح ميزانه، ومن صلَّى عليَّ كنت شفيعه يومَ القيامة» عباد الله ارغبوا في الشفاعة، وتمسكوا بالصلاة على شفيع المذنبين يوم قيام الساعة، وارغبوا إلى مولاكم أن يوفقنا إلى أعمال أهل السُّنة والجماعة. وأنشدوا:

مــن كــان يعلــم أن الله خــالقــه | ومحمــداً قــد جــاء بــالقــرآنِ
فليكثــر التسليــمَ بعــد صــلاتِــهِ | للطيِّــب المبعــوثِ بــالتبيــانِ
الهــاشمــيُّ الأبطحــي محمــدٌ | خيــرُ الأنــامِ وزيــن كــلِّ مكــانِ

[٤٥١] من كتب الصلاة في كتاب

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب» فيا معشر المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات أطيعوا رب الأرضين والسموات، بالصلاة على سيِّد السادات. وأنشدوا:

جُدْ بالصلاةِ على خير الورى كرماً | ذاك النبيُّ الذي قد جاء بالنورِ
فهــو الإمــامُ لأهــلُ الحــقِّ كلهــم | وهــو الــدليــلُ على الــولــدانِ والحــورِ

[٤٥٢] الصلاة تبلغه عن العباد

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «تباهوا بالصلاة عليَّ فإنها تبلغني» فبلغوا

---

[٤٥١] حديث «من صلى علي في كتاب . . .».

رواه محمد بن الحسن الهاشمي عن ابن عباس قال السخاوي: في سنده من اتهم بالكذب وقد قال ابن كثير: ليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة. وقال الذهبي: أحسبه موضوعاً.

صلاتكم على سيدكم ونبيكم وصفيكم، وارغبوا إلى مولاكم أن يتوفاكم على سنته وأن يجعلكم من أمته، وأن يجعله شفيعكم من النار، وقائدكم إلى دار الراحة والقرار، إلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى وكَّل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلي علي إلّا قال الملكان مجيبين: آمين، فيقول الله تعالى جواباً للملكين: آمين، ولا أذكر عند أحد فلا يصلي علي إلّا قال الملكان: لا غفر الله لك فيقول الله تعالى وملائكته جواباً لقول الملكين: آمين» فما خلق الله تعالى أعجز ولا أذل ولا أبخل ممن يسمع ذكر محمد النبي الفاضل الزكي ولا يصلي عليه، ﷺ وملائكته وبلغ سلامنا إليه. وأنشدوا:

صلُّوا بنا في الليلِ والنهارِ	على النبي الصادق المختارِ
أسرى به الرحمنُ في جنح الدجى	قد جاء في القرآن والآثارِ
الهاشميُّ المصطفى خيرُ الورى	الطائع الأوَّابُ للجبارِ
صلوا على المبعوثِ يا أهلَ النهي	من جاء بالتنزيلِ والأخبارِ

[٤٥٣] حسنات الحرم

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى عليَّ من أمَّتي كتبت له عشرُ حسناتٍ من حسناتِ الحرم» قيل: يا رسول الله وما حسنات الحرم؟ قال: «الحسنة بسبعمائة حسنة» يا أخي هذا والله قولٌ يسير وثوابٌ كثير.

[٤٥٤] الصلاة صلة تعارف

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ليردن عليَّ أقوامٌ يوم القيامة عند حوضي ما أعرفهم إلّا بكثرة الصَّلاة علي» عباد الله أنتم ترون نبيكم وحبيبكم وصفيكم، فأكثروا من الصلاة عليه فعسى يعرفكم بكثرة الصَّلاةِ عليه لأن الصلاةَ عليه نورٌ لصاحبه يوم القيامة، فعلى قدر الصلاة على الهاشمي القرشي التهامي الأمي الأبطحي يكون النور المضيء الذي يعرف به المؤمن التقي، ومن لا يكثر الصلاة على هذا النبي فهو مبعد مطرود شقي. يا إخواني في الله صلوا على شجرة غرسها الملك الجليل، وجعل أصلها الخليل، وجعل خلالها التفضيل وزينها بالتنزيل، وجعل رقيقها جبريل، وخضع لها كل كبير وكل عزيز وذليل. أصولها عربية، وأغصانها

مضرية، وأوراقها قرشية، وثمرتها تهامية، غرسها الملك الديان، وأخضع لها جميع الإنس والجان، فصلوا عليه يا معشر الإخوان وأنشدوا:

الله فضَّلَ خيرَ الخلقِ بالكرم وأفضلَ الناسِ من عربٍ ومن عجمِ
هو النبيُّ الذي فاقت فضائِلُهُ وخصَّهُ الله بالتنزيل والحكمِ
اختصه بكتاب بيِّن عَلَمِ هَدَي العبادَ به من غمة الظُّلَمِ
الله فضَّله الله أكرمه الله أرسله من جملة الأممِ
صلُّوا (عليه) عبادَ الله كلكموا إنَّ الصلاةَ له تُنْجي مِنَ النقمِ

عباد الله طيبوا بنا مجالسنا بالصلاة على سيدنا محمد ﷺ.

[٤٥٥] طيب مجلس صُلِّي فيه عليه

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما جلس قوم مجلساً فتفرقوا عن غير صلاة عليَّ إلاّ تفرقوا عن أنتن من جيفة حمار» فإذا كان المجلس الذي لا يصلى فيه على النبي ﷺ تفرَّق أهلُه عن أنتن من جيفة حمار، فلا غرو أن يتفرق المصلون عليه من مجلسهم عن أطيب من خزانة العطار. وذلك أن النبي ﷺ كان أطيب الطيبين وأطهر الطاهرين، وكان إذا تكلم امتلأ المجلس بريح المسك، فكذلك مجلس يذكر فيه النبي ﷺ نمت فيه رائحة تخترق السموات السبع حتى تنتهي إلى العرش ويجد كل من خلق الله ريحها في الأرض غير الإنس والجن فإنهم لو وجدوا تلك الرائحة اشتغل كل منهم بلذته عن معيشته، ولا يجد تلك الرائحة ملك أو خلق من خلق الله تعالى إلاّ استغفر لأهل المجلس ويكتب لهم بعدد هذا الخلق كلهم حسنات، ويرفع لهم درجات، سواء كان في المجلس واحد أو مائة أو ألف كل واحد يأخذ من الأجر مثل هذا العدد، وما عند الله تعالى أكثر. فيا أحباب رسول الله ﷺ صلوا على حبيب غذي بماء الوصال وكسي ثوب الجمال والكمال، وزيِّن بكتاب الكريم المتعال.

---

[٤٥٥] حديث «ما جلس قوم مجلساً فتفرقوا...».

عزاه ابن القيم في جلاء الأفهام إلى أبي داود والحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلاّ قاموا عن مثل جيفة حمار». رواه أيضاً الإمام أحمد وابن حبان عن أبي هريرة.

[٤٥٦] حكاية نسَّاخ أكثر من الصلاة

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال: كان لي جارٌ نسَّاخ فمات فرأيته في المنام في حالة حسنة فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي على ما كان مني، فقلت له: بم كان ذلك؟ فقال: كنت إذا كتبت اسم النبي ﷺ صليت عليه ﷺ فغفر لي بذلك وأعطاني ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر فأكثروا من الصلاة عليه ﷺ تسليماً كثيراً . وأنشدوا:

نـور النبـي عـلا علـى الأنـوارِ ... فهـو الـدليـلُ لسبـل دار قـرارِ
صلُّـوا عليـه لعلكـم تنجـوا بـه ... يـومَ الحسـاب وكشفـة الأسـرارِ
صلُّـوا علـى القمـرِ المنيـرِ إذا بـدا ... فهـو الحبيـبُ لـربنـا الجبَّـارِ
صلُّـوا علـى نـورٍ تكـوَّن بـالهـدى ... فهـو الشفيـعُ لصاحـبِ الأوزارِ

عباد الله ارغبوا فيما رغبكم فيه الملك القهار، من فضل الصلاة على نبيه محمد المختار، ولا تغفلوا عن الصلاة عليه بالليل والنهار، فإنّ الله ينجيكم بها من عذاب النار، ويدخلكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار. الصلاة على النبي فضيلةٌ جزيلةٌ، والصلاة على أصحابه سنةٌ وفضيلة والصلاةُ على الملائكة قربةٌ ووسيلةٌ، صلُّوا رحمكم الله على النبي الرفيع، والنور البديع، والحبيب الشفيع. أكرم من ولد، وأعز من فقد. وأنشدوا:

صـلاةُ ربٍّ مـاجـدٍ وهَّـابِ ... علـى النبـيِّ الصـادقِ الأوَّابِ
صلُّـوا علـى المختـارِ أنـوار الهـدى ... صلـوا عليـه معشـرَ الأحبـابِ
صلـوا علـى النـور البهـيِّ محمـد ... صلُّـوا عليـه جمـاعـةَ الأصحـابِ

[٤٥٧] عدد الصلاة عليه

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشراً، ومن صلى عليَّ عشراً صلَّى الله عليه مائة مرة، ومن صلَّى عليّ مائة صلى الله عليه بها ألفاً، ومن صلىَّ علي ألفاً، حرَّمه الله على النار وأدخله الجنة وثبته بالقولِ الثابتِ في القبر عند المسألة، وجاءت صلاته عليَّ نوراً يضيء له الصراط مسيرة خمسمائة

---

[٤٥٧] حديث «من صلى علي ألف مرة لم يخرج من الدنيا...». المنذري: رواه أبو حفص بن شاهين.

عام، وبنى الله له بكل صلاةٍ صلاَّها عليَّ قصراً في الجنة قل ذلك أو أكثر».
وأنشدوا:

صلُّوا على المختار من آل هاشم ... وخير نبي خصه بالمكارم
ومن بيَّن الرحمنُ في الذكرِ فضلَه ... وأوضحَ نورَ العدلِ بعد التظالمِ
وأرسله الجبارُ للناس كافةً ... مبين محضِ الحلِّ بعد المحارمِ
فذاك لدينِ الله حصنٌ وملجأٌ ... وذاك على الأعداء ليثٌ بصارمِ

عباد الله خففوا عن ظهوركم الذنوب الثقال، وفكُّوا رقابكم من السلاسل والأغلال وارغبوا في نعيم دار الخلد والجلال، بصلاتكم على محمد رسول الكبير المتعال.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى عليَّ ألف مرة لم يخرج من الدنيا حتى يبشر بالجنة» فارغبوا عباد الله أن تكونوا من أهل الجنان، بإدمان الصلاة على محمد رسول الملك الرحمن، فعسى الله أن يكفر عنكم ما سلف من الذنوب والعصيان. نعوذ بالله من لسان يابس من الصلاة على محمد، وإذا أراد الله بعبد خيراً بلَّ لسانه بذكره، وبالصلاة علَى محمد حبيبه ونبيه ووليه وصفيه صلى الله عليه. صلواتنا على محمد المبعوث من تهامة، الآمر بالمعروف والاستقامة، الشفيع لأهل الذنوب في عرصات القيامة. اللهم صلِّ على محمد الزاهد، رسول الملك الصمد الواحد صلى الله عليه صلاةً دائمة منتهى الآباد، طيبة باقية بلا انقطاع ولا نفاد، صلاةً تنجينا بها من جهنم وبئس المهاد. وأنشدوا:

صلوا على هذا النبي الأوضحِ ... الهاشمي الأبطحي الأفصحِ
إنَّ الصلاةَ على الشفيع محمدٍ ... تبدي الفلاحَ مع النجاح الأنجحِ
فتكثروا من ذكره أهل النهى ... لا تبتغوا بدلاً بذكرِ الأرجحِ

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عسرت عليه حاجة من أمر دينه أو دنياه فليكثر من الصلاة عليَّ فإن الله يستحي أن يرد عبده في حاجة إذا كان دعاءه بين صلاتين عليّ، صلاةً قبل السؤال وصلاةً بعد السؤال» وهذا والله غاية الجاه والحب لنبينا محمد ﷺ.

اللهم صلّ على محمد صلاةً تزلف بها مثواه، وتشرف بها عقباه، وتبلغه بها يوم القيامة من الشفاعة رضاه ومناه.

[٤٥٨] صفة الرسول والثناء عليه

قال بعض السادة في قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفُسِكُم﴾ [التوبة: ١٢٨] كأنه يقول من خيركم نفساً، وأطهركم قلباً، وأصدقكم قولاً وأزكاكم فعلاً، وأثبتكم أصلاً، وأوفاكم عهداً، وأمكنكم مجداً، من أكرمكم طبعاً، وأحسنكم صنعاً، وأطيبكم فرعاً، وأكثركم طاعةً وسمعاً. من أعلاكم مقاماً، وأحلاكم كلاماً، وأوفاكم زماماً، وأزكاكم سلاماً. من أجلِّكم قدراً، وأعظمكم فخراً، وأكثركم شكراً، وأرفعكم ذكراً، وأعلاكم أمراً، وأجملكم صبراً، وأحسنكم خبراً، وأقربكم بشراً، من أبعدكم مكاناً، وأعظمكم شأناً، وأرجحكم ميزاناً، وأولكم إيماناً، وأوضحكم بياناً، وأفضلكم لساناً، وأظهركم سلطاناً، وأبينكم برهاناً. من أرسخكم قدماً، وأبينكم علماً وأوصلكم رحماً، وأبركم قسماً، وأبعدكم كرماً، وأرعاكم ذمماً. من أسطعكم نوراً، وأنوركم سروراً وأجملكم حبوراً وأفضلكم حيّاً ومقبوراً.

[٤٥٩] صيغة للصلاة

اللهم صل على من انتخبته من أشرف قبيلة، وجعلته إليك أكبر وسيلة، وجعلت الصلاة عليه أكرم فضيلة، وأعليته إلى المرتبة الجليلة، وجعلته بينك وبين عبادك وسيلة. اللهم صل عليه صلاة تجعلها بيننا وبين عذابك حجاباً، وتجعلها لنا إلى كرامتك مثاباً، وتفتح لنا بها إلى الجنة العالية باباً. اللهم صل على محمد عدد قطر الأمطار، وعدد رمال الأودية والقفار، وعدد ورق الأشجار، وعدد زبد البحار، وعدد مياه الأنهار، وعدد مثاقيل الجبال والأحجار، وعدد أهل الجنة وأهل النار، وعدد الأبرار والفجار، وعدد ما يختلج في الليل والنهار، واجعل اللهم صلاتنا عليه حجاباً من عذاب دار البوار، وسبباً لإباحة دار القرار. اللهم صل على محمد النبي المختار، وسيد الأبرار، وزين المرسلين الأخيار. وأكرم من أظلم عليه الليلُ وأشرق عليه النهارُ، أبي القاسم النبي الصادق المختار. اللهم صل عليه عدد من صلَّى عليه وعدد من لم يصل عليه كما أمرت بالصلاة عليه، وصل عليه كما تحب أن يصلى عليه، وصل عليه كما ينبغي أن يصلى عليه. اللهم صل على النبي الصادق الأوَّاب، وعلى ذريته وعلى جميع القرابة والأصحاب، وتوفنا اللهم على سنته، واجعلنا من أهل ولايته، وانفعنا بهدايته وعنايته، وأدخلنا الجنة مع صحابته الأبرار الطيبين الأخيار، آمين آمين يا أرحم الراحمين.

١٨

مجلس ثاني في قوله تعالى ﴿إنَّ الله وملائكتُهُ يُصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمًا﴾

[٤٦٠] إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً، ومحمد ﷺ ولياً وحبيباً ونبياً وصفياً، وذلك أن الله تعالى بدأ بالصلاة عليه وهو الملك العلام، وصلت ملائكته عليه وهم الأصفياء الكرام، فصلوا بنا معشر الأنام، على محمد عليه السلام، رسول ذي الجلال والإكرام، ينجيكم الله من العذاب الدائم الغرام. واعلموا أنه ما من عبد مسلم أكثر الصلاة على محمد عليه الصلاة والسلام إلاَّ نوَّر اللهُ قلبه، وغفر ذنبه، وشرح صدره، ويسر أمره، فأكثروا من الصلاة لعل الله يجعلكم من أهل ملته، ويستعملكم بسنته، ويجعله رفيقنا جميعاً في جنته، فهو المتفضل علينا برحمته.

[٤٦١] في الصلاة عشرُ كرامات

واعلموا رحمكم الله أن في الصلاة على سيدنا محمد ﷺ عشر كرامات: إحداهن صلاة الملك الجبار، والثانية شفاعة النبي المختار، والثالثة الاِقتداء بالملائكة الأبرار، والرابعة مخالفة المنافقين والكفار، والخامسة محو الخطايا والأوزار، والسادسة قضاء الحوائج والأوطار، والسابعة تنوير الظواهر والأسرار، والثامنة النجاة من عذاب دار البوار، والتاسعة دخول دار الراحة والقرار، والعاشرة سلام الملك الغفار.

أما ولم يقسم الله بحياة أحد إلاّ بحياة محمد ﷺ، وقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [آل عمران: ١١٠] تقدير الآية، أنتم خير أمة أخرجت للناس.

[٤٦٢] أحاديث في فضل الصلاة

وقال رسول الله ﷺ: «وافيتم سبعين أمة أنتم أكرمها وأفضلها عند الله» فأخبر الله تعالى أنه قال: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ [البقرة: ٨٣] يعني محمداً ﷺ، فمن صلى على محمد فقد خالف المنافقين والكفار، ووافق أمر الجبار، وأما محو الخطايا والأوزار.

فما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى علي في يوم جمعة مائة مَرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة».

وقال ﷺ: «من صلّى عليَّ مرةً واحدةً أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنباً ثلاثة أيام». وأما قضاء الحوائج والأوطار.

فما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدعاء بين الصلاتين لا يرد».

وروي أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ قال: «الصلاة علي» قال: أجعل ثلث عبادتي الصلاة عليك؟ فقال ﷺ: «إذاً هديت» قال: أجعل ثلثي عبادتي الصلاة عليك؟ فقال ﷺ: «إذاً كفيت» قال: أجعل جميع عبادتي الصلاةُ عليك؟ قال: «من جعل جميع عبادته الصلاة عليَّ قضى الله له جميع حوائج الدنيا والآخرة» وهذا كله مع أداءِ الفرائض. وأما تنوير الظواهر والأسرار.

[٤٦٣] الصلاة تُنوِّر القلب

فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أكثر الصلاة عليَّ نور الله قلبه» وذلك أن الذنوب تسوِّد القلوب لأن العبد إذا عمل ذنباً صار نكتةً سوداء في قلبه، فإذا تمادى على الذنوب نمت تلك النكتة حتى يسود بها القلب كله، وإذا رطب الله لسان العبد بالصلاة على محمد ﷺ غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل وزن الجبال، فإذا غفرت ذنوبه زالَ السوادُ عن قلبه وبدا فيه النور، لأن الإسلام لا يتم إلاّ بالصلاة على النبي ﷺ، وذلك أنه لو قال عبد، لا أرى الصلاة على النبي ﷺ واجبة

---

[٤٦٢] حديث «وافيتم سبعين أمة».

أخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٨٨).

(*) حديث «أي الدعاء أفضل؟قال: الصلاة عليّ». رواه الترمذي وأحمد والحاكم وقال الترمذي: حسن صحيح من حديث أبي بن كعب.

لكان كافراً وراداً على الله، وخرج عن دين الإسلام وزال نور الهدى عن قلبه قال الله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدرهَ للإسلام فهو على نورٍ من ربه﴾ [الزمر: ٢٢] فهذا بيان واضح من الله. وأنشدوا:

نـورُ القلـوبِ يـزيـدُ عنـد صـلاتنـا ... للهـاشمـيِّ فنـورهُ لا ينجلـي
فضيـاؤنـا مـن ضـوءِ نـورِ محمـدٍ ... صلُّـوا علـى ذاك النبـيِّ الأفضـلِ

[٤٦٤] حكاية في كثرة الصلاة على النبي

روي عن عبد الواحد بن زيد أنه قال: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام فصحبني رجل في الطريق كان لا يقوم ولا يقعد، ولا يجيء ولا يذهب، ولا يأكل ولا يشرب، ولا يتطهر ولا ينام، ولا يتصرف في شيء إلاّ أكثر من الصلاة على محمد ﷺ، فسألته عن ذلك فقال: أحدثك بعجب عجيب، خرجت مرة إلى مكة معي والدي فنزلنا منزلاً في موضع من منازل الطريق فنمت فإذا أنا بهاتف يهتف بي وهو يقول: يا فلان قم فقد أمات الله والدك وقد سوَّد وجهه، فانتبهت فزعاً مرعوباً مما سمعت فإذا هو راقدٌ وقد غطي وجهه، فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت ووجهه أسود، فاشتد حزني لذلك وتحيرت في أمره فغلب عليَّ النوم فإذا أنا بأربعة سودان عند رأسه، وأربعة عند رجليه بأيديهم أعمدة من حديد من نار وهم يريدون عذابه، فبينما أنا أنظر فيما يكون من أمر والدي مع السودان إذا برجل قد جاء فأشرق من نور وجهه الموضع كله الذي كنا فيه، وأقبل على السودان فانتهرهم وقال: تنحوا عنه، فتنحى السودان عنه من ساعتهم وغابوا عني فلم أرهم، ثم أقبل على والدي فمسح بيده على وجهه فإذا هو أشد بياضاً من الثلج، والنور قد علا وجهه، ثم أقبل علي فقال لي: بيض الله وجه أبيك وزال عنه السواد، فقلت له: من أنت فجزاك الله عنه خيراً، قال: أنا محمد رسول الله، فقلت له: يا رسول الله ﷺ ما كان السبب في مجيئك إليه؟ فقال ﷺ: أما والدك فكان مسرفاً على نفسه غير أنه كان يكثر من الصلاة علي، فلما نزل به ما نزل استغاث بي وأنا غياثٌ لمن أكثر الصلاة علي. فقمت من نومي فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو قد ابيض فأخذت في أمره وشرعت في دفنه فما تركت الصلاة على النبي ﷺ بعد ذلك. فإذا كانت الصلاة على النبي ﷺ تورث تنوير الوجه بعد الممات، فأولى أن تورث تنوير القلوب في الحياة!! وذلك أن الله تعالى جعل شخصه ﷺ نوراً،

وقد سماه في كتابه سراجاً منيراً، ووصف من اتبع أمره وسنته وأحبه بنور القلب، قال الله تعالى: **﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾** [الزمر: ٢٢] ووصف من خالف دينه ومن لم يؤمن به بظلمة القلب قال تعالى: **﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾** [النور: ٤٠] فمالكم عباد الله غافلون عن هذه الفضيلة، والنعمة الدائمةِ الجزيلة؟ وأنشدوا:

صلُّوا على نورٍ تزايد فخرُهُ ... يعلو على الأنوارِ والألبابِ
محمدُ زينُ الخلق شرقاً ومغرباً ... وخيرُ شفيعٍ ناطقٍ بصوابِ
وخيرُ حبيبٍ للإلَّه نبينا ... وخيرُ رسولٍ عامِلٍ بكتابِ
أتى الخلق والأصنام تعبد جهرةً ... وبوَّأهم إبليس شرَّ مآبِ
فأنقذ بالنورِ البهي عبادِه ... وبوَّأهم بالدين حُسنَ مآبِ
فصلُّوا على خيرِ الخلائقِ كلِّهم ... لتستوجبوا يا قومُ خيرَ ثوابِ

عباد الله تعاهدوا الصلاة على حبيبنا محمد ﷺ لأن الله تعالى إذا أراد بعبده خيراً يسَّر لسانه للصلاة على محمد ﷺ، وإذا أراد بعبده شراً حبس لسانه عن الصلاة على محمد ﷺ فيكون ذلك سبباً لسوادِ وجهه، كما أن الصلاة لتنوير القلب. وأما قضاء الحوائج والأوطار.

[٤٦٥] الصلاة تحل العقد

فما روي أن رسول الله ﷺ قال: «من عُسِّرت عليه حاجةٌ فليكثر من الصلاةِ عليَّ فإنها تحل العقد، وتكشف الهم والحزن، وتكثر الأرزاق». وأنشدوا:

كم بالصلاة عليه فاز من رجلٍ ... وكم رأيتُ بها في الشدةِ الفرجَا

وأما النجاة من عذابِ دارِ البوارِ.

[٤٦٦] الصراط والصلاة

فما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصلاةُ عليَّ نورٌ على الصراط» ومن كان على الصراط من أهل نور الإيمان، وكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ رسول الملك الرحمن، فلا يكون من أهل الهوان في سموم النيران، بل يكون من أهل الأمان في نعيم الجنان، وأما دخول دار الراحة والقرار.

فما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من ترك الصلاة علي فقد أخطأ طريق الجنة» فالله الله عباد الله يا إخواني تثبتوا وآجتهدوا في الصلاة على خير العباد، وفخر البلاد وزين الحشرِ والمعادِ، فعسى الله أن يجيرنا من العذاب الذي ليس له انقطاع ولا يرجى له نفاد. ولا تغفلوا عن الثواب الجزيل، والملك الدائم الجليل، بالصلاة على النبي الأصيل، الذي نعته في التوراة والإلجيل، واحمدوا الله الذي فضلكم بالنبي الرؤوف الرحيم، الذي جاء بالقرآن الواضح الحكيم، المهيمن القديم، من عند الملك العزيز الكريم، فلعل مولانا أن يتفضل علينا بجنات النعيم، وينجينا من العذاب الأليم، في سواء الجحيم، مأوى كل كفار أثيم ومنزل كلِّ شيطانٍ رجيم، وعدو فاسق فاجر لئيم.

[٤٦٧] جهنم والصلاة على النبي

ذكر في بعض الأخبار أنه إذا كان في يوم القيامة أمر الجبار جل جلاله أن يؤتى بجهنم، فإذا جيء بها وكانت من الموقف مسيرة خمسمائة عام ونظرة إلى أهل المعاصي اشتد غضبها وتقلب بعضها على بعض، وغلا بعضها على بعض، وأخنى بعضها على بعض، زفرت زفرة فلا يبقى غلٌ ولا قيدٌ ولا سلسلةٌ ولا حيةٌ ولا عقربٌ إلاّ ألقت الكل، على ظهرها، وأكبت الزبانية على وجوههم، وانهزم مالك عليه السلام من بين يديها، فعند ذلك لا يبقى ملكٌ مقربٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ، ولا وليٌ ولا صفيٌ إلاّ جثا على ركبتيه، وفر الناس كلهم هاربين، ونبينا ﷺ قائم عليه حلة خلقها الله تعالى من قبل أن يخلق الخلق بمائة ألف عام، وهو ﷺ يُلوِّح إليها بكمه ويقول:

كفي عن أمتي كفي عن أمتي، فعند ذلك يتعلق العبد المذنب به ﷺ وهو يقول: يا نبي الله أنقذني من عذاب الله، فيقول له ﷺ: ألم أبلغك رسالة ربي فلم عصيت؟ فيقول: يا رسول الله غلبت علي شقوتي، فيقول ﷺ: لا شقوة على أحد ممن أكثر الصلاة عليَّ فيشفع له عند الله تعالى، فإذا رأت جهنم نور وجه المصطفى محمد ﷺ خمدت وكفت. فإذا كانت جهنم أخمدها الجبار، من نور وجه النبي المختار، فكيف لا تطفىء الصلاة عليه عن صاحبها جميع الخطايا والأوزار؟! وإذا كان نور المصطفى أخمد عظيم النيران، فكيف لا توجب الصلاة عليه لصاحبها جزيل الغفران؟ وإذا كان نور وجه محمد النبي ﷺ أخمد سموم الجحيم، فكيف لا

تورد الصلاة عليه المقام الكريم والنظر إلى وجه الحكيم العليم؟! وأنشدوا:

يـا مـن تمـرد فـي الأيـام منهمكـاً — صلوا على المصطفى يا أكرمَ الأممِ
صلُّـوا عليـه لعـل الله يـرحمكـم — يومَ الحسابِ ويوم الكربِ والزحمِ
إنَّ الصـلاة علـى المختـار قـارئـةٌ — لقلـب صـاحبهـا جـزءاً مـن الحكـمِ
فهـو الشهيـدُ لأهـل الجمـع كلِّهِـم — وهـو الـدليـلُ إلـى الفـردوسِ والنعمِ

[٤٦٨] الصلاة بشارة بالجنة

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صلى عليَّ ألف مرة لم يمت حتى يبشر بالجنة» وأبخل الناس رجل ذكر عنده محمد ﷺ أو سمع بذكره فلا يصلي عليه. وأكسل الناس من سمع المؤذن فلم يقل مثل ما يقول، وأعجز الناس من لم يدع لنفسه دبر كل صلاة. فإذا كان العبد عاجزاً لنفسه فهو لغيره أعجز. وأما سلام الرحيم القهار، فهو أن كل من كان مصلياً على النبي ﷺ فهو من أهل الجنة. سلم عليه ربنا ومولانا وهو قوله تعالى: ﴿سلامٌ قولا من ربٍ رحيم﴾ [يسٓ: ٥٨] وقوله تعالى: ﴿وتحيتهم فيها سلامٌ﴾ [يونس: ١٠] وقوله: ﴿ويلقون فيها تحيةً وسلاماً﴾ [الفرقان: ٧٥]، ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ [الأحزاب: ٤٤].

[٤٦٩] ما للمصلي عند الله

وروي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: قال الله تعالى لرسوله محمد ﷺ: من صلَّى عليك صليتُ عليه، ومن سلَّم عليك سلمتُ عليه، قال: فيسجد لله شكراً. فالعبد يجزي بالسلام على النبي المختار، سلام الملك الجبار. وأنشدوا:

يـا راكبـاً نحـو المـدينـة قـاصـداً — بلِّـغ صَـلاتـي للنبـي محمـدِ
وقـل السـلامُ عليـك يـا علـمَ الهـدي — فهـو الـدليـلُ إلـى الشفيـع الأجـودِ
إنَّ الـذي ورثَ النبـوة والهـدى — فهـو الـدليـلُ لكـل عبـد مـرشـدِ
صلَّـى عليـه الله مـا هبـت صَبَـا — وتـرنمـت ورقـا بصـوتِ تغـردِ

---

[٤٦٨] حديث «من صلى عليّ ألف مرة . . .».

قال المنذري: رواه أبو حفص بن شاهين.

[٤٦٩] حديث «قال الله تعالى لرسوله: من صلى عليك . . .». أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٦٦٤) وصححه الشيخ أحمد شاكر.

[٤٧٠] نكت في فوائد الصلاة عليه

واعلموا رحمكم الله أن في الصلاة على نبي الهدى محمد ﷺ إشارات جميلة ونكتاً كثيرة، وذلك أن الله تعالى أجرى الصلاة على النبي الرشيد، السيد السديد، مجرى شهادة التوحيد، قال تعالى: ﴿شهد الله انه لا إلّه إلاّ هو والملائكة﴾ [آل عمران: ١٨]. وهكذا قال رب القريب والبعيد، في الصلاة على النبي ﷺ الصادق الرشيد: ﴿إن الله وملائكته يصلُّون على النبي﴾ [الأحزاب: ٥٦] إشارة حسنة ونكتة مليحة.

قال الله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] ولم يقل أذكركم عشر مرات، وقال تعالى وجل علا: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧] وقد قال ﷺ: «من صلى علي مرةً صلى الله عليه عشراً» فكأن الله سبحانه وتعالى يقول: عبدي إذا أثنيت علي مرة أثنيت عليك مرة، وإذا أثنيت على حبيبي مرة أثنيت عليك عشراً لأنه أكرمُ الخلق عليَّ وأجلهم عندي.

ثانية: قال الله تبارك وتعالى: ﴿إنَّ الله وملائكته يصلُّون على النبي﴾ [الأحزاب: ٥٦] وقال في المؤمنين: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكتُهُ ليخرجكم من الظلماتِ إلى النور﴾ [الأحزاب: ٤٣] بصلاتكم على النبي المحبوب. وأنشدوا:

فأكثروا التسليم بعد صلاتكم ... للسيِّد المختارِ ذاك الأمجدُ
ومن يك ذا بخل شديد بذكره ... فذاك عن الحق المنير مبعدُ

[٤٧١] كاشفة الكرب

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من عسر عليه شيء فليكثر من الصلاة علي فإنها تحل العقد، وتكشف الكرب» في دار الامتحان، فأولى أن تنجي في الآخرة من النيران في الدار الباقية.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صلَّى علي مائة مرة تزحزحت النار عنه مسيرة خمسمائة عام» فأكثروا من الصلاة عليه يا أهل ملَّته. ﷺ صلاةً مقرونة بالكمال والحسن والجمال، والخير والإفضال.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أكثركم عليَّ صلاةً أكثركم أزواجاً في الجنة» فالله الله يا معشر المؤمنين أكثروا من الصلاة على سيد المرسلين. وخاتم النبيين، وارعوا في المقام الأمين، والتمتع بالحور العين، والنظر إلى وجه مولانا رب العالمين.

[٤٧٢] من أكثر الصلاة عليه

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أكثركم عليَّ صلاةً أقربكم مني مجلساً» وفي هذا الحديث إشارةٌ حسنة، وهي أن من قرب في الآخرة من النبي نظر إلى وجه العزيز الجبار ومن نظر إلى وجه العزيز الجبار، وقرب من النبي المختار، زحزح جسمه عن النار، وأسكن دار الراحة والقرار، في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، لا يذوقون فيها طعم الحمام، ولا يجدون ضر الأسقام، ولا تلحقهم فتور الآلام، قد أمنوا من الزوال والانتقال ورضي عنهم الكبير المتعال، سبحانه وتعالى جل ذلك الجلال. وأنشدوا:

صلى الإلَه ومن يحف بعرشه ... والطيبون على المبارك أحمد
فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبر وأوفى ذمة من محمدِ
ولا طلعت شمس النهار على أمرىء ... تقي نقي كالنبي محمدِ
ولا لاحت الجوزاء شرقاً ومغرباً ... بأطيب من طيب النبي محمدِ

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أكثروا من الصلاة علي فإنها تطفىء غضب الجبَّار» فأولى أن تطفىء عن المصلي عليه ﷺ في الدنيا كيد الشيطان الفرار. عباد الله الزموا هذه الفضائل، وارغبوا في هذه المنازل، وتقربوا إلى الله بهذه الوسائل، بالصلاة على النبي المختار من أشرف القبائل، الذي أوضح الله به الدلائل، وجعله إليه أكبر الوسائل، وأنشدوا:

حبُّ النبي على الأنام فريضةً ... ولا تنس ذكر الهاشمي الأكرمِ
إنَّ الصلاة على النبي وسيلةٌ ... فيها النجاةُ لكلِّ عبد مسلمِ
صلُّوا على القمرِ المنيرِ فإنه ... نورٌ تبدى في الغَمَامِ المظلمِ
رحم العبادَ به عزيزٌ قادرٌ ... فالشكرُ لله العليِّ المنعمِ

[٤٧٣] الصلاة والدعاء

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن العبد يسأل الحاجة فلا يصلي علي عقيب سؤاله، فترجع الحاجة على سحابة، فإذا صلى علي قضيت حاجته، واستجيبت دعوته، وتفتحت له أبواب السماء» فإذا كانت الصلاة عليه ﷺ تقضي في الدنيا الحاجات، فالأولى أن تنجي صاحبها في الآخرة من العذاب والعقوبات، وتدخل الجنات العاليات.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كلُّ دعاءٍ محجوب دون السماء، فإذا جاءت الصلاة عليَّ صعد الدعاء» يا أحبائي والله إذا صعد الدعاء، ارتفع البلاء، ورضي إله الأرض والسماء.

[٤٧٤] كيف تدعو الله

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تجعلوني كقدح الراكب، فإنَّ الراكبِ إذا أراد أن ينطلق علق معاليقه، وملأ قدحه، فإن كانت له حاجة في أن يتوضأ أو يشرب شرب وإلاّ أهراقه، فاجعلوني في وسط الدعاء وفي أوله وفي آخره» وإنما معنى الحديث أن يكون الإنسان أبداً لا يفتر عن الصلاة على النبي ﷺ، فإذا أصابته شدة وصلى على محمد عرف صوته ودعاءه، فاستجيب له وكشف عنه الهم والكرب. فيجب على من هو من أهل ملة محمد ﷺ أن لا يغفل عن الصلاة على النبي ﷺ.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أكثروا من الصلاة علي فإنها تهن كيد الشيطان» فأولى أن تدفع عن المصلي عليه آفات الزمان، وتحول بينه وبين عذاب النيران، وتوجب له دارَ الخلدِ والأمان، وجنة النعيم والرضوان، وأنشدوا:

امدح نبي الهدى يا أيها الرجلُ ... واذكر فضائله والدمع منهملُ
وصلِّ دهراً على المختار مجتهداً ... تحتَ الظلامِ وداجِي الليلِ منسبلُ
عساك تحظى بدارٍ لا نفاذ لها ... نعيمُها دائمٌ والظلُّ والأكلُ

[٤٧٥] فائدة الصلاة على النبي

توسلوا بالصلاة على النبي الرفيع، والحبيب الشفيق، يغفر لكم مولاكم ما عملتم من الآثام، ويدخلكم برحمته دار الخلد والسلام. توسلوا بالصلاة على النبي

المختار، يكن شفيعكم من عذاب دار البوار، وينجيكم مولاكم من سموم النار، ويدخلكم برحمتـه جنات تجري من تحتها الأنهار. توسلوا بالصلاة على النبي الصادق الأواب، ينجيكم مولاكم من أليم العذاب ويدخلكم الجنة وحسن المآب. توسلوا بالصلاة على النبي الرشيد، ينجيكم مولاكم من العذاب الشديد، ويدخلكم برحمته النعيم الذي لا يبيد. توسلوا بالصلاة على النبي البر الرؤوف الرحيم يدخلكم مولاكم جنات النعيم، وينجيكم برحمته من سموم الجحيم.

روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: الصلاة على النبي ﷺ، أمحق للذنوب من الماء البارد للنار. والصلاة على النبي ﷺ أفضل من عتق الرقاب، فاسمعوا وعوا يا أولي العقول والألباب. وأنشدوا:

تـواتـرت الخيـراتُ شـرقـاً ومغـربـاً ... بـذكـر رسـول الله فـي السـرّ والجهـرِ
فـذكـرك للمختـارِ فخـرٌ ورفعـةٌ ... وذكـرك للمختـارِ مـن أفضـل الـذكـرِ

ذكر في بعض الأخبار أنه إذا كان يوم القيامة وضعت حسناتُ بعض المؤمنين وسيئاتهم في الميزان، فترجح سيئاتُهُم على حسناتهم، فيشفق المؤمنون لذلك، فتنزل صحائفُ بيض من عند الله تبارك وتعالى على حسناتهم، فترجح حسناتهم على سيئاتهم، فيقول الربُّ جل جلاله: هذه صلاتكم على النبي محمد - ﷺ - ثقلت بها موازينكم، وجعلتها لكم ذخيرة وقربة. فهذا يا إخواني فضل الله العظيم، بالصلاة على الرسول الرؤوف الرحيم.

[٤٧٦] ثبوت الشفاعة

ومن رحمة النبي ﷺ بأمته ما روي عنه ﷺ أنه كان في بعض الأيام جالساً فقرأ هذه الآية: ﴿**إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾ [المائدة: ١١٨] فبكى رسول الله ﷺ، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال له: يا محمد مم بكاؤك؟ فقال ﷺ: «فكرت في أمتي» فقال جبريل: يا محمد الله يقرئك السلام ويقول لك أنا أسترضيك في أمتك. يا أحبابي نبيكم عند مولاكم مكين، ومولاكم ذو القوة المتين، وإنك يا أخي عبد مهين، فهل رأيتم مهيناً يعذب بين مكين ومتين؟! مولاكم عظيم ونبيكم كريم، فهل يضيع من يخاف العذاب الأليم بين عظيم وكريم؟! فصلُّوا عليه كما أمركم مولاكم في القرآن الحكيم. يا أمة

محمد ﷺ مولاكم لطيف، ونبيكم سيد شريف، وأنت يا مؤمن عبد ضعيف، فهل رأيتم ضعيفاً يضيع بين لطيف وشريف؟!. وأنشدوا:

يـا إلهـي عسـى تكـون مجيـري ... بصـلاتـي علـى البشيـر النـذيـرِ
إننـي خـائـفٌ كئيـبٌ حـزيـنٌ ... أن أصلـى بحـر نـار السعيـرِ
أيهـا النـاسُ بـادروا ثـم جـدُّوا ... بصـلاةِ علـى السـراج المنيـرِ
ذاك خيـرُ الأنـامِ جـاء بصـدقٍ ... وكتـابٍ مـن السميـع البصيـرِ
فيـه أمـرٌ وفيـه نهـيٌ وفيـه ... مـا يـؤدي إلـى النعيـم الكبيـرِ
لا تملـوا مـن الصـلاةِ عليـهِ ... سـوف تنجـوا مـن حـرِّ نـار الـزفيـرِ
ثـم تحظـوا بهـا بـدارِ نعيـمٍ ... ليـس تبلـى مـن عنـد ربٍ قـديـرِ

[٤٧٧] المداومة على الصلاة عليه

واعلموا عباد الله أن الواجب على كل مسلم ومسلمة أن لا يدع الصلاة على النبي ﷺ حيناً ولا وقتاً، ولا يذكرها في الشدائد ويدعها في الرخاء، فيكون كمن يعمل للدنيا دون الآخرة، إنما يجب عليك أن تصلي عليه في صلاتك وعند قيامك وقعودك ولباسك وأكلك وشرابك وسائر تصرفاتك، فتعود عليك بركتها، وتقبل عليك خيراتها، وتقضي بذلك حق نفسك وحق نبيك محمد رسول الله ﷺ، ولا تقدر أن تبلغ حق نبيك أبداً ولو كان لك ألف لسان، تصلي بها كلها عليه لأن الله تبارك وتعالى جعله سبباً لخلاصك من النار، ولمعرفتك بمولاك العزيز الجبار.

[٤٧٨] مهر حواء أم البشر

ذكر في بعض الأخبار أن آدم عليه الصلاة والسلام رفع رأسه فنظر على ساق العرش لا إله إلاّ الله محمدٌ رسول الله، فقال آدم: يا رب من هذا الذي كتبت اسمه مع اسمك؟ فقال الله تعالى: يا آدم هو نبيي وصفيي وهو حبيبي، ولولاه ما خلقتك ولا خلقت جنة ولا ناراً، فلما خلق الله سبحانه حواء نظر آدم إليها فقال: يا رب زوجني منها، فقال الله تعالى: وما مهرها يا آدم؟ فقال: يا رب ما أعلم، قال الله تبارك وتعالى: يا آدم صل على محمد عشر مرات، فصلى آدم عليه كما أمره الجبار جل جلاله، فزوجه الله سبحانه منها وكان صداقها الصلاة على محمد المختار مهراً لأمة الملك الجبار، فكيف لا تكون صلاتنا عليه مهراً للحور العين في دار القرار، ومن

دخل دار القرار نجا من عذاب النار، لأنه قال ﷺ: «أكثركم علي صلاة أكثركم أزواجاً في الجنة».

[٤٧٩] إشارات وبشارات

إشارة حسنة. وذلك أن الصلاة من الملك الجبار رحمة ونجاة من عذاب النار، لأن الله تعالى إذا صلى على المؤمنين فقد رحمهم.

أخرى. قال الله تعالى: ﴿مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض﴾ [يونس: ٢٤] وقوله: ﴿كأن لم تغن بالأمس﴾ [يونس: ٢٤] فإذا جاءت الساعةُ بعذابها وأهوالها ذهب نبات الأرض وتلاشى في جنب العذاب حتى تبقى الأرض كأن لم يكن فيها نباتٌ قط، وإذا كان هذا فعل العذاب فرحمة الله أولى وأكثر إذا جاءت تلاشت ذنوب المؤمنين في جنبها كأن لم تكن قط. هذا في رحمة الله الكريم مرة واحدة فكيف في عشر مرات؟! لأن النبي ﷺ قال: «من صلى علي مرة واحدة صلى الله بها عليه عشر مرات»، فهذه بشارة حسنة للمؤمنين والمؤمنات، بكثرة صلاتهم على سيد السادات، وخير البريات.

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله تعالى ولم يذكروا النبي ﷺ إلاّ كان ذلك المجلس عليهم وبالاً وحسرة يومَ القيامة فتزينوا يا أمته وزينوا مجالسكم بالصلاة على نبيكم ﷺ.

[٤٨٠] مكفرات الذنوب

روي عن النبي ﷺ أنه صعد ذات يوم المنبر فوضع قدميه في مرقاة من المنبر فقال: آمين، وقال: آمين في الدرج الثاني، وقال: آمين في الدرج الثالث، ثم قال ﷺ: «جاءني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد من أدرك أحد والديه أو كلاهما ومات ولم يغفر له فدخل النار فأبعده الله فقلت: آمين، ثم قال: يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قلت: آمين، ثم قال: يا محمد من ذكرت عنده فلم يُصلِّ عليك فمات فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله فقلت: آمين».

روي عن النبي ﷺ المختار «من صلّى عليَّ لم يلج النار».

اللهم صــلّ على محمد ما اتصلت عينٌ بنظر، وتزخرفت أرضٌ بمطر، وحجَّ حاجٌ واعتمر، ولبى ونحر، وحلق وقصر، وطاف بالبيت وقبّل الحجر.

اللهم صلّ عليه وعلى آله صلاةً لا نفاذَ لها ولا انقطاعَ، صلى الله عليه عدد من يصلي عليه وعدد من لم يصل عليه إلى يوم القيامة، وصلّ عليه عدد الذاكرين، وغفلة الغافلين، واحشرنا وجميع المسلمين، في زمرته يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

فهرس الآيات

الآية	رقمها	رقم الفقرة

[٣] آل عمران

﴿شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملئكة﴾	١٨	٤٧٠
﴿إن الدين عند الله الإسلم﴾	١٩	٤٣٨
﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوءٍ تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد﴾	٣٠	١٥١، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٦
﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾	١٠٦	١٧٩
﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾	١١٠	٤٦١
﴿كل نفس ذائقة الموت﴾	١٨٥	٢٤٨، ٢٧٩
﴿إن في خلق السموات والأرض واختلف اليل والنهار لآيت لأولي الألبب الذين يذكرون الله قيماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحنك فقنا عذاب النار﴾	١٩٠، ١٩١	٤٢٥

[٤] النساء

﴿يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾	٤٣	٣٨٣، ٣٩٠
﴿إن كيد الشيطن كان ضعيفاً﴾	٧٦	١٩
﴿ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾	٨٩	١٥
﴿إن المنفقين يخدعون الله وهو خدعهم﴾	١٤٢	١٣٣، ١٣٦
﴿إن المنفقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً﴾	١٤٥	١٣٦
﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾	١٧٤	٤٢٧

[٥] المائدة

﴿يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾	١٣	٤٢٧
﴿قد جاءكم من الله نور وكتب مبين﴾	١٥	٤٢٧
﴿إنما يتقبّل الله من المتقين﴾	٢٧	١٢٦
﴿بما استحفظوا من كتب الله وكانوا عليه شهداء﴾	٤٤	٤٢٧

الآية	رقمها	رقم الفقرة
﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلّت سحاباً ثقالاً سقنه لبلدٍ ميّتٍ فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرت كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكّرون﴾	٥٧	٤٠
﴿وإما ينزغنك من الشيطن نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾	٢٠٠	١، ١٨
[٨] الأنفال		
﴿يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أمنتكم وأنتم تعلمون﴾	٢٧	٩٠
[٩] التوبة		
﴿إنما يعمر مسجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش إلاّ الله﴾	١٨	٤٢٩
﴿ومسكن طيبة في جنت عدن﴾	٧٢	٤٢٩
﴿لقد جآءكم رسول من أنفسكم﴾	١٢٨	٤٥٨
[١٠] يونس		
﴿دعوهم فيها سبحنك اللهم وتحيتهم فيها سلم وآخر دعوهم أن الحمد لله رب العلمين﴾	١٠	٢٧٨، ٤٦٨
﴿إنما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعم حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّيّنت وظن أهلها أنهم قدرون عليها أتها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلنها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك﴾	٢٤	٤٧٩
﴿والله يدعو إلى دار السلم﴾	٢٥	٤٣٢
﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾	٦٣	١٤٩
[١١] هود		
﴿من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعملهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾	١٥	١٩١
﴿إن الحسنت يذهبن السيئات﴾	١١٤	١٨٤
[١٢] يوسف		
﴿تزرعون سبع سنين دأباً﴾	٤٧	١٨٤

الآية	رقمها	رقم الفقرة
[٢٨] الحاقه		
﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة وحدة﴾	١٤	٥١
﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءُوا كتبيه إني ظننت أني ملق حسابيه فهو في عيشه راضيةٍ﴾	١٩، ٢٥	١٨٥، ١٨٩، ١٩٠
﴿في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئاً مما أسلفتم في الأيام الخالية وأما من أوتي كتبهُ بشماله، فيقول يليتني لم أوت كتبيه ولم أدر ما حسابيه يليتها كانت القاضية ما أغني عني ماليه هلك عني سلطنية خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسله ذرعها سبعون ذراعاً فأسلكوه﴾	٢٥ ـ ٣٢	١٩٢
[٢٩] المزمل		
﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً﴾	١٢	٣٧٤
﴿كان وعده مفعولاً﴾	١٨	٤٣١
[٣٠] النازعات		
﴿وبرزت الجحيم لمن يرى﴾	٣٦	٦١، ٣١٣
[٣١] عبس		
﴿لكل امرىءٍ منهم يومئذٍ شأن يغنيه﴾	٣٧	١٢٢
[٣٢] المطففين		
﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون﴾	١٥	١٨٠، ١٩٠
[٣٣] الفجر		
﴿كلا إذا دكت الأرض دكاً دكا﴾	٢١	٥٠
[٣٤] الزلزلة		
﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾	١	٣١، ٣٣
﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾	٢	٤٥
[٣٥] القارعة		
﴿فأما من ثقلت موازينه وأما من خفت موازينه﴾	٦ ـ ٨	٧٨

فهرس الأطراف

الطرف	القائل	رقم الفقرة
إن سليمان دعاالله أن يريه ملك الموت		٢٩١
إن في ابن آدم لمضغه إذا صلحت صلح الجسد كله		٤٢٦
إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى		٢١٣
إن للشيطان أعواناً من بني آدم		٢٨
إن للمجالس أوتاداً جلساؤهم الملائكة		٤٣٩
إن للموت لسكرات		٢٥١
إن الله شجرة فرعها تحت العرش		٢٥٩
إن لله ملكاً رأسه تحت العرش		٣٥٧
إن ملك الموت ينظر لوجه العباد كل يوم سبعين مرة		٢٩٧
إن ملكاً ينادي تحت العرش الويل لمن ترك عياله بخير وقدم على الله بشر		٤٠٩
إن هذا الفتى يصلي على صلاة ما يصليها على أحد من أمتي		٤٣٧
إنما تقوم الساعة على شر خلق		٣٣
إنما يزورون المقابر بالموت ولا بد لكل زائر أن يعود لوطنه	عمر بن عبد العزيز	٣١٣
إنه [الضيف] إذا نزل نزل برزقه		١٠٣
إنه [الشح] أهلك من كان قبلكم		٤٠٦
إنها تحل العقد وتكشف الكرب [الصلاة على النبي]		٤٧١
إنها تحل العقد وتكشف الهم		٤٦٥
إنها [الصلاة على النبي] تطفىء غضب الجبار		٤٧٢
إنها [الصلاة على النبي] تهن كيد الشيطان		٤٧٤
إنها [الخمر] مذهبة للعقل متلفة للمال		٣٨٢
إنهما المقربتان [سبحان الله والحمدلله]		٨٣
إني أشفع لكم على قدر [الصلاة على النبي]		٤٣٤
أهدوا إلى موتاكم		٣٣٩
أوحى الله إلى موسى يا موسى إن أردت أن أكون إليك أقرب من لسانك فأكثر من الصلاة على محمد		٤٣٥

فهرس غريب الألفاظ

	ـ ب ت ل ـ	
البتول	العذراء المنقطعة عن الزواج إلى الله	١٤١
	ـ ب خ ت ـ	
البخت	الإبل الخرسانيه	٢٢٤
	ـ ب ر ح ـ	
برح	برح بروحاً وبرحاً: زال، فارق لا أبارحك	٤٣٥
	ـ ب ر ذ ن ـ	
براذين	واحده برذون وهي الخيل غير العربية	٢١٥
	ـ ب ر ز ـ	
البراز	الفضاء الواسع المبرز: المكان الظاهر	٣٢٣
	ـ ب ر ط ـ	
البرطيل	الرشوة	١٢٨
	ـ ب ر هـ ـ	
البرهة	المدة من الزمان	
	ـ ب س ر ـ	
بسرها	لقاحها بسرها زمرد أخضر	٢١١
البسر	تمر النخل قبل أن يرطب أطعمنا بسراً	٣١٣
	ـ ب ط ح ـ	
البطحاء	الأبطح: المكان المتسع يمر به السيل فيترك الرمل والحصى الصغار بطحاؤها ياقوت	٢١١
الأبطحي	نزيل البطحاء	٤٥٠
	ـ ب ط ر ـ	
البطر	المستخف بالنعمة	
	ـ ب ط ل ـ	
بطل	بطل الشيء: ذهب ضياعاً. بطل في حديثه: هزل	٣٣
	ـ ب ط ن ـ	
بطن	بطن الرجل فهو مبطون: أي أصابه في بطنه	٨٥
	ـ ب ل ق ـ	
البلقع	الخالي من كل شيء	٢٥٥

	- ح س ك -	
الحسك	نبات من الفصيلة الرطريطية له ثمرة خشنة تتعلق بأصواف الغنم	٧٥
	- ح ش ر ج -	
حشرج	ردد نفسه في حلقه، وأوشك أن يموت	٢٥٩
	- ح ل -	
حلائل	جمع حليلة وهي الزوجة	٣٣٥
	- ح ن ط -	
الحنوط	هو كل ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى من مسك وذريرة وصندل	٢٨٥
	- ح و ب -	
الحوب	الإثم	
الحوبة	من يأثم الإنسان في عقوقه	٢٠٩-٣٣٦
	- ح ا م -	
حام	حام حول الشيء دار حول الشيء	٣٠٧
	- ح ا ن -	
الحين	الهلاك	١٨٢
	- خ ب ل -	
الخبال	صديد أهل النار	١٢٣
	- خ د ن -	
الأخدان	واحدها خدن وهو الصديق	٣٢٥
	- خ ز م -	
الخزام	الخزام والخزامي : نبات رائحته طيبة	٣٣٧
	- خ ض د -	
المخضود	المكسور الشوك	٢٨٨
	- خ ط ب -	
الخطوب	مفردها خطب وهو الأمر الشديد يكثر في التخاطب	٥١/ ٦٨
	- خ ل ف -	
خلف	خلف فلان أي أحمق	١٠٤

- خ م د -

خمود	مفردها خامد وهم القوم قد ماتوا وصاروا بمنزلة الرماد والخماد	٣٤

- خ مـ ص -

خمص	خمص بطنه : أي ضمر وخلا	٣٤١/ ٤٣١

- خ ن ا -

أخنى	أخنى بعضها على بعض : أتى بعضها على بعض	٤٦٧

- دح ر -

دحر	دفع وأبعد	
مدحورة	مبعدة مدفوعة	٣٠١

- د ر س -

درس	ذهب أثره	١٦٧

- د ك -

دكه	دكه دكاً : هدمه حتى سواه بالأرض	٥٠

- د ل -

دلت	دلت المرأة على زوجها : أي أظهرت الجرأة عليه في تكسر وملاحة	٢٤٧

- د ن ف -

دنف	دنف الرجل : اشتد مرضه	٢٥٩

- د هـ م -

مدهمتان	سودان	

- ذ خ ر -

ذخر	ذخر الشيء : ادخره	
المذخور	هو المدخر	١٠٧

- ذ ر أ -

ذرأ	خلق	٢٥

- ذ ر -

الذر	صغار النحل	٥٥

- رج ل -

رجل	رجل الشعر : سواه وزينه	٢٧١

	- رح ل -	
رحل	سار ومضى	
الرحائل	مفردها الرحالة وهي السرج	٢٤٦
	- ر د ى -	
الردى	الهلاك	
المرديات	المهلكات	٥/ ٦/ ٣٢٧
	- ر ز ب -	
الإرزبة	المطرقة الكبيرة تكسر بها الحجارة	٧/ ٥٢/ ٢٧٣
	- ر ص د -	
رصد	رصده رصداً: قعد له على الطريق يرقبه	٢١
	- ر ط ب -	
الرطب	ثمر النخل إذا أدرك ونضج قبل أن يصير ثمراً	٣٩٠
	- ر غ ب -	
رغب	حرص على الشيء وطمع فيه	٥٢
	- ر ف د -	
الرفد	العطاء	١٦٩
	- ر ف ر ف -	
الرفرف	وهو جمع رفرفة وهي الوسادة والفرس المرتفع	٢٤٤
	- ر ق أ -	
رقأ	رقأ الدمع: سكن وجف وانقطع	٣١٨
	- ر ك م -	
تراكم	تراكم الشيء: اجتمع بعضه إلى بعض	٢٠٤
	- ر ك و ة -	
ركوة	إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء	١٧٥
	- ر م س -	
الرمس	القبر وجمعها رموس وأرماس	١٧/ ١٣٠
	- ر م ض -	
الرمضاء	الأرض التي حميت من شدة وقع الشمس	
	- ز ع ج -	
زعجه	زعجه زعجاً: قلعه من مكانه	٣٣٧

	- س ر م د -	
سرمد العز	الدائم الذي لا ينقطع	٣٧٢
	- س ف ح -	
سفح الدمع	صبه	٢٠٨
	- س ف د -	
السفود	عود من الحديد ينظم فيه اللحم ليشوى	٢٥٣
	- س ف ر -	
سفرَ	وضح وانكشف	٢١٥
	- س ل و -	
سلا عنه	أي نسيه وطابت نفسه	٢٥٧
	- س م ج -	
سمج	قبح	١٩١
	- س هـ د -	
سهد	أرق	
والتسهاد	الأرق	
	- س هـ م -	
السهام	الضمر وتغير اللون	٢٠٤
	- س ا ح -	
ساح	ساح الماء ويسيح وسيحاناً جرى على وجه الأرض	٢٣٢
	- ش أ ن -	
الشأن	الحال والأمر وجمعه شئون	١٦٠
	- ش ج ن -	
الشجن	الحزن	٢٠٨
	- ا ل ش ج ى -	
شجا	شجا الحديث فلان : أي أطربه	٢٩٨
	- ش خ ص -	
شخص	شخص ببصره : أي فتح عينيه ولم يطرف بها متأملاً	٣٢
	- ش ك ل -	
الشكل	المختلط سواده بحمرة	٢٤٧

	ـ ع ج ر ـ	
العجر	الغليظ السمين	٢٢٠
	ـ ع ج ز ـ	
العجز	مؤخر الشيء	٢٣٦
	ـ ع ذ ل ـ	
عذلاته	سقطاته وما يلام عليه	٢٤٣
	ـ ع ر ج ـ	
عرج	عرج الشيء : ارتفع وعلا والعروج هو الصعود	٢٥
	ـ ع ر ص ـ	
العرصة	ساحة الدار	٥٧
	ـ ع ر ف ـ	
الأعراف	الحاجز بين الجنة والنار	١٣١
	ـ ع ض د ـ	
عضادتـــا	عضادتا الباب : خشبتان منصوبتان مثبتتان في الحائط على جانبيه	٢٧٦
	ـ ع ض ل ـ	
عضال	داء عضال : لا طب له	٦
	ـ ع ط ب ـ	
عطب	هلك وفسد	٢٠٥
	ـ ع ق ص ـ	
عقص	عقص الشيء : قلعه	٢٩٨
	ـ ع ق ب ـ	
العقبى	الآخرة	١٧
	ـ ع ن د ل ـ	
العندليب	طائر صغير الجثة كثير الألحان	٣٣
	ـ ع ن ـ	
العنان	سير اللجام الذي تمسك به الدابة	٤٣٨

	ـ ع ا ز ـ	
عوز	عوز الرجل: احتاج واختلت حالته	٢٠٢
	ـ ع ا ل ـ	
عول	عول الرجل: استعان به	٢٠٤
	ـ ع و ى ـ	
عوى	صاح الكلب صياحاً ليس بنباح	١١٨
	ـ ع ى ـ	
عيّ	عجز عن الشيء	٣٠٧
	ـ غ ب ـ	
الغب	عاقبة الأمر	٣٣
	ـ غ د ر ـ	
الغدير	النهر الصغير	١١٨
	ـ غ ر م ـ	
الغرام	العذاب الدائم الملازم	٢٦٨ـ٤١٣ ٤٤٢
	ـ غ س ل ـ	
الغسلين	ما يسيل من جلود أهل النار	٦٠
	ـ غ ص ـ	
الغصة	ما يقف في الحلق فلا يكاد يسيغه	٣٠٩
	ـ غ ل ـ	
غل	غل الرجل: خان في المغنم	٣٣٤ـ٢٠٨
	ـ غ مـ ر ـ	
الغمرات	واحدها غمرة وهي الضلالة	١١ ـ ٣١٩
	ـ غ مـ ض ـ	
الغامض	الخفي	٤٧
	ـ غ ن ج ـ	
الغنج	ملاحة العينين	٢٢٠
	ـ غ هـ ب ـ	
الغهب	الليل الشديد الظلمة	٢٠٥